محمود فوزى

حكام مصر

السادات

مركز الراية للنشر والإعلام
أحمد فكرى

كلمة الناشر

عندما فكرت في اصدار سلسلة « حكام مصر » لم يدر بخلدي هذا المجهود الذي صاحبته حتي تظهر بهذا الشكل ؛ وتصورت أنني امام اصدارات عادية سوف تأخذ البرنامج المعد لها ثم تظهر في الاسواق .. وفوجئت انني امام عمل كبير عظيم .. شامل يحكي تاريخ أمة من خلال شخصيات حكمت مصر ؛ هذه الشخصيات سواء أتفقنا عليها أم اختلفنا فأن لها بصمات واضحة في تاريخ الامة العربية ونحاول بقدر المستطاع ان نظهر هذه البصمات من خلال رؤية الكاتب الصحفي الاستاذ محمود فوزي .

وحكام مصر عبر العصور من حق أجيالنا والأجيال القادمة ان تقرأ .. وتقلب صفحات هذا العمل الكبير لأن تاريخ هؤلاء الحكام هو ملك للامه العربية من المحيط إلي الخليج .

إنها صفحات ناصعة .. تروي الكثير والكثير عن حكام مصر بل وتاريخ مصر كله .

أحمد فكرى

مقدمة

- السادات كأى زعيم سياسى له إيجابياته وسلبياته له حسناته ومساوئه .

- وله قراراته الصائبة وشطحاته اللا معقولة !

وسوف يمثل السادات للمؤرخين لغزاً من الصعب عليهم فهمه وطلسما من المستحيل أماطة اللثام عنه وعلى الرغم من أن السادات فى نظر الرأى العام الامريكى من أفضل الشخصيات فى العالم وقد وضح ذلك جليا حين أجرت أحدى المجلات الامريكية أستفتاء للشعب الامريكى لاختيار شخصية سياسية غير أمريكية تحكم أمريكا ؟!

وجاءت نتيجة الاستفتاء مذهلة قالوا :

نختار السادات ليحكم أمريكا !

جاءت نتيجة هذا الاستفتاء فى وقت كان ينظر إلى السادات فى مصر وبعض البلاد العربية بعين الاستخفاف لقراراته فى قضية السلام .

ولهذا يجب أن ينظر إلى السادات بعين فاحصة مدققة .. بعين الاعتبار والانصاف .

فلا يعقل أن نهيل التراب على كل إيجابياته بدعوى أن هناك أخطاء قد أرتكبها ونحاول أن ننسى أو نتناسى إيجابيات أصاب فيها السادات .

فالسادات أولا وأخيرا إنسان

فلا هـو ملاك أو شيطان !

ولكنه فرعون مفترى عليه !

وسيظل السادات رغم كثرة ما كتب عنه يمثل علامة استفهام كبيرة لضراوة المعارك

التى خاضها ، ولكثرة المواقف التى صادفها ، ولغرابة القرارات التى أصدرها ، ولتنوع المناصب التى تولاها من سائق وتباع فوق سيارة نقل إلى شيال إلى ضابط إلى رئيس مجلس الامة إلى رئيس جمهورية !

لقد كان السادات شخصية محيرة بكل المقاييس ، فعلى حين بدأ عهده بفتح السجون والمعتقلات وأطلاق سراح الحرية من قيودها ، والتسامح مع من هاجموه فى صحف ومجلات الحائط فى الجامعة والعفو عنهم جميعا إلا أنه أنهى حياته بجمع صفوة المجتمع السياسى من جميع الاتجاهات والتيارات السياسية وأودعهم السجن فيما عرف باعتقالات سبتمبر الشهيرة .

كما أن السادات تولى الحكم وهناك هزيمة موجعة عصفت بالعقول من هول فداحتها ، ولكنه أستطاع أن يحول الهزيمة إلى نصر فى ست ساعات مفاجأة أذهلت أقرب المقربين إليه فى وقت يأس الجميع فى أنطلاق طلقه واحدة على العدو .. أما هول المفاجأة على إسرائيل نفسها فكان رهيبا لدرجة أن وزير الحرب الإسرائيلى لم يصدق ما يحدث .. وقال عبارته الشهيرة : " معقول المصريين يحاربون ؟"

وكان نصر أكتوبر أكبر أنتصار حرب بكل المقاييس الحربية .

وحين نقل التليفزيون المصرى على الهواء مباشرة وقائع زيارة السادات للقدس لم يصدق معظم المصريين ما يحدث !! وأعتبر بعضهم أن السادات قد أصابته لوثة عقلية ، على حين أعتبر الاخرون أنها خيانة قومية ، ولكن بعد مرور ما يقرب من ٢٠ عاما اليوم على هذه الزيارة أختلفت الرؤية ، وثبت أن السادات كان سابقا لعصره ، وأن قضية السلام كانت هدفا لم ينجح من كانوا يعارضونه وقتها فى أن يحققوه حتى الان بالمزايا التى كان السادات يبغى فى تحقيقها ، وأن من عارضوه قبلوا الان أقل مما عرضه السادات وقتها !

ولكن يبدو من عيوبنا كمصريين أننا حين نعشق لا نرى عيبا واحدا فيمن نعشق ، وحين نكره لا نرى حسنة واحدة فيمن نكره .. ولكن أصدق مثل شعبى يفى بهذا المعنى :

" حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط !! "

وبالتأكيد فأن الامثلة الشعبية أصدق دليل على مشاعر وعواطف الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، لاننا شعب عاطفى فنحن نكره ونحب لاتفه سبب ، ومن السهل أن تتغير مشاعرنا بين يوم وليلة ، وتلك النظرة أنعكست بلا شك على نظرتنا لزعمائنا منذ أقدم العصور ، فنحن أما نراهم جبالا شامخة أو أبارا سحيقة !

أما عظيما وأما صعلوكا ! .. أما زعيما له كل الحسنات والمزايا وأما حقيرا به السلبيات والاخطاء ! .

ولا شك أن غياب النظرة الموضوعية للسادات قد جرفت كثيرا من الحقائق وطمست كثيرا من المزايا والايجابيات .. لكن مهما حاول البعض أن يطمس الحقيقة أو يطمرها تحت الارض السحقية فإنها لابد أن تظهر يوما لمن يحاول أن ينقب فى حفريات التاريخ ! .

والبعض يرى أن المرحلة الاولى من حكم السادات كانت أمتداداً للحقبة الناصرية ، ولكن سرعان ما ظهرت ملامح شخصية السادات السياسية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقد تمثلت فى أربعة توجهات جديدة ، أولها : الانفتاح الاقتصادى والحقيقة أن سياسة الانفتاح الاقتصادى التى انتهجها السادات قد أوجدت طبقة من المليونيرات المصريين من الحرفيين دون أى سند حضارى ، فخلق البعض منهم طفرة مالية كبيرة أرتفعوا بها فوق الطبقات المثقفة فانقلب الهرم الثقافى ، لان المنتجين فى كل المجالات الاعلامية أنساقوا وراء توجهاتهم المزاجية لجذب الاموال !! وهذا فى حد ذاته أضعف الثقافة المصرية كثيرا !! كما أن فترة الانفتاح وسياسته فشلت فى الوقت نفسه فى التغلب على معاناة الفقراء فازدادوا فقرا !

وأذكر فى حوار مع محافظ القاهرة اللواء عمر عبد الاخر مؤخرا فى ندوة أكتوبر .. أكد المحافظ بصراحة يحسد عليها أن فترة الانفتاح كانت السبب الرئيسى فى مشكلة السكان الآن ، وإن ظاهرة التمليك وأختفاء لافتة " للايجار " نهائيا كانت بسبب جشع بعض التجار فى فترة الانفتاح !!-

والحقيقة أن سياسة الانفتاح قد أدت ألى أن يصبح بعض من الشعب المصرى من أغنى شعب فى المنطقة ، على حين أصبحت الحكومة المصرية أفقر حكومة فى المنطقة فقد عجزت الحكومة المصرية عن تحصيل الضرائب من التجار الذين كانوا يكسبون دون

أن يعرف أحد بالتحديد حجم مكسبهم .. وقد أصبح البعض منهم من أغنى الاغنياء في فترة وجيزة للغاية !!

وقد أصبح بسياسة الانفتاح دخل الطبقة الحرفية أكبر بكثير من دخل الطبقة المثقفة والجامعية ، وقد جرى العرف في المجتمع المصرى على أن يكون الحرفى فى وضع أدنى ! . كما أزداد فى عصر الانفتاح حجم الفساد فى مصر الذى أصبح يزكم الانوف من رائحته الكريهة !

وقد فجر السادات فى يوليو ١٩٧٢ قنبلة دبلوماسية ذات صدى كبير بقراره ابعاد المستشارين العسكريين السوفييت الذين أعتمدت عليهم القوات المسلحة المصرية .

وقد تردد أن السادات فعل ذلك من منطلق شعوره بأن عبد الناصر قد فشل لانه حاول التغلب على الولايات المتحدة .

وقد أثبتت سنوات ما بعد أغتيال السادات إنه كان على حق فيما يتعلق بابعاده للمستشارين والخبراء السوفيت ، فقد كفر السوفييت أنفسهم بسياستهم ولم يكن طرد السادات للسوفييت أنحيازا للغرب كما يردد البعض ، ولكن الهدف كان هو التمهيد للحرب بتحرير العسكرية المصرية .

ولا شك إنه بمقتضى معاهدة السلام فإن مصر أستعادت الارض التى أحتلتها إسرائيل فى سيناء فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكان أخرها طابا التى أستردتها فى ١٥ مارس ١٩٨٩ .

وقد تأكد السادات أن الصراع العربى الاسرائيلى لم يعد يحسم بالقوة وإنه آن الاوان أن يحل بالسلام ، لان البلد لا تحتمل حروبا بكل آثارها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولقد فتح السادات نوافذ حرية الرأى فى الصحافة المصرية ، ولكن عيب السادات الوحيد فى الصحافة إنه لم يفرق فى علاقته بكبار الصحفيين والكتاب بالعلاقة الخاصة ، وبين تمسك هؤلاء الصحفيين بمبادىء العمل الصحفى ، فحين ساءت العلاقة بينه وبين بعضهم فكر فى ابعادهم عن الصحافة نهائيا ، وكان منهم ثلاثة من أقطاب الصحافة المصرية : مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى وأمينة السعيد .

ولكن حين نبهة أحد المقربين منه إلى خطورة الفعل فى حالة فصل الثلاثة الكبار تفتق ذهن أحد كبار الصحفيين المقربين من السادات إلى فكرة خبيثة وحيلة ماكرة لكى يتخلص السادات من الثلاثة الكبار بضربة واحدة وهى صدور قانون يحدد سن المعاش عند الستين ويكون بمثابة نهاية المطاف لتولى عمل قيادى فى الصحافة المصرية !

ومن مفارقات الايام أن هذا القانون نفسه كان أول من طبق على صاحب الفكرة الخبيثة بعد أغتيال السادات !!

ولا أحد ينكر أن السادات كان أول من أعاد مناخ الحرية بعد غياب طويل ، ولكن عيب السادات الحقيقى إنه كان يغضب كثيرا من أى كلمة نقد توجه إليه فى السنوات الاخيرة ، مما أضاع كثيرا من رصيده الكبير فى بداية حكمه الذى أمتاز بحرية الرأى والديمقراطية .

ففى السنوات الاخيرة غضب السادات من مصطفى أمين خاصة مقالة " فكرة " الشهيرة الخاصة بهرولة أعضاء مجلس الشعب للانضمام إلى الحزب الوطنى الذى يرأسه السادات هروبا من حزب مصر الذى أسسه السادات وتركه لممدوح سالم ومنع السادات من نشر فكرة بعد ذلك إلى أن كان يوم فرح ابن السادات والتفاف كبار الكتاب حوله لعودة مصطفى أمين إلى الكتابة مرة ثانية .

وإذا كان السادات قد أخرج مصطفى أمين من السجن ثم أخرجه بعد ذلك من رئاسة تحرير أخبار اليوم ، فإن السادات نفسه كان قد عرض على مصطفى أمين بعد خروجه من السجن أن يتولى مجلس إدارة أخبار اليوم ولكنه رفض وقال للسادات بالحرف الواحد :

أن السنوات التى أمضاها داخل السجن جعلته لايفكر فى تولى أى منصب قيادى فى الصحافة !!

وأن يكتفى بكتابة عموده اليومى " فكرة " فقط !!

وبعد الحاح من السادات تولى مصطفى أمين رئاسة تحرير الاخبار لمدة عام واحد فقط !

وكما حدث مع مصطفى أمين حدث أيضا مع أحسان عبد القدوس ، ولا أنسى عبارة قالها لى أحسان عبد القدوس قبيل رحيله فى حوار طويل معه نشر فى كتابى " أحسان عبد القدوس بين الاغتيال السياسى والشغب الجنسى " .

قال أحسان عبد القدوس : لقد صارحت أنور السادات بأنه لابد أن يحكم الشعب بجانب الجيش .. وإن هذا هو رأيى .

فقال له السادات :

عظيم هذا هو رأيك طيب ما تكتبه يا أحسان !

وكتب إحسان عبد القدوس مقاله فى الاهرام .

وفى نفس اليوم أخرج السادات عبد القدوس من رئاسة مجلس إدارة الاهرام !!

هذا رغم أن السادات فى الفترة التى كان مبعدا فيها من الجيش بأمر السلطات البريطانية فى مايو ١٩٤٥ دخل على إحسان عبد القدوس فى مجلة روز اليوسف وكان معه وقتها زميله وصديقه الطيار حسن عزت ، وكان يحمل مقالتين عن دور الضباط والجنود المصريين من ضباط المدفعية المضادة للطائرات فى حماية البلاد من الطائرات المعادية ، وكان وقتها إحسان عبد القدوس رئيسا لتحرير روز اليوسف وتسلم من أنور السادات المقالتين ونشرها دون حذف أيه كلمة !!

وقد ولد أنور السادات فى قرية ميت أبو الكوم مركز تلا المنوفية عام ١٩١٨ وتخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وعين بسلاح الاشارة وقد أعتقل أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسى وأخرج من الجيش وأعيد عام ١٩٥٠ .

كانت مهمة السادات ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو الاستيلاء على الاذاعة والشبكات التليفزيونية .

وقد أذاع أنور السادات أول بيان يعلن قيام الثورة وأهدافها وهو أيضا الذى أذاع بيان أعلن فيه عن رحيل الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وقد عين وزيراً للدولة عام ١٩٥٤ ثم سكرتيرا للاتحاد القومى عام ١٩٥٩ وقد أنتخب رئيسا لمجلس الامة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٨ .

وقد عين عضوا بمجلس الرئاسة عام ١٩٦٤ .

وقد أنتخب السادات عضوا باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي وأمينا للجنة القومية السياسية فى سبتمبر ١٩٦٨ وتم تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٩٦٩ .

وقد أنتخب رئيسا للجمهورية فى أكتوبر ١٩٧٠ بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر وأعيد انتخابه فى أكتوبر ١٩٧٦ .

وقد خطط وقاد السادات حرب أكتوبر ١٩٧٣ بعبور الجيش المصرى قناة السويس وتحطيمه لخط بارليف .

وقد أبعد السادات مصر عن الكتلة الشرقية وأقام علاقات جديدة مع الغرب وزار القدس فى ١٩٧٧ ثم ذهب إلى كامب ديفيد ليوقع اتفاقية سلام مع إسرائيل أستعادت مصر بموجبها سيناء وقد قاد السادات عملية السلام لاستعادة سيناء كاملة وكان أول زعيم عربى يعقد صلحا مع إسرائيل .

وقد أغتيل السادات فى حادث المنصة فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ وكان قد أعتقل قبل أغتياله بشهر أكثر من ألف شخصية من الرموز السياسية والدينية فى مصر .

وقد ألف السادات " قصة الثورة كاملة " وصفحات مجهولة من الثورة " يا ولدى هذا عمك جمال " و " البحث عن الذات " .

إن شريط حياة السادات يجمع كثير من المتناقضات والمآسى والكوارث والمفاجأت .. فيلم سياسى وسيناريو محكم وبطولة ممثل رائع لعب أروع أدوار البطولة هو أنور السادات الذى تمنى ذات يوم أن يكون ممثلا على الشاشة وسعى إلى ذلك ولو أستطاع أن يصبح ممثلا على الشاشة أو المسرح ما أستطاع أن يبهر الناس مثلما بهرهم فى الحياة ! .

محمـود فـوزى

الفصل الأول

السادات :

وجذور القرية !

يروى السادات جذور حياته فى القرية من خلال البحث عن الذات فيقول :

" العسل وصل .. يعلن المنادى فى أزقة وساحات القرية .. وتهرع جدتى وأنا أمسك بيدها وأسير جوارها نحو الترعة حيث رست مركب العسل القادمة إلى (كفر زرقان) المجاورة لنا ..

ليس الطريق طويلا .. ولكن كل خطوة نخطوها تملأ قلبى فرحاً وفخاراً .. فالرجال على طول الطريق تقف تحية لجدتى ـ هذه المرأة التى لا تعرف القراءة والكتابة ومع ذلك كنت أرى الجميع يلجأون إليها لتحل مشاكلهم ولتشفيهم مما قد يصيبهم من أمراض بوصفات وأعشاب الطب العربى القديم التى لم يكن فى قريتنا أو فى القرى المجاورة من يتقنها مثلها .

ونشترى زلعة العسل الأسود ونعود إلى دارنا .. أسير خلف جدتى صبيا أسمر ضئيل الجسم حافى القدمين يرتدى جلباباً تحته قميص أبيض من البفتة .. لا تفارق عينيه زلعة العسل .. ذلك الكنز الذى أستطعنا الحصول عليه أخيراً ..

كم كان شهياً عندما نخلطه اللبن الرايب (الزبادى) ..

وكم كان يسعدنى كما لا يسعدنى أى شىء آخر ..

كل شىء فى القرية كان فى الحقيقة مصدر سعادة لى لا تماثلها سعادة أخرى ..

عندما نخرج لنشترى الجزر من بائع الجزر .. بل من الأرض نفسها ..

الشجرة والحبة والثمرة كلهن إذن زميلاتى فى الكون .. ألسنا جميعاً من نبت الأرض وبدونها لا نكون ؟

والأرض قوية صلبة .. وكل من ينتمى إليها لابد أن يكون مثلها .. وإذ كانت هذه الخواطر تمر برأسى الصغير كنت أستعيد قول جدتى :

" لاشىء يساوى أنك أبن الأرض .. فالأرض هى الخلود لأن الله أودعها كل سرة .. "

كم كنت أحب هذه السيدة .. كانت شخصية فى غاية القوة بالإضافة إلى الحكمة حكمة الفطرة .. والتجربة .. والحياة .. وطوال فترة نشأتى فى القرية كانت هى رأس العائلة ، فقد كان والدى يعمل مع الجيش فى السودان . وكانت هى ترعانا وتخرج وراء

الأنفار كأى رجل تتعهد الفدانين والنصف التى أقتناها والدى .

أم الأفندى .. هكذا كانوا يطلقون عليها فى القرية .. ولهذا قصة ..

كان منتهى أمل القروى عندنا أن يدخل الأزهر .. ولكن جدى الذى كان يعرف الكتابة والقراءة وهو أمر نادر فى وقته .. أراد أن يشق لأبى طريقا آخر .. فأدخله التعليم العام حيث حصل على الشهادة الإبتدائية .. وكانت فى ذلك الوقت تعتبر مؤهلا هاماً .. فالإحتلال البريطانى كان فى أول مراحله .. وجميع المواد كانت تدرس باللغة الإنجليزية ..

كان والدى أول من حصل على الشهادة الإبتدائية فى قريتنا .. ولذلك رغم أن بقريتنا الآن مهندسين وأطباء وأساتذة جامعات إلا أنه عندما يأتى ذكر الأفندى وأولاده الأفندى يعرف كل إنسان أنه والدى وأبناؤه .

ويبدو أن جدتى أرادت لى أن أسير فى نفس الطريق الذى سار فيه والدى فأدخلتنى كتاب القرية حيث تعلمت الكتابة والقراءة وحفظت القرآن ثم نقلتنى إلى مدرسة الأقباط بطوخ حيث يوجد دير قديم مشهور مطرانه هو نفس مطران دير وادى النطرون .

لم تكن المدرسة تبعد عن قريتنا بأكثر من كيلو واحد ورغم أننى لم أستمر بها طويلا إلا أننى ما زلت أذكر بوضوح مسيو (مينا) المدرس الذى كان يعلمنا كل شىء والذى كنا نخافه ونحبه فى نفس الوقت .. وما زالت ترن فى أذنى دقات الجرس الكبير تعلن بدء اليوم الدراسى فيدق معها قلبى رهبة وأحتراماً للعلم .

أما كتاب القرية فما زلت أراه بعين الخيال وكأننى فارقته بالأمس .. العريف الطيب الشيخ عبد الحميد رحمة الله الذى شيعت جنازته منذ فترة غير بعيدة .. وكنت أدين له بالكثير فهو أول من فتح لى أبواب المعرفة والإيمان ..

وأقرانى فى الكتب وأنا أجلس بينهم على الأرض أحمل اللوح (الصفيح) والقلم البسط .. كل عدتى فى تلقى العلم .. وجيب جلابيتى الفضفاض الذى كنت أحشوه فى الصباح بالجبن الناشف المخلوط بكسر الخبز التهمه حفنة بعد حفنة أثناء الدروس وما بينها .

كان إقبالى على العلم يتزايد يوماً بعد يوم ولكنه لم يشغلنى يوماً عن القرية كانت حياتى بها بهجة تتلوها بهجة . فكل يوم يأتى بشىء جديد . موسم الزرع . موسم الرى .. موسم حصاد القمح .. الاحتفال بموسم الحصاد .. وأفراح القرية وصوانى الكنافة التى كنا نلتهمها فى نهم .. وموسم حصاد القطن الذى كان يأتى دائما مع البلح .. وكيف كنت أغترف القطن وأضعه فى عبى ثم أهرع إلى بائعة البلح وأعطيه لها فتعطينى ما يقابله من البلح .

وعندما كنت آخذ البهائم إلى الترعة لتشرب .. أو أجلس على النورج لدرس القمح .. أو أشترك مع غيرى من الصبية فى جمع القطن . كنت أحس فى كل مرة أنى أفعل هذا لأول مرة .. فقد كانت حياتى بالقرية أكتشافات تعقبها أكتشافات .. وكأنها ساقية تدور على بحر كل ما به دائماً جديد .

هذا الإحساس بأن كل شىء أفعله أو أراه جديد لم يفارقنى أبداً طوال فترة نشأتى بالقرية .. وكان مصدراً لا ينصب من مصادر سعادتى .

حتى القصص التى كانت تحكيها لى أمى أحيانا وجدتى أحياناً أخرى كل ليلة .. كنت فى كل مرة أستمتع بها وكأنها جديدة وكأننى لم أسمعها من قبل مع أنها هى هى نفس القصص لم تتغير .

ولم تكن هذه القصص حواديت الشاطر أو بطولات أبو زيد الهلالى .. بل كانت أقرب إلينا وألصق بحياتنا من تلك الأساطير البعيدة .

كانت إحدى هذه القصص تروى كيف دس الإنجليز السم لمصطفى كامل حتى لا يكمل كفاحه ضدهم .. لم أكن أعرف فى ذلك الوقت من هو مصطفى كامل وأنه مات فعلا فى ريعان شبابه ولكنى عرفت لأول مرة أن هناك قوماً أسمهم الإنجليز .. وأنهم ليسوا منا .. وإنهم أشرار لأنهم يضعون السم للناس .

وكانت جدتى تحكى لنا أيضا موال أدهم الشرقاوى وبطولاته وكفاحه ودها « فى محاربه الإنجليز والسلطة .

ولكن لعل مما ترك فى نفسى أثراً عميقاً موال زهران بطل دنشواى .. وأنا أستمع إليه من أمى وقد أعتليت سطح الفرن الدافىء وإلى جانبى الأرانب وإخوتى الصغار وقد أستغرقوا جميعا فى النوم أما أنا فكنت بين اليقظة والمنام .

كان هذا الموال يستهوينى كل مرة أستمع إليه .. فدنشواى قرية لا تبعد عن قريتنا بأكثر من خمسة كيلو مترات .. والموال يحكى كيف أن عساكر الإنجليز عندما شاهدوا أبراج الحمام فى دنشواى أطلقوا عليها الرصاص .

وطاشت طلقة أحرقت جرنا من أجران القمح .. وتجمع الفلاحون فأطلق عليهم الرصاص أحد عساكر الإنجليز وجرى .. جرى الفلاحون وراءه وأمسكوا به وحصلت معركة مات فيها العسكرى الإنجليزى .. وفى الحال قبضوا على الأهالى .. وشكلت محكمة عسكرية فى القرية .. وعلقت المشانق قبل صدور الأحكام التى قضت بجلد عدد من الفلاحين وشنق عدد آخر .

وكان زهران بطل المعركة التى قامت مع الإنجليز وكان أول من حكموا بشنقه .. ويحكى الموال عن شجاعة زهران وصموده فى المعركة وكيف أنه تقدم من المشنقة مرفوع الرأس فخوراً مزهوا بنفسه لأنه أستطاع أن يتصدى للمتعدين وأن يقتل أحدهم .

كنت أستمع إلى الموال ليلة بعد ليلة وأنا بين النوم واليقظة - كما قلت - ولعل هذا ما جعل عقلى الباطن يختزن القصة .. وأطلق العنان لخيالى فكم رأيت زهران وعشت بطولته فى الصحو وفى المنام .. وكم تمنيت لو كنت زهران .

وهكذا أدركت من فوق سطح الفرن فى دارنا بالقرية أن هناك خطأ ما فى حياتنا .. وقبل أن أرى الإنجليز .. وأنا مازلت داخل قريتى .. تعلمت أن أكره المعتدين الذين قتلوا وجلدوا أهلنا .

ولكن لم يكن هذا كل ما تعلمته فى ميت أبو الكوم فقد تعلمت ما بقى بعد ذلك معى طول العمر وهو زادى أينما ذهبت وفى أى مكان كنت فسوف أعرف دائما أين أنا .. لن أضل الطريق أبدا .. لأنى أعرف أن جذورى هناك حية متأصلة فى أرض قريتى التى أنبتتنى كما تنبت الزرع والشجر .

هكذا قضيت السنوات الأولى من حياتى فى قريتى الوادعة إلى أن كان يوم وجدت نفسى فيه أنتقل فجأة مع أسرتى إلى القاهرة لأن والدى - كما قالوا لى - قد عاد من السودان .

كم كان عمرى حينذاك ؟ لم أكن أعرف .. عرفت فقط بعد ذلك أن أحداث حياتى

كانت تسير جنباً إلى جنب مع أحداث التاريخ .

هكذا - كما يبدو ... شاء القدر .. "

ومن أهم القضايا التى واجهت أنور السادات قضية حكمت فهمى والجاسوسان الالمانيان ويرويها السادات من خلال ..صفحات مجهولة من الثورة "

" وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الاحداث .. فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظاميا ولا أنقلابا عسكريا ، ولكنه كان يوجب أتجاها أخر .. يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز أفرادا وجماعات عند أنسحابهم .

خطتنا .. وخطة القدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى .. والجانب الاخر يرسم خطة الاتصال بالالمان ..

ولكن خطة أخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه .. وقد لا نستطيع أن نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، نستطيع دائما أن تنظر إلى الماضى ، فتجد أن الايمان حق .. هو دائما .. أقوى من القدر !

وبدأت قصة القدر ..

بدأت بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت .. دخل فى أثرها رجلان من الالمان ، يصحبهما صديق له ، هو الاستاذ عبد الغنى سعيد الذى يعمل اليوم مفتشا فى مصلحة العمل .. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم إلى ..

هكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا ..

ولكنها بالنسبة إلى هذين الالمانيين فقد بدأت قبل ذلك .. بدأت على رمال الصحراء الغربية الصفراء .. عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. أحدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى . وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل ابنائها ..

فـقد كـانت أمـه الالمانيـة ، قـد تزوجت فى المانيـا مـن المرحـوم صـالح بك جـعـفـر المستـشـار ، ثم حضرت مـعه إلى مـصـر ، وفى يدها ولدها من زوجهـا الاول .. وكـان ولدها هذا ، هو " هانز ابلر " .

وأراد الزوج المصرى ، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر فيسر له كل سبل التعليم والنجاح ، وأعطاه أسمـا مصريا ، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته ، فـأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر ، بأسم حسين جعفر وعاش " حسين " فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصـالح الذى ارتجاه زوج أمه ، فـقد أنحرف عن الطريق الذى رسمـه له الرجل .. وأصبـح بعـد فـتـرة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصـمـة فى سمعتـه .. وفـشل المسـتـشـار المصـرى ، فى أقناع ربيبـة بالعـدول عن مـخـادنة الاوغـاد وحـيـاة الليل بين المراقص والحـانات ، ونسـاء الطريق .. وفـشل فى إقناعـه بأن يجد لنفسه عـمـلا يعيش منه ، أو يشغل به بعض وقته .

ولما أيقن بالا سبيل إلى اصلاحه ، ولا أتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب .. فما كاد يعود إلى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم أصبح من رجال روميل .. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات ..

تجسس

وأصـدر رومـيـل لرجليـه ابلر وساندى أمرا بالتسلل إلى مصـر ، وكلفـهـمـا بعـمل مـعـين ، وسلمـهـمـا جـهـازا لاسلكيـا دقيـقـا .. وزودهـمـا بعـشـرات كـثـيـرة من الآلاف مـن الجنيـهـات الانجليـزية المزيفة المطبوعـة فى اليـونان وبسـيـارة من سيـارات الجـيش الانجليزى التى أستولى عليـهـا روميل أثنـاء مـعركة العلمين وفرار الانجليـز تاركين خلفهم كل شىء .

وتحـركت السـيـارة بالرجلين ، وقـد أرتديا مـلابس ضبـاط فى الجـيش الانجليـزى ، وحملا معهما جهاز اللاسلكى ، والثروة الطائلة ..

واختـرقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع إلى جنوب سيوه ، ثم أنحرفا من سـيـوه إلى الواحـات الخـارجـة .. واسـتـراحـا فـيـهـا من رمـال الطريق ، وتزودا بما يحتـاجان إليـه ، ثم أتجـهـا صـوب أسيـوط فى الطريق المرصـوفة الفـاخرة المؤدية إليها ..

وكانت هذه المرحلة هى أخطر مراحل الرحلة بالنسبة إليهـا إذ الطريق طريق عسكرى ، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسة ، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مرة بالموت فى كل لحظة ، ونفد منها الوقود فى منتصف الطريق .. إذا بقائدها آبلر ينثنى بكل جراة إلى أحد المعسكرات البريطانية ، فتفتح له الابواب ، ويدخل إلى محطة البنزين بالمعسكر ، ويقدم أوراقه ، ويعبىء سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ..

ووصلا إلى أسيوط .. ثم أنحرفا فى الطريق إلى القاهرة .. ودخلاها ضابطين انجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان .

طلبات

وقال لنا الاستاذ عبد المغنى سعيد إنه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة ابلر .

وأخرج الرجلان أوراقهما ، وأثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الالمانية وحقيقة مهمتيهما .

وطلب الالمانيان منا أن نقدمهما إلى الفريق عزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه كلمة " الزعيم " .

وقال ابلر أن جهاز اللاسلكى الذى جا ءا به قد تعطل ، وإنه يرجو أن يعتمد فى إصلاحه علينا ..

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصى بروميل فى مكانه بالعلمين ..

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم أصدر أمره إلينا بتسهيل طلبيهما الاخرين .

وقمت أنا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الاشارة ، فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل .

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، أنهما يقطنان فى عوامة خاصة للراقصة المشهورة حكمت فهمى .. ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت على آثارها ، فقد ضحك ابلر ، وقال :

- أتريدنا أن نقيم فى معسكرات الانجليز ؟!

ومضى يروى لى ما يعرفه من أخلاص حكمت فهمى له منذ كان فى مصر قبل الحرب ، ثم روى لى طرفا من حياته التى يحياها ، منذ عاد إلى القاهرة ، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر يقيم فيها ..

البنك الاهلى

وفهمت أنهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا ثيابهما الرسمية « الانجليزية » وأرتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم راحا يعيشا كالجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما .

كانا ينفقان عن سعة .. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية .

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات والعودة مخمورين قرب الصباح إلى العوامة التى أتخذا منها محطة للاذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم .

وقالا لى وهما يضحكان أن البنك الاهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين ألفا من الجنيهات الانجليزية المزيفة بجنيهات مصرية .

ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود .

ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازى ، فلا يتردد مادام كل شىء بثمنه ولكنى مع ذلك أشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود .

وسألنى ابلر :

- متى تجىء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة ..

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطىء النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية .. ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !

ونظرت إلى أعلا العوامة ، فوجدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال .. فاعتزتنى رجفة مفاجئة .. فإن وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة ، قد يثير بعضا من الشكوك .

ثم تتابعت على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك أسئلة لا أجد جوابا عليها :

هل يعرف اليهودى الذى يبدل لهما الاموال حقيقتهما فعلا .. وإذا كان يعرفها ، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها ، لكى يسكت .. ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟ .

وما مدى أستعدادها للسير فيها إلى أخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق ، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها إليها ..

وكان لابد أن أجد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لابد أن أدخل .. !

ووضعت يدى على زر الجرس ...

... وفتحت لى الباب ، حكمت فهمى .. وبعد لحظات كان أمامى الالمانيان ابلر ، وساندى .. يرحبان بمقدمى بينما تدور عيناى فى أرجاء العوامة ، أحاول أن استشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها ..

ولم يكن عسيرا على أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة ...

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للالمانيين حرية

التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا ، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك ..

وكان واضحا أنهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاءا لكى يقوما به ، وانغمسا إلى آذانهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة تملكها راقصة ، ويعيش فيها رجلان فى عمر الورد ، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات .

أين الجهاز

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل .. فضحك ابلر ، وهو يقول :

- أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل إلى أنى أستطيع ، فقمت أطوف غرف العوامة ، وأهبط درجاتها ، وأصعد إلى أعلاها .. فإذا بها لا تحتوى إلا على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة .. وكؤوس الشراب ، وصناديق الويسكى ..

وفجأة عاد بى ابلر إلى حيث كنا فى بهو العوامة .. ومد يده إلى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان .. وكنت قد فحصته ، فى دورتى ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو « موبيلياً » أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع ، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطونات .

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة بسيطة ، فانفتح إلى أعلى .. وقال لى : أنظر .. فنظرت لاجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب ، يكفى لكى يهبط فيه رجل ، فيجد كرسيا صغيرا يجلس إليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ..

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

- تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسى وأن تضىء النور الداخلى ، ثم ألق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا أسطوانة للرقص ..

وقال زميله ساندى :

- أننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى مع الضيوف ، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ..

ووجدتها فكرة جميلة .. فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب ، محطة إذاعة كاملة ، ورجل يذيع !

ونزلت إلى الفجوة ، لافحص الجهاز .

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، وأخذت أدير فى مفاتيحه ، أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع ، كما أنه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لأى مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى إلى تعطله ..

وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ، وحاولت أن أكتشف مكان العطب فيه ، فلم استطع ، فقد كان الجهاز جديدا على فى كل شىء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله ، إن لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التى أسس عليها .

وخرجت يائسا..أو بادى اليأس ، وفى رأسى دوامة من الافكار ، وشكوك كثيرة ..

وصدر منى سؤال مفاجىء لم أكن أحمله أكثر من معناه الظاهرى :

– هل هذا الجهاز معطل حقا ؟!

واضطرب ابلر لهذا السؤال بينما أجاب ساندى بسرعة فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

– إنه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع أصلاحه ؟

وقبل أن أجيبه بالنفى ، كان هو يسألنى سؤالا أخر :

– إنك بلا شك تسمع عن الهر هوارد ..

جهاز جديد

وكنت أعرف أن هوارد هذا ، ديبلوماسى فى مفوضية السويد فى مصر ، وإنه كان يقوم برعاية شئون الرعايا الالمان فى مصر ، بعد أغلاق المفوضية الالمانية عند إعلان الحرب ..

قلت : أعرفه ..

فقال : إننا على أتصال به أيضا ، وهو يعلم أن هذا الجهاز معطل ، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك .

وقاطعته قائلا :

- ولكنى آسف جدا ، لانى لا أستطيع أصلاح هذا الجهاز ، فلم يسبق لى أن أستعملت أجهزة إرسال ألمانية أبدا ..

وبدأ ابلر الكلام فقال :

- إن الهر هوارد طلب منا أن نتصل بك ..

وسكت قليلا ثم عاد يقول :

- إنه يعرف كل شيء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لأى شيء .. وهو أيضا ، يساعدنا ..

وأكمل ساندى قائلا :

- وقد قلنا له إن هذا الجهاز قد تعطل ، فجاءنا بجهاز آخر .. ولكننا لا نعرف كيف يعمل ..

وسألتهما أنا :

- وهل الجهاز الآخر هنا الآن ..

فأجاب ساندى :

- نعم ، إنه فى الطابق الاسفل لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطيع تشغيله ..

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى .. سأريك الجهاز الآخر .. وقد قال لنا هوارد أنك أنت وجميع ضباط سلاح الاشارة فى مصر ، تستعملون مثله ..

ونزلت معه إلى الطابق الاسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا ..

لم تعد شكوكا

وفى الطابق الاسفل ، وجدت جهاز أرسال من النوع المعروف بالهالكيرافتر .. وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما أنهما لا يستطيعان أستعماله ، لسهولة أستعمال هذا النوع من أجهزة الارسال وقلت لهما :

إن هذا الجهاز من أبسط الاجهزة أستعمالا ، وإنى أستطيع أن أدلهما على كيفية أستعماله فى لحظات قصيرة .

وفجأة خطرت لى فكرة .. وانطلق بها لسانى فى التو واللحظة !!

فقد كانت شكوكى فى الرجلين قد بدأت تعلو إلى مرتبة اليقين .. كنت قد أقتنعت فى نفسى تماما ، أن جهازهم الالمانى أما أن يكون سليما ، وأما أن يكون هما قد عطلاه بنفسيهما .. وخطر لى أنى لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يتلفانه أيضا .. ولم أكن أعرف السبب فى هذه الشكوك ، ولكنها قد سيطرت على ..

وقلت لابلر ، وأنا آخذ بذراعه على سلم العوامة :

- أريد أن آخذ هذا الجهاز الامريكى معى يوما ، لاختبره أختبارا دقيقا ، ثم أعيده إليك ..

وانتظرت من ابلر أن يمانع فى هذا ، ولكنه أسرع يقول :

- بكل سرور .. يوم أو أكثر كما تشاء ..!

نساء .. وخمر

وكنا قد وصلنا إلى البهو الذى كنا فيه من قبل .. وهناك كانت فتاتان صغيرتان تجلسان وقد وضعت أمام كل منهما كأس من الويسكى .

ولاحظت أن الفتاتين قد أتيتا لزيارة الألمانيين ..

ولاحظت أيضا أنهما لا يعرفان الالمانيين من قبل ، فقد قامت حكمت فهمى بتقديمهما إليهما ..

ورأيت الالمانيين وقد أستخفتهما النشوة ، والمرح ، وعلمت أنهما سوف يقصدان

إلى جروبى لتناول الغداء ، وأنهما سيعودان بعد ذلك إلى العوامة بصحبة الفتاتين ..

وكان لابد أن أنسحب .. فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغداء . لآخذ معى الجهاز ! ..

وبدأت شكوكى تجد أسبابا ترتكز إليها ، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكى لم تكن عبثا ..

يسرق من سويسرا

فقد علمت أن الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدلوها عن طريق اليهودى من البنك الاهلى ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى .. وأرادا أن يطيلا مكثهما فى القاهرة ، وأن يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة .. فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد تعطل ، وأخبرا بذلك « هوارد » وكان من ناحيته متصلا بقيادتهم ، وأستطاع « هوارد » أن يزودهما بهذا الجهاز الامريكى فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الايام والليالى بين سهر فى المراقص ليلا ، ولهو مع الغوانى نهارا ... فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل ، وأنهما لا يستطيعان العمل بالجهاز الجديد !!

وبدات المتاعب !

عرفت هذا .. ولكننى عرفته بعد فوات لاوان .. وفى يوم الاحد ، ذهبت إلى العوامة ، وأوقفت التاكسى خارجا .. وأخذت الجهاز ، وخرجت تاركا خلفى ابلر وساندى ، ومعهما فتاتان .. جديدتان !!

ومر الاحد ، والاثنين ...

وفى يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..

وفى اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين ، فبدأت مخاوفى ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، أعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر ، باسم « قلم المخابرات البريطانية » ..

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هى التى أمسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها ، وأنها هى التى قبضت عليهما ، وأنه ليس من المستبعد أبدا أن تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين اللتين قمت بهما للعوامة ، وإنى بهذا بت فى خطر أنا ومن معى فى تشكيل الضباط . وبدأت أعد نفسى لكل أحتمال وأنبأت أصدقائى بالقبض على هذين الرجلين ، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا ..

ولم أقف عند هذا ، فقد كان على أن أعرف كيف قبض عليهما ، وهل أكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة ، وهل هناك مراقبة موضوعية علينا ..

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضيق ، مأمون .. فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منذ شهر ، وأن الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ، وأن هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا ..

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما ، ولم تقع أعينها على داخلا إلى العوامة ولا خارجا منها .. وأنها حتى بعد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا ..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة ، ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ، ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصة من القصص التى تلعب فيها المرأة ، ويلعب فيها الذهب ، وتنام فيها عيون المخابرات ..

وعرفت فى ذلك اليوم شيئا آخر أيضا .. عرفت حياة جديدة لم تكن لى بها خبرة من قبل ...

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا ، فقد كنت أرجح أن المخابرات البريطانية ، وإن كانت قد أكتشفت صلتى بالجاسوسين الالمانيين ، فهى لابد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ، لتتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله ..

كان هذا ما اعتقدته ، ولكنى فوجئت فى يوم الثلاثاء التالى ، أى بعد يومين أثنين من القبض على الجاسوسين ، بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت .

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل إلى أن المخابرات البريطانية الساهرة ، لم تكن غافلة عنا ، وإنها قد وضعت يدها فعلا على كل أسرارنا .

وإلا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك .. ولكنى بعد ذلك ، قابلت ابلر ، وساندى ، اثناء التحقيق ، وأخذ ابلر يشرح لى تفاصيل مثيرة ، سمعتها بشغف ، وتنفست بعدها الصعداء ..

بلاد شهر زاد !

كان ساندى شأن أكثر الالمان ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الاوربية .. ولم يكن ابلر كذلك ، فقد كان على النقيض منه لا يحب الاموسيقى الجاز .. تمتزج طرقاتها العنيفة بالخمر التى تدور برأسه ، فتحيله كائنا عجيبا ، نصفه إنسان ، ونصفه حيوان .. !

وفى إحدى الامسيات ، جلس صاندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى ، يستمع إلى موسيقى « شهر زاد » للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلر مغيظا محنقا ، يحاول اغراء صديقه للقيام معه إلى موعد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات .. وأصر سندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها ، فوضع أمامه كأسا من الخمر ، وأخذ يسمع ويحلم ، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذه الباليه على مسرح من مسارح برلين ..

وورويدا رويدا أندمج ابلر معه فى الاستماع إلى الموسيقى .

ولكنه لم يسلم نفسه لانغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه لهمسات شيطان أخذ يراوده ..

وفجأة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

- ما كان أسعده هذا الملك .. شهريار ..

وضحك ساندى ، وهو مسترسل فى أحلامه وقال :

- كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة .. يبيت معها ليلته .. ثم يذبحها فى الصباح .

وصاح ابلر ، والخمر فى رأسه :

- هكذا الحياة . ماذا ينقصنا نحن ، لنكون مثله . !؟ أنا شهريار الثانى ، وأنت شهريار الثالث ...

ألسنا فى بلاد ألف ليلة وليلة !! ؟

- أكنت تقرأ مثلى قصص ألف ليلة وليلة أيام الشباب ..

فأجاب ابلر :

- لقد كدت أطرد من المدرسة وأنا أقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل ما فيها من كلام لذيذ !!

وسأله ساندى بخبث :

- وهل تحب أن تذبح النساء ..

فأجاب ابلر ..

- ولماذا أذبحهن .. أعطيهن مالا .. مالا من البنك الاهلى .. كم يكون لذيذا أن تعيش كل ليلة فى أحضان عذراء !

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان إلى الكيت كات يقضيان سهرتهما .. ولكن خيال ألف ليلة وليلة لم يبرح ذهن ابلر وساندى فى تلك الليلة .. فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بألحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضحك على هذين « الانجليزين » - كما كانت تظن الراقصة ! - اللذين ذهب بعقلها الشراب ..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير ..

فقد أسر ابلر بأحلامه الحيوانية إلى أحدى صديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما فى مفاوضات ، أصبح ابلر بعدها شهريار الثانى ، وأصبح ساندى شهريار الثالث أيضا ..

الفصل الثاني

السادات :
وثورة يوليو !

هل شارك السادات فى ثورة يوليو ١٩٥٢ ؟!

أم إنه أختفى مع زوجته فى السينما فى ساعة الصفر حتى يتأكد من نجاح الثورة أو فشلها ؟!

وهل كان السادات من رجال الحرس الحديدى حقيقة ؟!

وهل حقيقة أن عبد الناصر فرض السادات فرضا على زملائه أعضاء اللجنة التأسيسية قبل الثورة ؟! .

هذه الاسئلة يجيب عليها كل من حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة الذى أبلغ أنور السادات بساعة الصفر فى الثورة ومحسن عبد الخالق أحد الضباط الاحرار الذى حقق مع أنور السادات بأمر من عبد الناصر فى قضية " الحرس الحديدى " وأحمد المصرى أحد الضباط الاحرار الذى كان محيطا بكل الاحداث .

ولقد سألت حسن إبراهيم نائب رئيس الجمهورية الاسبق وعضو مجلس قيادة الثورة .

* أستاذ حسن إبراهيم هل حقيقة أبلغت أنور السادات فى العريش بموعد قيام الثورة وبكلمة السر " نصر " ؟ وإذا كان ذلك صحيحا فلماذا ذهب أنور السادات إلى السينما وانتعل خناقة وتم تحرير محضر بها فى قسم البوليس ؟!

ونظر حسن إبراهيم مندهشا وهو يقول :

** أمال أن كنت باعمل أيه .. طبعا أبلغت أنور السادات وجمال سالم قائدى مطار العريش وقتها وجميع الزملاء هناك ، وقد ابلاغهم بدورهم فى الثورة ، أما عن موضوع السينما والخناقة ومحضر الشرطة .. فاقول لك .. لماذا تتصورون إن كل الناس ملائكة ؟ .. هل هو قام بدوره أم لا ، كونه إنه أراد أن يؤمن نفسه .. هذا موضوع لا نعيبه عليه ، ولقد وجد فى موقعه بعد ذلك ، وقد حاول أحد الضباط أعتقاله فسمع صوته عبد الحكيم عامر وانقذه .. ما العيب فى أن يجهز السادات لنفسه أدلة إذا فشلت الثورة لا تدينه ، أنا شخصيا أدافع عنه ، وأقول لك أنور السادات راح السينما ليلة الثورة علشان يريح أعصابه !

* هل صحيح أن عبد الناصر فرض السادات على زملائه أعضاء اللجنة

التأسيسية قبل الثورة ، الذين كانوا يعارضون أنضمام السادات إليهم فيما عدا عبد الناصر ؟

** لا .. جمال تحدث إلينا أنا وعبد اللطيف البغدادى بالذات قبل أن يضم السادات إلى مجلس الثورة وسألنا رأينا .. وأنا فى رأيى أنور السادات كان يستحق أن يكون عضوا فى مجلس الثورة باعتبار تاريخه السابق ودوره .. وكون بعض الاراء لم تكن موافقة عليه أو أن البعض أتهمه بالخيانة إلا أن رأيى كان من الاراء التى وافقت على انضمامه ، وهذا لا يمنع أيضا أننى أختلفت معه فى سياساته ، ومنها الانفتاح الاستهلاكى المفاجىء ، ولا يمنع أيضا أننا كنا أصدقاء حتى أخر وقت ، رغم أننى كنت مختلفا معه فى بعض الاراء .

وقلت لمحسن عبد الخالق أحد الضباط الاحرار البارزين .

* أستاذ محسن عبد الخالق .. أنت الذى حققت مع أنور السادات فى مسألة حقيقة أنضمامه إلى الحرس الحديدى الملكى ؟ فما هى الحقيقة ؟

** ذات يوم سأل جمال حماد عبد الناصر قائلا :

ما هى علاقتك بمحسن عبد الخالق .. فكان رد عبد الناصر عليه : أننى أحبه وأثق فيه . فكان جمال عبد الناصر يثق بى جيدا وكنا أصدقاء لأننا كما قلت من قبل تزاملنا فى الدماء من يوم كنا سنموت سويا ولهذا لم يكن غريبا أن يحول على المسائل الحساسة للتحقيق فيها دون أن يعلم أحدا .. مثلا موضوع العمال فى كفر الدوار وأعدام خميس والبقرى .. عبد الناصر لم يكن يصدق ما يحدث من العمال .. أذهب وحقق فى هذا الموضوع .. وذهبت وكتبت له مذكرة .. ثم حدث بعد أضراب كفر الدوار أيضا أعتصام عمال المطبعة الاميرية .

وجلس معى عبد الناصر وكان يحب أكل الكبدة ! .. وجلسنا فى يوم نأكل الكبدة وقال لى : يجب أن تكتب لى تقريرا عما يحدث من العمال .. ولكننى فوجئت بأن من رأى أعضاء مجلس الثورة إتخاذ الشدة مع العمال وهذا هو السبب الاساسى لخلافى مع زكريا محى الدين ولهذا حين حقق معى بدأ يوضع المسدس أمامه على المنضدة فقلت له : " بطل شغل بيريه ما أنا الذى أطلقت عليه :" بيريه " !

قلت له : لا يمكن أن تمسك العصا والسكين لكل تجمع عمالى

فقلت له : لو حدث هذا فستكون كارثة أنا من رأيى أن تعرف أولا ما هى الاسباب الحقيقية لمشاكل هؤلاء العمال . فكان يضحك ويقول لى روح يا شاطر شوف لنا : أيه الحكاية فى المصنع ؟؟

وبالفعل ذهبت إلى المطبعة الاميرية فوجدت أن حل هذه المشاكل من السهولة بمكان فيمكن حل المشاكل العمالية بتلبية بعض الطلبات الممكنة مثل أنشاء وحدة أسعاف با المصنع .. كوب لبن لكل عامل .. طلبات سهلة جدا .. ثم حدث أيضا فى مصنع الغزل والنسيج بالمحلة وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة كان من رأيهم أن يمسك العصا والسكين للعمال وأن تكون مواجهتهم بالشدة وقلت لهم :

لا .. لابد أن تزور المحلة ومعنا محمد نجيب .

وقد كان .. ولم يتكرر ما حدث فى كفر الدوار .. هذا بالنسبة للعمال أما فيما يتعلق بالحرس الحديد فكانت البداية الحقيقية كلها من عند خالد فوزى الذى كان من الحرس الحديدى وكان صديقا لكمال الدين حسين .. وأنا ذهبت لخالد فوزى وكنت صف ضابط فى الكلية الحربية وقلت له : أنت مش حتسترجل بقة وتيجى معانا .

فقال لى : وأنت قلت لى شيئا ولم أفعله .

قلت له : تيجى معانا .. تنزل الاسكندرية وتأتى إلى القاهرة وتأخذ أسبوع أجازة قبل الثورة .

وطلع خالد فوزى ضمن جماعتى الصاعقة التى كان من واجبها أن تصطدم مع أى عنصر يتدخل ويشتبك مع الثورة .. وقف فى تقاطع الطرق عند الماظة والذى ذهب له بعد ذلك كمال الدين حسين . والحقيقة أن خالد فوزى أدى دوره فى منتهى الانضباط يوم ٢٣ يوليو وحين أقارنه بالذين كنا معتمدين عليهم وأعتذروا مثل محمد فوزى وغيره فإن المقارنة تكون لصالح خالد فوزى .. فهناك الكثيرين تهربوا من الثورة .. لا أنسى .. ذلك اللواء الذى كنا معتمدين عليه ولما ذهبنا إليه ليلة الثورة .. أعتذر وقال عندى عذرا قاهرا ولما تعرفوه غدا سوف تعذرونى وهرب . !

خالد فوزى أذن أدى دورا كبيرا فى الثورة .. حين أحاسبه هل أقول إنه كان فى الحرس الحديدى من قبل .. هل أستطيع أن أقول أن خالد فوزى لم يكن وطنيا .. مثلا كان يحبذ الملكية لكنه فى تأييده لها رجلا وطنيا .

* قيل أن الحرس الحديدى ساهم بدوره فى الثورة .. هل تتفق مع هذه العبارة ؟

** أنا أتفق جدا مع هذه العبارة .. الحرس الحديدى كان يعلم من هم الضباط الاحرار .. لكن لم يتحدث ويتكلم أحدا منهم ولم يكتب تقريرا واحدا عن الضباط الاحرار .

لا يمكن أن أتصور أن يوسف رشاد لا يعرف من هم الضباط الاحرار ولكن العكس هو الصحيح .. أيضا ناهد رشاد كانت توزع منشورات الضباط الاحرار فى السراى .

كيف كانت المنشورات تذهب إلى الملك داخل السراى ؟!

ألا يستحق هذا سؤالا ..؟ أن الحرس الحديدى لم يشأ مطلقا أن يضر حركة الضباط الاحرار .. أتتى أتحدى أى ضابط من الضباط الاحرار .. حقيقة قد يكون هناك أختلافا فى الرأى أن يقولوا نحن مع الملكية شىء وأن يكونوا خونة شىء أخر .. هذا هو رأيى الشخصى .

* وهل يعقل أن رجال الملك هو أول من يشارك فى نجاح الثورة ..؟

** لا تستطيع أن تصفهم بأنهم رجال الملك فلقد كانت هناك مقالة تقول إن الملك يكون طيب لو أن من حوله كانوا طيبين .. ولكن هل أنا جلست مع الملك ؟!

هل جلس خالد فوزى مع الملك ؟! .. هل كانت مصالحه مرتبطة مثلا .. ولكن يوزباشى أو ملازم ما هى مصالحه مع الملك ؟!

لا .. لم يكن لديهم أية مصالح مع الملك مطلقا .

ولكن هل من الممكن أن تقول أن ملاك الارض فى حزب الوفد ليسوا حريصين على الملك ..؟ بالطبع .. لا لأن الملكية فى كل العالم تتكون من كبار الملاك وحتى تعود الملكية الزراعية فى مصر لابد أن تعيد الملكية .

ولقد كان أنور السادات وحسن التهامى من أعضاء الحرس الحديدى وقد فوجئت

بجمال عبد الناصر يقول لى : أنت مكلف بالتحقيق مع أنور السادات فى مسألة الحرس الحديدى بل قال لى جمال عبد الناصر أمام أنور السادات .

أليس أنور السادات من الحرس الحديدى .. ؟!

وابتلع أنور السادات ريقة وتغض العرق من جبينه واعتقد فى قرارة نفسه أننى وراء هذا التحقيق .

فقلت لعبد الناصر : الذى نعرفه أن أنور السادات كان حرسا حديديا وكان فى نفس الوقت على أتصال بك لاعدادك بكل أخبار الملك .. فرد عبد الناصر قائلا هذا صحيح .

وفى الحقيقة أننى كنت وقتها متوليا شئون المهام السرية الخاصة بالثورة والتى أطلق عليها عبد الحكيم عامر فى ذلك الوقت أمن الثورة .

* هل سألت أنور السادات فى واقعة ذهابه إلى السينما ليلة قيام الثورة ؟!

** هو فى الحقيقة لم ينكر وأعترف بأنه كان فى السينما ليلتها لان جمال عبد الناصر لم يمر عليه .. وبالتأكيد كانت الاعصاب مشدودة ليلة الثورة .. لكن هل عمل خناقة فى السينما وغير السينما وغير ذلك فلا خوف منه مطلقا . إنما الحق يقال كان أنور السادات موجودا الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ليشارك فى الثورة .

* ومارأيك فيما قاله محمد حسنين هيكل عن أنور السادات فى " خريف الغضب " .

** هيكل كان يريد أن يشوه أنور السادات ! ولقد قلت لهيكل ذلك وكذلك كتب له وزير المعارف السودانى محمد التجانى لأن والدة أنور السادات كانت من بلده وكان يطلق عليها (أم دورين) وهذا لقب تقدير وتفخيم وهو يعنى أن شعرها طويل وناعم ولذلك فهو يصلح لان يكون دورين .. وكان ردى على هيكل هو أن كان البعض قد هاجم أنور السادات لأنه يشعر فى قرارة نفسه أنه أحق من أنور السادات بالحكم فأنه لم يأتى بطريق الاغتصاب ولكن جاء شرعيا بنظام الحكم السياسى الذى أقره مجلس الثورة .. وجمال عبد الناصر هو الذى عينه فى هذا المنصب وأما أن يأتى بعد ذلك من يقول أنه كان هناك قرارا بأن يتولى بدلا من أنور السادات .. وأن القرار كان

فى أنتظار توقيع عبد الناصر فإن ذلك الامر لا يستحق حتى التعليق .

* وما هى العلاقة الحقيقية بين أنور السادات وناهد رشاد ؟

** الحقيقة أن أنور السادات لم تكن له علاقة بناهد رشاد من أى نوع فالرجل كان يصلى ثم أننى أعرف ناهد رشاد ويوسف جيدا من خلال الحرس الحديدى وهى إنسانة صادقة إلى أبعد الحدود وقد لمست ذلك من شهادتها وكان زوجها يوسف رشاد مسجون فى الثانوية العسكرية وذهبت إليها فى منزلها دون أتفاق ودون موعد وكانت شهادتها مطابقة تماما لشهادة يوسف رشاد .

وأحب أن أضيف أن علاقة يوسف رشاد بأنور السادات تعود إلى الاربعينات منذ حادثة الجواسيس الالمان والراقصة حكمت فهمى وقد تعاطف بعدها الملك مع أنور السادات دون أن يعرفه لانه الضابط الذى وقف ضد الانجليز ومع الالمان والملك كان يكره الانجليز ولقد حكم على أنور السادات فى هذه القضية بالبراءة .. لذلك فالملك لم يقدم القضية للمحاكمة .. لان (أدلر) أستعد فى نظير عدم محاكمته أن يكشف لهم شبكة الجاسوسية الالمانية فى الشرق الاوسط . فالثابت أن أنور السادات كان يتعاون فى حدود مع الالمان متأثرا فى ذلك بعزيز المصرى وهذا هو السبب فى أعجاب الملك به .. فلما خرج من هذه القضية براءة أراد الانجليز أن يخرجوه من الجيش فاشاروا للوفد أن يعتقله . فأعتقل وكان هذا هو سبب كراهية أنور السادات للوفد .

* كيف يكره أنور السادات الوفد ويوافق على أنشاء حزب لهم فى عهده ؟!

هل أتخذ ذلك ذريعة لكى يوقف نشاطهم ويعتقل فؤاد سراج الدين فيما بعد ..؟

** لا .. أنور السادات كان يكره الوفد كراهية شخصية لان الوفد أعتقله فى معتقل الزيتون وأخرجه من الجيش ولقد كان السادات من جراء ذلك يعانى الامرين وماتت أبنته فمن الطبيعى كإنسان يكره الوفد .. وفى الحقيقة أن عهد أنور السادات يمكن أن يطلق عليه على حد تعبير العلوم السياسية " ديكتاديمو " أى عهد ديكتاتورى مع مساحة من الديمقراطية ؟ .. والتعبير أختصار لهذا المعنى .. فالدورة السياسية لا يمكن أن تأتى ثورة دون أن يكون ورائها (ديكتا) .. وفى الواقع لو أدركنا الدورة السياسية ومعناها ومراحلها فإننا سوف نسرع بالديمقراطية السليمة .

أنور السادات حين تضعه فى وضعه الصحيح ..عصره عصر الديكتاتورية وقد أراد أن يخصص مساحة من الديمقراطية بجانبها .. ولا نستطيع أن نطلب من أنور السادات المستحيل فهو قد عاصر الديكتاتورية وكان من أنصارها المتحمسين ثم قاسى منها .. فهل نطلب منه يكون (ديمو) بالطبع .. لا .. فهو بالتأكيد سيكون (ديكتا ـ ديمو) .

* وبماذا تفسر سبب أعادته للوفد .. هل أخراج الجثة وتشويهها ؟!

** تعرف أننى قابلت فؤاد سراج الدين فى تلك الايام .. أيام السجن وعلى فكرة هو عمدة بلدتى (محلة أبو على) .. الحامول .. وعلى الرغم من أننى أختلف معه فى الرأى إلا أننى لا يمكن أن أغمط الرجل حقة فالرجل ممتاز ويتصرف فى حدود مفاهيمه الاجتماعية الذى قد نرفضها أو ترفضها ولكن هناك دائما ما يسمى بأدب الحور أنا عمرى ما ناديت على فؤاد سراج الدين إلا يا فؤاد باشا فلا يليق أن أقول له ياسيد فؤاد حتى بعد الغاء الباشوات ولكن حين أعترض الوفد على أنور السادات أستشاط غضبا وقال : أشمعنى ما كانوش بيعملوا كده فى عهد عبد الناصر حين أستأسد الوفد عليه فى قرارته قال مع السلامة بعد أن حل حزب الوفد نفسه .

* د . محسن عبد الخالق .. كنت رئيسا لمجلس أدارة جريدة الجمهورية أثناء عمل أنور السادات بها .. فهل حقيقى ما تردد من أن " السيد عبد المجيد " هو الذى كان يكتب مقالات أنور السادات ؟

** أشهد الله وهذه شهادة أسأل عليها لم أر أحدا يكتب لانور السادات مقالاته وكان مكتبه أمام مكتبى .. وكنت أستعجله فى كتابة مقالاته لان ماكينات الطباعة لاتنتظر أحد .. وكان يضحك .. لكننى أدخل عليه ودائما فأجده يكتب وربما أرتبطت هذه الشائعة بأنور السادات لارتباطه بالسيد عبد المجيد وأشتراكه معه فى قراءة التراث العربى .. كان يجلسان معا فى عوامة محمد الكحلاوى التى أستأجرها لهذا الغرض . فقد كان أنور السادات مولع بالتراث .. السيد عبد المجيد يقرأ وأنور السادات يستمع بأهتمام شديد وتعليق على ما يقال .. وكان السادات يقرأ أيضا روايات إنجليزية ويقال إنه كان يعرف بعضا من اللغة الفارسية ويحفظ أجزاء من أشعار عمر الخيام بالفارسية

ولذلك قيل إنه رد على شاه إيران بالفارسية فى مؤتمر الرباط وألقى جزءا من أشعار عمر الخيام يومها فصفق له الشاه طويلا وقام وأحتضنه . ومن هنا توطدت صداقته بالشاه من المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المغرب .. ومن يومها بدأت رحلة صداقته بشاه إيران !

وسألت أحمد المصرى وهو من الضباط الاحرار المشهود لهم بالكفاءة .

* ماذا كانت علاقتك بأنور السادات .. ؟

** أنور السادات كنت أعرفه قبل ما يطرد من القوات المسلحة ويعود مرة أخرى وأعرفه لسبب بسيط هو إنه كان لى أخا كبيرا مهندسا للقصور وكان هو ومحمد صادق وزير الحربية الاسبق صديقان حميمان .. وكان أنور السادات يتردد كثيرا على أستراحات القصور فى تلك الفترة التى أراد فيها العودة مرة ثانية إلى الجيش .

وكنت أعرف أن أنور السادات من الحرس الحديدى ولذلك لم أصادقه أو أستريح لشخصه ولم تكن بيننا أيه علاقة وموقفه لم يكن واضحا بالنسبة لى فى أزمة ١٩٥٤ مثل جمال سالم مثلا الذى كان موقفه واضحا لدرجة إنه قال لعبد الناصر مرتين أو ثلاثة : أعدمه .. خليك راجل وأعدمه .. لكن أنور السادات كان من الصعب أن تكون لى علاقة به حتى حين أصبح نائبا لرئيس الجمهورية أو حتى رئيسا للجمهورية .

* لماذا ؟؟

** لان أنور السادات وحسين الشافعى كانا على طرفى نقيض ولم يكن سبب ذلك هو أنور السادات أو حسين الشافعى مطلقا .. ولكن السبب الحقيقى وراء ذلك هو جمال عبد الناصر .. ولعبته الشهيرة التى أطلق عليها التوازنات كان دائما يضع أثنان فى مواجهة بعضهما : جمال سالم والبغدادى ..

وزكريا محى الدين والبغدادى .. وأنور السادات وحسين الشافعى .

والحقيقة إن صداقتى لحسين الشافعى وطيدة للغاية وأنا كنت أحبه وأقدره وأحترمه بغض النظر عن أية أعتبارات أخرى لاننى أحس أنه أنسانا صادقا من داخله ونتيجة طبيعية للتناقض الصارخ بين أنور السادات وحسين الشافعى كنت لا أحب

أن أكسر صداقة حسين الشافعى لى والتى أمتدت أكثر من ثلاثين عاما فضلا على أنتى لم أكن أريد شيئا مطلقا من أنور السادات .

وحدث يوما إن قال أنور السادات لمحمود المصرى كبير الياوران :

" أريد أن أرى أحمد المصرى " وكان أنور السادات يريد أن أقابله فقد كان أنور السادات من النوع الذى يحب استقطاب من يحس أنهم لا يناصروه وكان لا يهمه من يناصروه .. هكذا كانت طبيعة شخصية أنور السادات .

فلما تحدد الميعاد ودعوت الله من قلبى .. أن يكون هناك شيئا يمنع هذا اللقاء لأنتى لا أريد أن التقى به خوفا على صداقتى بحسين الشافعى وبالفعل كان الموعد يوم الخميس وأتصلنا بفوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس .

فقال لى :

سيادة الرئيس فى الاسكندرية الان ..

فقلت له : على بركة الله لما يأتى أن شاء الله .

وتوقف الاتصال ولم ألتقى به حتى أغتياله .

الفصل الثالث

السادات :
وقضية مايو ١٩٧١ !

هل مايو ١٩٧١ ثورة حقيقية للتصحيح إلى الافضل أم انقلاب أراد أن يطيح به السادات كل رجال عبد الناصر لينفرد بالحكم والسلطة ؟!

يجيب على هذا التساؤل وزير إعلام عبد الناصر والسادات محمد فائق والذى أتهمه السادات بأنه منعه من دخول مبنى الاذاعة والتليفزيون ليلقى خطابه وبأنه قد أذاع خبر الاستقالة الجماعية للوزراء دون علمه ودون أن يطلعه عليها أو يستأذنه .

وأنتهى الامر بمحمد فائق إلى الاعتقال والسجن عشر سنوات !

وقد خرج السادات بخطاب على الشعب يؤكد فيه على إنه يستطيع أن " يفرمهم "

وقد سألت الوزير محمد فائق " فى حوار مسجل "

* هل كان السادات فعلا يستطيع أن يفرمهم كما قال ؟

** حقيقة كان الموضوع مضحكا للغاية أن يبدأ عهده بأنه يفرم خصومه خاصة وإن هناك دستور للبلد لهذا فهو شيء مضحك حقيقة إنه يتحدث عن الديمقراطية يقول مثل هذا الكلام .. يعنى السادات بدأ بشعار يفرم خصومه وأنتهى بوضع جميع الخصوم فى السجن فعلا .. يعنى أنتهى وهو واضع جميع خصومه فى السجون .. من أول حزب مصر عبد العظيم أبو العطا إلى فؤاد سراج الدين إلى فتحى رضوان إلى هيكل والى .. هل هذا معقول ؟!

* كيف حاصرت قوات الحرس الجمهورى منزلك منذ يوم ١٢ مايو ١٩٧١ وكيف صدر الامر باعتقالك وتقديمك للمحاكمة ؟!

** فعلا حدث ذلك وكان تحديد أقامة ولكنى حقيقة فى دهشة مما حدث .. فكان الموضوع منتهيا تماما .. بمعنى أننا كنا فى ختام القصة وليس بداية الصدام ..

فكانت النهاية ولم يكن هناك صدام حقيقى أو صراع حقيقى بيننا وبين أنور السادات لكن كان هناك خلاف كبير فى الرأى .. على موضوع الحرب وموضوع الوحدة مع ليبيا وتوقيتها .. ولقد فوجئت فى الساعة الثامنة صباحا بطرقات شديدة على باب منزلى وعندما فتحنا وجدت أحد ضباط الحرس الجمهورى يقول لى : نحن متأسفون يا أفندم .. فيه أوامر بتحديد الاقامة ورفع التليفونات !!

وكان الضابط الذى يبلغنى متأثرا على ما يبدو !

وكان هذا له تأثير سيىء للغاية على أولادى فقد استيقظوا من نومهم مفزوعين ، وكانت أبنتى وقتها عندها عشر سنوات وأبني خمس سنوات فقد وجدوا سيارات ومصفحات حول المنزل وقالوا لى فى فزع ودهشة أيه الحكاية يا بابا ؟!

* أستاذ محمد فائق .. كنت أتفقت مع زوجتك أنك بعد تقديم الاستقالة سوف تقضى شهر عسل من جديد وتعتزل السياسة ؟!

** وكيف عرفت ذلك !! .. هذا حقيقى قبل أعلان الاستقالة .. قلت أن من حق زوجتى أن تعرف فقلت لها سأستقيل وسيكون لدينا وقت نستطيع أن نذهب إلى المصيف .

* لكن عندما سجنت تمسكت بالسياسة أكثر فهل السجن علمك العناد ؟!

** أصبحت هناك قضية لانى سجنت بدون وجه حق على الاطلاق ، ولم يكن هناك أى مبرر واحد .. فلا يمكن أن تكون أستقالة الوزير سببا لان يوضع فى السجن .. ولم يكتف بذلك بل أدخلنى السجن مرة ثانية .. وهذا حق دستورى مؤكد للوزير عندما يجد أن السياسة التى يؤمن بها ليست على وفاق مع سياسة رئيس الجمهورية فله الحق أن يقدم أستقالته .. وهذا يعتبر نوعا من عدم المجاملة لرئيس الجمهورية .. هذا صحيح لكنه له مبررراته وهو لم يكن مجاملا لنا أيضا لكن كان فى أطار العمل الدستورى المشروع .

* أستاذ محمد فائق .. عندما تفكر مع نفسك .. هل لو السادات كان قد سار على نفس سياسة عبد الناصر .. هل كنت ستقدم أستقالتك أولا ؟!

** لا أعتقد لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى أدخلنى السجن .. فلا أعتقد هذا !

* هل ندمت على تقديم أستقالتك إلى الرئيس السادات بعد دخولك السجن ؟!

** لا .. لم أندم أبدا .. وفكرة الندم إذا أعترت الانسان عند دخوله السجن فلا يمكن أن يقاوم فى السجن وينهار .. وخصوصا أن الاحداث أثبتت أنه لم يكن ممكننا أن أستمر مع السادات !

* السادات عقد لكم محاكمة استثنائية برئاسة حافظ بدوى وعضوية بدوى حمودة وحكم فيها على بعضكم بالاعدام .. هل حقيقة أن السادات هو الذى أعد الاحكام مسبقة بالاعدام . وأن المستشار بدوى حمودة هدد بالانتحار لو تم تنفيذ الحكم عليكم بالاعدام ؟؟

** هذه القصة حكيت لنا لاننا لم نكن نعرفها ، فقد كنا فى السجن وقتها فلسنا مصدر هذه الراوية .. ولكن مصدرها هو عبد السلام الزيات وقد حكاها لى ونحن فى السجن بعد ذلك فى سبتمبر ١٩٨١ . وقد سألت المحامى فقال لى ليست عليك أية مسئولية جنائية ، لكن هذه محكمة استثنائية بالطبع .. كنت مستعدا لذلك لانه لم تكن هناك فائدة مع المحكمة الاستثنائية .

وحين كنت فى سجن القلعة على ذمة القضية جاءنى ضابط مباحث يدعى مصطفى النحاس قال لى : سوف يفرج عنكم اليوم فى قضية مايو . لانه ليس هناك شىء فى توصيف القضية ! ولكن جاء وقتها المدعى الاشتراكى وقال إنها خيانة عظمى !!

هذا بالطبع ضرب لكل بنود الديمقراطية لان الخلاف فى الرأى لا يجوز أن يكون سببا فى دخول السجن بأى حال من الاحوال ، وهذا لم يحدث بين عبد الناصر وزملائه ، فقد أختلف مع البغدادى .. وأختلف مع زكريا محيى الدين .. وأختلف مع أخرين ولم يدخلهم السجن .. !

أريد أن أقول لك أنه لا يجوز مطلقا أن يكون الخلاف ذريعة للدخول إلى السجن خصوصا مع مسئول .. لكن أيضا أنا من رأيى أنه لا يجوز لأى مسئول وهو فى السجن أن يتآمر على رئيس الجمهورية .

* ألا تجد غرابة فى استمرارك وزيرا للاعلام فى عهد السادات بعد عبد الناصر ؟

** لم تكن هناك أى غرابة لان السادات كان يسير وقتها على سياسة عبد الناصر فمن الطبيعى أن يختار رجال عبد الناصر هذه مصداقية أمام الرأى العام فى الداخل والخارج .

* ولماذا قبلت فى البداية الوزارة ثم قدمت أستقالتك بعد ذلك ؟!

** قلت لأننى أعتبرت السادات جزءا أساسيا من الثورة لم أكن أعلم أنه سيفعل ما فعله بعد ذلك !

* كنت مع شعراوى جمعة وعلى صبرى داخل السجن .. هل السياسى يعمل بالسياسة وهو داخل السجن ؟!

** السياسى يكون متبعا أخبار السياسة لان حياته هى السياسة نفسها !!

* بصراحة : هل أجبرت على توقيع وثيقة تعترف فيها بخطك بجريمة لم ترتكبها فى قضية مايو ١٩٧١ ؟!

** أنا رفضت بطبيعة الحال .. وهذا عرض على بالفعل ورفضته تماما وقلت لنفسى : أننى لو وقعت على هذا أكون قد فقدت نفسى ، وإذا كان لى عمر فسأخرج وأجد نفسى ويمكن هذا هو الشىء الوحيد الذى أثار السادات جدا .

* أستاذ محمد فائق .. يلاحظ أنك الوحيد الذى أمضيت العقوبة كاملة فى السجن وهى عشر سنوات على حين أفرج عن جميع من فى القضية قبل أنتهاء مدد العقوبة المقررة عليهم فقد أفرج عن على صبرى وسامى شرف وفريد عبد الكريم المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة بعد عشر سنوات فقط وأفرج عن باقى المحكوم عليهم أكثر من سبعين متهما قبل أنتهاء المدد المقررة للسجن لماذا ؟!

** هذا الموقف أثارنى جدا وأنا لا أعرف لماذا ؟ .. لأننى كنت الوحيد الذى عرض عليه هذا العرض .. قالوا لى : الريس هيخرجك بكرة تكتب أعترافا .. ولكنى رفضت !!

* السادات كان يحبك .. لماذا كرهته أنت ؟!

* أنا لم أكره السادات وحتى الان رغم ما حدث .. وأنا لم أخرج ببرارة لأحد ولا حتى السادات .. بالعكس .. فقد حدث أننى رجوته ذات يوم لكى يقول لوزير خارجيته عما حدث مع الوزير الفرنسى حتى وافق .. وذلك لمصلحته .. فأنا لم أكره السادات مطلقا .

* رغم أنك ظللت عشر سنوات كاملة فى السجن فإنك لم تكد تخرج منه حتى

عدت إليه ثانية بعد ثلاثة شهور فى اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ .. ما هو الاتهام الذى وجه إليك هذه المرة .. ؟

** لم يوجه إلى أتهام وكان الغريب أن المدعى الاشتراكى قال لى : تفتكر السادات حبسك ليه ؟!

وكان شيئا مضحكا ومبكيا فى نفس الوقت .. أعتقال بدون سبب !

* بماذا تفسر وقوف هيكل بجوار السادات فى مايو ١٩٧١ وبماذا تفسر أيضا وجوده معك معتقلا فى أكتوبر ١٩٨١ ؟!

** بغض النظر عن فترة ١٥ مايو ١٩٧١ والتى كانت فيها أمور كثيرة ملتبسة على الجميع لكن هيكل بكل تأكيد لم يكن يتحمل التحول الذى عمله السادات بعد حرب ١٩٧٣ .

* أستاذ محمد فايق .. لو كنت مسئولا عن الاعلام لحظة أغتيال السادات ؟! ما هو البيان الذى كنت تعده للرجل الذى أعتقلك مرتين ؟!

** أعتقد أن رأيى الشخصى غير وارد فى هذا .. والعملية صعبة للغاية وأنا أريد أن أؤكد على فكرة الاعتقال حين نريد أن نتحدث عن السياسة ليست لها دخل وأنا أستطيع أن أفصل تماما بين المشاعر الشخصية والجانب السياسى وقد كنت أختلف مع السادات أختلافا كاملا خصوصا فى كامب ديفيد وغيره .

* وما رأيك فى شخصية السادات بعيدا عن مسألة الاعتقال ؟

** السادات رجل ذكى للغاية .. لكنه مناور لابعد الحدود .. وما زالوا يطلقون عليه " الميكيافلى " فى تصرفاته لكن فى الوقت نفسه كان عنده قدر كبير من الذكاء .

* ما هو شعورك وكنت معتقلا وقتها ـ وأنت تسمع نبأ أغتيال السادات ؟!

** مزيد من القلق .. وكان طبيعيا أن السجن قد أنتهى لكن كان ينتابنى شعور قلق فى الوقت نفسه على مستقبل مصر .. ومن الذى سيأتى بعد السادات فالقضية ليست قضية السادات ولكن كانت أين تذهب مصر ؟!

* فى رأيك من قتل السادات ؟!

** الذى قتل السادات أعماله .. وهى فى الحقيقة محاولة العنف الاخيرة فى حياته وانقضاضه على الديمقراطية .

* سجنت عشر سنوات ورغم ذلك لم تقدم التماسا للسادات بالعفو عنك .. لماذا ؟

** أولا لست وحدى الذى لم يقدم التماسا فهناك أخرون أيضا لم يقدموا التماسات السجين السياسى بالذات فى رأيى مادام إنه يشعر بأنه غير مخطىء فلماذا يقوم بتقديم أعتذار عن شىء لم يفعله .. فهذا يكون خطأ كبيرا !

* بعد مرور ١٩ عاما على هذا العزل السياسى ما هى القيمة السياسية لقرار المحكمة الدستورية العليا برفع العزل عنك وعن زملائك فى قضية مايو ١٩٧١ ؟

** هى قيمة أدبية فقط لكن الحقيقة أننى أستقبلت من الناس كلها أستقبالا حسنا للغاية .. وأعتقد أن هذا أزال كل شىء فى نفسى .. وبالعكس شعرت بأننى حصلت على أكثر من حقى من التكريم وحب الكثير من الناس ورأيت نماذج وفاء فى سجنى جعلتنى أعبر هذه الفترة .

بعد هذا الحديث الصريح .. هل هناك أسرار أخرى يخفيها محمد فائق .. ربما .. !

* حين سمعت بخبر وفاة عبد الناصر وفكرت فى مستقبل مصر لاول وهلة توقعت من يكون رئيسا للجمورية خلفا لعبد الناصر ؟!

** الحقيقة أننى تصورت أنور السادات بطبيعة الحال وهذا الانطباع هو الذى كان لدى معظمنا وقتها وهو أن يتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية خلفا لعبد الناصر لانه نائب رئيس الجمهورية من ناحية ومن ناحية أخرى لان نقل السلطة بشكل طبيعى ودستورى كان مهما للغاية وكان هذا شيئا طبيعيا لان نقل السلطة لابد أن يتم بشكل متحضر وفى أستكمال جهودنا فى سبيل تحرير الارض وكان هذا هو الموضوع الاساسى لدينا جميعا ولم يكن أنور السادات غريبا على كل هذا فهو كان من المقربين لعبد الناصر باستمرار وعضو مجلس قيادة الثورة فكان هذا هو التطور الطبيعى والمنتظر .

محمد فائق دخل سجون مصر تقريبا : سجن طره ومزرعة طره وملحق مزرعة طره وأبـو زعبـل وسـجـن القلعـة والسجن الحربى .. وأرجـو ألا أكـون قـد نسيت سـجنـا لـم يدخله ؟!

دخل السجن مرتين فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات .. المرة الاولى فى قضية مـايو ١٩٧١ وحكم عليه بعشر سنوات ، وخرج من السجن لمدة ثلاثة أشهر ثم سريان ما عاد إليه فى أعتقالات سبتمبر !

حين جاء الرئيس أنور السادات إلى الحكم أختار محمد فائق وزيرا للاعلام ولكن سرعان ما أختلف فائق معه فكانت قضية مايو ١٩٧١ حيث قدم محمد فائق وتسعة من زملائه أستقالتهم ثم أذاع محمد فائق مجموعة الاستقالات فى نشرة الاخبار حتى قبل أن يبت السادات فى أمر الاستقالة ! وقال السادات أن محمد فائق منعه من دخول مبنى الاذاعة والتليفزيون .. وحاصرت المصفحات منزل محمد فائق ثم قبض عليه وتعرض وسجن عشر سنوات .. وكان هو الوحيد من زملائه الذى قضى العقوبة كاملة لان السادات كان غاضبا عليه !

* هل تعتقد أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أنتهت برحيل عبد الناصر عام ١٩٧٠ أو بأغتيال السادات فى حادث المنصة عام ١٩٨١ باعتباره أخر رئيس من مجلس قيادة الثورة تولى رئاسة الجمهورية ؟ أو بعد قضية مايو ١٩٧١ ؟! أو أن الثورة لا تزال باقية حتى الان .؟

** لا أستطيع أن أقول أن الثورة قد أنتهت .. لكن الثورة مراحل .. فتستطيع أن تقول أن هناك مرحلة من عبد الناصر حتى وفاته ثم مرحلة أخرى هى مرحلة انقلاب القصر الذى قام به السادات .. وأنا أعتبره أنقلابا بمعنى الكلمة حيث تخلص السادات من جميع أعوانه من رجال عبد الناصر والمقصود بانقلاب القصر هو أن الحاكم هو الذى قام بانقلاب .. فهو انقلاب قام به أنور السادات بكل تأكيد .. ومجموعة ١٥ مايو لم تكن مجموعة واحدة على الاطلاق ولكنهم كانوا أعوان عبد الناصر فعلا .. وكل واحد منهم كان له أسبابه ومبرراته وخلافاته مع السادات .. فعلى صبرى كان فى مواجهة مبكرة مع السادات وكان يقودها بمفرده ، ولم يكن فى نيته أن يقوم بانقلاب أو غيره لكن كانت هناك مواجهة بينهما .. ولاشك أن مجموعة مايو لم تكن تعمل معا فى

مواجهة السادات ، ولكن بالعكس ، كان كل منهم له تحفظ فى زاوية معينة !

* ما هو الهدف فى تقديم ٦ وزراء أستقالتهم فى مايو ١٩٧١ بصورة جماعية ؟!

هل هو الضغط على السادات لتغيير سياسته .. أو إعلام الشعب بأنكم غير مسئولين عن تطبيق سياساته ؟!

** من وجهة نظرى الشخصية وأنا أتحدث عن نفسى أننى حاولت أن يكون هناك وفاق وطنى ولا يكون هناك تفرقة .. كنت مسئولا عن الاعلام فكانت مسئوليتى فى تلك الفترة هى تهيئة الدولة من الناحية الاعلامية للحرب وكانت هذه هى مهمتى بعد حرب ١٩٦٧ .. وخلال الفترات التى توليت فيها الاعلام كانت مهمتى الاساسية هى تهيئة الاعلام للحرب التى كانت وشيكة الوقوع ، وفى نفس الوقت ليس بالدرجة التى تكون عبئا على القرار .. وعندما شعرت أن الامور خارجة وتتجه أتجاها لا أرضى عنه أطلاقا وهذا هو الحق الدستورى الوحيد للوزير فى دولة رئاسية بهذا الشكل فأنت لا تملك أكثر من أن تستقيل .. والحق الدستورى فى أن أرفض تغييرا جذريا فى سياسة لا أرغبها .. وهذا هو السبب الحقيقى فى تقديم أستقالتى !

* متى قدمت أستقالتك لاشرف مروان .. وكيف تم الاتفاق بين الوزراء على تقديمها فى وقت واحد ؟!

** كان هناك لقاء فى منزل السيد شعراوى جمعه .. وقال الفريق فوزى نحن لابد أن نحارب وقد أعطيت له خطة الحرب لكى يوقعها ، لكنه رفض ، وكان دورى شخصيا هو أعداد الدولة للحرب وأصبح الوضع جاهزا .. وكان الاتفاق أن تؤجل الحرب شهرا واحدا لاستكمال الدفاعات الجوية .. وأصبحت الخطة جاهزة بالاتفاق مع أنور السادات فى يوم محدد للتوقيع فرفض أن يوقع فعرف أن الحرب مؤجلة ومن أجل ذلك قدم أستقالته .. لذلك فانا أقول أن كل شخص فينا لديه سبب لاستقالته .

* ولكن أنت فى النهاية وزير أعلام ؟!

** لقد كان يهمنا الحرب سواء بنا أو بغيرنا .. فالحرب لابد أن تستمر .. ولقد كان هناك كلام يتردد وقتها بأنه لو حاربت بهؤلاء الناس يبقى هم الذين أنتصروا

ولو فشلت تبقى أنت الذى فشلت !! فكانت هناك مجموعة أسباب لذلك .

* لا يا أستاذ فائق .. سبب الاستقالة هو أن السادات قد أخبر سيسكو بأنه ينوى تغيير محمد فوزى وزير الحربية ومحمود رياض وزير الخارجية وشعراوى جمعة وزير الداخلية وقتها ؟!

** هذ صحيح .. وكنا نعرف ذلك .. وهو بغض النظر عن ذلك كان يقول أننى لدى هدف .. فهو لو كان قد وقع فقد أنتهى الامر وسيدخل فى المعركة ويحارب لكن لو لم يوقع فستكون هذه هى وجهة نظره وقد حدث بشأن التحضير للمعركة أن كانت لدى الفريق محمد فوزى فكرة كان مقتنعا بها وهى أن الجيش لكى يحارب لابد أن يقتنع بأنور السادات . وقد قال : لهذا فقد أخذته من يده ومررته على كل الوحدات وبدأ يعمل خطة كيف يقبل الجيش أنور السادات لان ثقة الجيش فى قائده أو رئيسه عملية مهمة للغاية فى التحضير للمعركة .. فأخذ أنور السادات ودار به فى خطة محكمة لزيارة المواقع لكى يقنع القادة بالسادات ونجح فى هذه العملية فعلا .. وبدأ الجيش يصبح جيشا لانه مؤسسة عسكرية نظامية .. ولم يكن هناك أى خلل على الاطلاق فلم تحدث أى انقلابات .. ولم تكن هناك أى نية لأى وزير أن يقوم بانقلاب .. وأنا شخصيا كان رأيى أن أى محاولة انقلاب من فوق ستؤدى إلى سلسلة من الانقلابات لا تنتهى .

* لكن السادات أتهمك بأنك أذعت نبأ استقالة زملائك الوزراء دون استشارته بهدف أحراجه أمام الرأى العام ؟!

** هذا صحيح .. ولكن ليست هذه جريمة بنص الدستور .. وقد أخذت بالطبع موافقتهم .. ليس كتابة .. ولكن أتفاقا .. وقد طلبوا جميعا أن تذاع والحقيقة أنا أرسلنا رسالة ولم أذع نبأ الاستقالة إلا فى الساعة ١١ مساء فى نشرة الاخبار ، وكنت قد قدمتها لأشرف مروان الساعة الثامنة مساء وتعمدت فعلا أن يكون هناك وقت كاف لكى تكون الاستقالة قد وصلته .. ولا أعرف هل وصلته أولا .. فأنا فعلا تعمدت أننى أعلنت الاستقالة دون أن يقبلها .. ويمكن أن أقولها لاول مرة فأنا كنت حريصا على أن تصله الاستقالة أولا قبل أن يسمعها فى الاذاعة .. وبالتالى أعطيتها لأشرف مروان ، وفعلا كان البعض قد طلب منى أن أقطع الارسال وأذيع الاستقالة فرفضت !

وقلت : لا تكن طبعا أذيعت قبل أن يقبلها وكان هذا مقصودا حتى يعلم الناس أن هؤلاء الوزراء لم يعودوا مسئولين عن أختصاصتهم ، فهو كان سيقول إذا قدمنا استقالتنا له أننى أقلتهم ولن يقول بالطبع إنهم أستقالوا !! فكان من الممكن أن يقول أن هذا تغيير وزارى ولهذا فإننا أردنا أن نقدم أستقالتنا لأن هذه هى أول رسالة كنا نريد أن نقولها وهو أن نعلن أن هناك خلافا معه !

* ألم تكن فى ذلك متجاوزا لحدود وظيفتك كوزير فقد تم أعلان الاستقالة بعد أن تركت وظيفتك بالفعل ؟!

** أنا أعتبره حقا دستوريا مائة فى المائة .. لأن حتى توصيف الوظيفة بعد ذلك ..فالنائب العام قال أن هذا موضوع إدارى حتى أن بعض الناس الذين أذاعوا أشياء بعد ذلك قالوا أن هذه مخالفات أدارية لكن بالنسبة للوزير فهذا حقه .. وأنا لا أقول فى الظروف العادية .. ولكن هذا حدث فى ظروف أننا كنا نريد أن نقول بأن هناك خلافا حدث .. وفى هذه الظروف لم يكن من الممكن توصيل الرسالة بغير ذلك إنما لم يكن المقصود بها أنهيار الدستور أطلاقا لسبب بسيط جدا وهو أنه لم يكن فى نيتنا حدوث هزة تؤثر أكثر من خروج هؤلاء الوزراء ثم تستمر الامور طبيعية !

* ولكن السادات أتهمك بأنك منعته من دخول مبنى الاذاعة والتليفزيون عند دخوله لالقاء بيان ؟!

** هذا غير صحيح .. فأنا لم أسأل فيها ولا وجهت لى تهمة حقيقية بذلك .. فهذا لم يحدث أطلاقا !!

* هل كان السادات لا يريد أن يحارب ويحل المشكلة من البداية من خلال أمريكا ؟!

** طبعا هو كان يتصور ذلك وهذه كانت أحد الخلافات معه . فقد كان فى تصوره أن القضية أن أمريكا كانت تعادى عبد الناصر شخصيا وبعد أن مات عبد الناصرأنتهى كل شىء وسوف يحلو لنا كل شىء ! فقلنا أن هذه الفلسفة لا يمكن أن تكون صحيحة .. لانها مستحيلة من الناحية الاستراتيجية وأستحالة أن يكون هذا التحليل صحيحا .. بدليل ما حدث حين قال أن هذا العام هو عام الحسم وسنة الحرب وكان على هذا الاساس سيضع الامريكان أمام الامر الواقع ويفعلون ما يريدونه

فاضطر فى النهاية أن يحارب .. وثبت أخيرا أن الاسباب التى استقلت من أجلها كانت صحيحة وقد ثبت صحتها بعد ذلك حين اضطر السادات أن يحارب !

* ربما كان السادات واضعا فى أعتباره أنه سيحارب ولكن ليس فى نفس الوقت الذى حددته ؟!

** هذا وضع أنا مسئول عنه .. لان الوضع العسكرى وميزان القوى بين مصر وإسرائيل فى عام ١٩٧١ كان افضل كثيرا من توازن القوى بين مصر وأسرائيل فى عام ١٩٧٣ .. وهذا موضوع تم بحثه عسكريا فى أيام أبو غزالة .. فأنور السادات أجل حرب سنتين ولم يرد فيها ميزان القوى لصالح مصر فى تلك الفترة بل بالعكس أنخفض الميزان . لكن السادات كان متصورا أنه سوف يحل المشكلة سليما .. وكنا نعرف أن المشكلة لن تحل سلميا بل أستحالة أن تحل سلميا وثبت ذلك بالفعل وأضطر أن يحارب فى أكتوبر ١٩٧٣ .

* ولماذا قدمت أستقالتك أذن .. فهل لهذا السبب ؟!

** لا .. فهناك ثلاثة أسباب لتقديم أستقالتى ..

السبب الاول هو أننى شعرت أن أنور السادات يناور على الذين يعملون معه .. ولما كان هنا مساعد وزير الخارجية فى وجود سيسكو قال له أنه سوف يبقى هؤلاء الوزراء .. وقد أبعد على صبرى قبل مجىء روجرز كنوع من الهدية لامريكا .. فبدأت أشعر بأن هناك مناخا غريبا .. وكانت سياسة تحتيه لا تعرف عنها شيئا وسياسة أخرى معلنه .. والحقيقة التى أثارتنى جدا هو ما كشف عنه مدير المخابرات أحمد كامل وعرفت منه التسجيل الذى تم فى منزل سيسكو .

* يقال أن التسجيل تم لانور السادات ؟!

** لا .. ليس صحيحا إنه كان أحد يسجل فى التليفزيون لانور السادات أطلاقا لم يحدث ذلك .. فلم يسجل له أحد .. لكن التسجيل كله كان فى بيت سيسكو فلما عاد مساعد وزير الخارجية مع سيسكو فى البيت وبدأوا يتحدثون أكتشفت أنه من المستحيل أن تستمر مع أنور السادات خصوصا أننى كنت وزيرا للاعلام ومسئولا عن تهيئة المناخ للحرب فكيف أجىء للحرب فى مثل هذا الجو المستحيل .. وكنت أمام

طريقين : أما أن أظل فى موقعى وأشارك فى أوضاع أنا لا أرضى عنها ولا أحبها ولا أرغب فيها .. وأما أستقيل وأترك هذه الاوضاع وهوما كان فقدمت أستقالتى !

* هل لابد أن يكون وزير الاعلام مقتنعا بسياسة رئيس الدولة أو أن يكون وفيا له أو لسياسة الدولة فى حد ذاتها ؟!

** بالتأكيد فحتى آخر لحظة عملت فيها مع أنور السادات كنت فعلا مخلصا للدولة ولم أكن متناقضا مع السادات فأنا لم أعمل ضد رئيس الجمهورية حتى أخر لحظة .. ولما وجدت أن ذلك مستحيل قدمت أستقالتى !

* هل مايو ١٩٧١ انقلاب أو ثورة مضادة أو أطاحة برجال عبد الناصر ؟!

** توصيفه أنه انقلاب قام به رئيس الجمهورية حتى يعطى مبررا لتغيير السياسة جذريا .. لانه أول ما جاء إلى الحكم أعلن أنه يسير على سياسة عبد الناصر وعلى طريق عبد الناصر لدرجة أننا لمناه حين ذهب وأنحنى أمام تمثال عبد الناصر فى مجلس الشعب وأظنك لا تزال تذكر هذا المشهد العجيب .. ولقد أرسلنا وفودا إلى جميع أنحاء العالم قال لهم فيها أننا سوف نحارب وإن المعركة وشيكة الوقوع .. وصدقنا ذلك .. ولكن فجأة وجدنا أنه لا يريد أن يحارب ويقول أن أمريكا سوف تحل المشكلة بالطرق السلمية وهذا هو الموضوع الاساسى بالاضافة إلى المناورة الزائدة باسلوب جعلنى شخصيا أفقد الثقة تماما !

وسأروى لك قصة كانت فى منتهى الغرابة .. وهى قصة أرويها لاول مرة .. أننى كنت قد وجهت الدعوة إلى وزير الدولة الفرنسى للشئون الخارجية ولبى الدعوة .. استقبلناه وزار رئيس الوزراء د . محمود فوزى الذى قال له : أننا سوف نحارب والحرب وشيكة الوقوع .. ثم اصطحبته إلى الرئيس السادات الذى استقبله وقال له على مبادرة قناة السويس وقال له بالحرف الواحد : ليس عندى مانع لو أن فرنسا تقدمت بمبادرة فتح قناة السويس فسوف أوافق عليها فورا .

ومعنى فتح قناة السويس أننا لن نحارب نهائيا وأن المسألة سوف تحل سليما وكانت مفاجأة كبيرة للوزير الفرنسى ولى أنا شخصيا وبعد انتهاء المقابلة اتصلت بالسادات من منزلى وقلت له :

- ياريس أرجوك ابلغ هذا لمحمود رياض .. فماذا سيقول الرجل وهو وزير خارجية ولا يعلم بهذا ؟!

فقال لى السادات :

- لا .. لا يا محمد لا تقل له !!

وبعد محاولات معه قال لى :

- قل له لكن لا يقول لاحد مطلقا !

فطبعا كنت فى دهشة كبيرة مما يحدث .. فلم تحدث مثل هذه السياسات مطلقا فى عهد عبد الناصر .. أسلوب مختلف تماما فاحسست بنوع من التمزق الغريب .

* ولكن وجهت إليك فى قضية مايو ١٩٧١ تهمة محاولة قلب وتغيير دستور الدولة ونظامها الجمهورى وتشكيل الحكومة بالقوة وتهمة الخيانة العظمى المنصوص عليها فى المادة الخامسة من قانون محاكمة الوزراء ؟!

** هذا يكشف لك مدى التناقض الشديد .. فإذا كان وزير يريد قلب نظام الحكم فأول شىء يفعله هو أن يستولى على الاذاعة .. وأنا كنت وزير اعلام وتركت مكتبى وتركت الوزارة وقدمت استقالتى وذهبت للبيت فهذا يكشف لك أنها أتهامات لا أساس لها من الصحة .

* التحقيقات كشفت عن وجود التنظيمات سرية بين الطلائع فى الاتحاد الاشتراكى وإن شعراوى جمعة قام بتشكيل هذه المجموعات عقب وفاة عبد الناصر كما تضم هذه المجموعات أفرادا من التنظيم الطليعى وهم الذين دبروا المؤامرة وتحركوا من أجل تنفيذ التخطيط ؟!

** كان هناك التنظيم الطليعى وهو تنظيم معروف .. وقد أنشاء عبد الناصر وكان السادات يعلم ذلك وكان هذا شيئا عاديا فقد كانت هناك فكرة لعمل نواة لكى تصبح حزبا بعد ذلك .. وكانت فكرة عبد الناصر فى هذا التنظيم أنه كان من حق التنظيم أن يختار الناس لانك حين تعلن أن هناك تنظيما فسوف تكون هناك حيرة فيمن تختار ومن تترك .. فمن الصعب عمل تنظيم سياسى وأنت فى السلطة فأراد عبد الناصر أن يكون سريا حتى تكون لديه قدرة للاختيار من ناحية ، ومن ناحية أخرى حتى

لا يستغلوا نفوذهم باعتبارهم حزب السلطة وبالتالى فإن هذا المفروض أنه تنظيم سرى .. ومن ناحية ثالثة فإن هذا فى تصورى كان نواة لاعلان حزب سياسى بعد ذلك عندما تتعدد الاحزاب .. وهذا لم يكن تأمرا فهذا التنظيم موجود من أيام عبد الناصر ويعلم به السادات قبل وبعد رحيل عبد الناصر .

* بصراحة .. هل كان فى مقدورهذه المجموعة أن تقوم بانقلاب فعلا ضد السادات لو أرادت ؟!

** طبعا ليس فى هذه اللحظة .. لان هذه اللحظة كانت هى نهاية الموضوع لحظة الاستقالة .. وهذه المجموعة كانت تملك المقدرة على ذلك ، لكن أنا شخصيا كنت أرى أن الوزير لا يجوز أن يشارك فى انقلاب أبدا فهذا من أخطر الاشياء حقيقة وهى سلسلة لو تمت لن تنتهى أنما هذه المجموعة لم تحاول قلب نظام لحكم على الاطلاق بل بالعكس ربما حاولوا أن يقاوموا تغييرات أساسية فى السياسة مثل رفض فكرة الحرب أو أن أمريكا بشروطها تحل الموضوع سلميا دون الدخول فى حرب ، فكان من رأى هذه المجموعة أن فكرة الحرب ضرورية .

* * *

وهذه شهادة أحد الذين أصطلوا بنيران قضية مايو ١٩٧١ وهو السفير مجدى حسنين أحد الضباط الاحرار الذين حددت أقامتهم .

* أستاذ مجدى حسنين .. كنت سفيرا لمصر فى تشيكوسلوفاكيا حين قامت أحداث مايو ١٩٧١ وقد حدث أقامتك من المدعى العام الاشتراكى ؟ لماذا ؟ هناك علامة أستفهام .. أليس مراكز القوى هم على صبرى وأعوانه الاخوة الاعداء على مدى حياتك السياسية .. أليس هذا غريبا ؟!

** أنا كنت فى براغ حين توفى جمال عبد الناصر ولم أعد إلى مصر إلا فى أجازة بعدها بشهور وعلى وجه التحديد يوم ٣ أبريل ١٩٧١ وطلبت مقابلة أنور السادات فقابلنى فى اليوم التالى مباشرة ٤ أبريل وجلسنا أكثر من ثلاث ساعات فى حديقة استراحة القناطر الخيرية تتجاذب اطراف الحديث وفوجئت بالسادات يقول لى : أنا لم أحزن على عبد الناصر أننى لم أحزن على عبد الناصرولو نصف دقيقة !! ثم يقول

بعدها : أنا لن أحارب أسرائيل ؟؟ فقلت لماذا ؟ قال : لن أحارب أسرائيل وسأعقد صلحا معها .. ولو حاربت أسرائيل فلن أحاربها إلا بعد أن أصنع الطائرة فى مصر قلت له : إذا صنعت أعظم طائرة فإن أمريكا سوف تعطى اسرائيل أحسن منها .

وتجادلت مع أنور السادات بشدة فأنا أعرفه منذ زمان كنا زملاء تشكيل واحد ١٩٥٦ مع حسن عزت وشريح طلعت وقبل ذلك أن الذى أعطيت له القنابل لضرب أمين عثمان .. وقلت له كيف تفعل ذلك : الست يساريا فقال : لا لست يساريا بل تقدميا .. فقلت فسر لى يعنى أيه تقدمى .. وأشتعل الحوار بيننا كادت أن تحدث خناقة وعلت أصواتنا فى الحديقة وقال لى : أنا سوف أطرد على صبرى وأحل الاتحاد الاشتراكى .

فقلت له : أنت تعلم جيدا أننى لا أحب على صبرى وسبق أن قدمت لك الكثير من الاستجوابات حين كنت رئيسا لمجلس الامة ضد على صبرى ولكن أقول لك الآن لا تحدث أنقسامات فى البلد والعدو على الحدود .. إذا كنت لا تريد على صبرى يمكنك تعيينه سفيرا فى أى دولة .

لكن لا تحدث أنقسامات فهذا ليس فى صالح مصر . ثم أجتمعت بعلى صبرى وشعرواى جمعة وقلت لهم : مصر فى طريقها إلى الضياع والسادات سيفعل فيكم مثلما فعل محمد على فى المماليك .. لازم تكونوا جدعان .!

فقالوا لا تسافر وأبق فى مصر .. قلت لا .. وسافرت على الفور ..

* لماذا أجتمعت الاضداد ضد أنور السادات ؟ أليس غريبا أن تلتقى مع على صبرى عدوك اللدود بعد كل ما حدث ؟

** لاننا وجدنا فيها خيانة وطنية حقيقة وشتان بين عبد الناصر والسادات .. عبد الناصر أسقط أيدن وموليه .. لاول مرة دول نامية تسقط رؤساء وزارات فى أوربا ثم أصبحنا بعد ذلك مستهدفين .. والاعلام الفلسطينية منكسة ولا تستطيع أن تكتب مقالة ضد أسرائيل .. يمكن أن تكتب ضد أى بلد إلا إسرائيل !

وقد تندهش إذا عرفت أننى ذهبت إلى على صبرى بعد خروجه من السجن رغم

أننى أكره إلى حد الموت .. وعرفت أنه كان يريد أن يدخل فى التنظيمات السرية بعد ما خرج من السجن بعد أحداث مراكز القوى وقلت له : أننى أزورك اليوم لا قول لك حمدا لله على السلامة على خروجك من السجن لكن أوعى تدخل السياسة مرة ثانية فانت سبب المصائب كلها .. فقد أراد على صبرى بعد خروجه من السجن أن يعيد تنظيمات سياسية سرية ولكنى منعته أننا لم نكن خونة للوطن ولكن كنا وطنيين ولم نكن نعرف الخوف حتى فى مواجهة عبد الناصر فحين ذهبت إليه لاقابله ولم يقابلنى قلت له : لقد تعاليت وأستكبرت ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

الفصل الرابع

السادات :

هل شارك السادات فى
اغتيال خصومه السياسيين !

هناك سؤال دائما يتردد على الاذهان .. هل فكر السادات لا يعرف الاغتيال ؟.

والاجابة هى .. لا .. بل هو ضليع فى الاغتيال .. وعقله مدبر جيد لاصطياد الفريسة وهذا معلن ولم يخفه السادات نفسه فى قضية مقتل أمين عثمان ومحاولة أغتيال مصطفى النحاس ، أما غير المعلن والذى يتهامس به البعض خلال حكمه فهو سقوط الليثى ناصف من أحد الطوابق العليا فى لندن وقيل إنه بتدبير من أنور السادات شخصيا وحادث طائرة المشير أحمد بدوى ورفاقه فقد تردده أيضا أن السادات لم يطلع على هذا الحادث سوى شخصين فقط كانت مهمتهما هى تخريب أجهزة الطائرة لكى تفقد توازنها عقب أقلاعها كما حدث بالنسبة لمحمد على ومذبحة القلعة فلم يطلع أحدا على أسرار المذبحة سوى أربعة أشخاص فقط للقيام بمهمته !

ولا يزال السؤال قائما : هل فكر السادات لا يعرف الاغتيال ؟

والاجابة للمرة الثانية : لا .. بل هو ضليع فى الاغتيال .. وعقله مدبر جيد لاصطياد الفريسة .. حدث هذا فى محاولة أغتيال النحاس باشا يوم ٦ سبتمبر عام ١٩٤٥ حيث كان عادة النحاس باشا أن يلقى خطابا كل عام بمناسبة مولد النبى فى النادى السعدى مقر حزب الوفد فانتظر السادات وبعض أفراد الجمعية السرية خروج النحاس من جاردن سيتى إلى شارع قصر العينى حيث مقر النادى وكان البوليس يحرس الطريق منعا للشغب رغم أن مصطفى النحاس لم يكن وقتها فى الحكم بل كان أحمد ماهر .

وكان السادات قد درب أعضاء الجمعية السرية على أستعمال القنابل اليدوية فى جبل المقطم حيث يوجد مخزن السلاح للجمعية وبعد أن أعد " رسم كروكى " لخطة الاغتيال أتفق على أن يكون حسين توفيق هو منفذ الاغتيال وجاءت سيارة مصطفى النحاس وفعلا ألقى حسين توفيق القنبلة فى الوقت المناسب ولكن فجأة ظهرت عربة ترام فى شارع قصر العينى كادت تصطدم بسيارة مصطفى باشا النحاس وهى خارجة من جاردن سيتى فأسرع سائق السيارة لكى يتحاشاها .. وكان فرق السرعة ٦ ثوان فقط .. كانت كفيلة حين القيت القنبلة بأن تكون سيارة مصطفى النحاس خارج منطقة الانفجار وبدلا من أن تصيب القنبلة سيارة مصطفى النحاس أصابت سيارة أتوبيس .. بها فتيات .. تابعة للقوات المسلحة البريطانية !

وكان السادات واقفا على مقربة يراقب الخطة التى وضعها بنفسه لاغتيال مصطفى النحاس فانسحب فى هدوء وركب الترام إلى ميدان الاسماعيلية وهو الان ميدان التحرير حيث توجه إلى مقهى (استرا) وهو المكان المخصص للقاء بينه وبين أعضاء الجماعة السرية .

وفى نفس الوقت هذا المقهى (استرا) قرر السادات أيضا التخلص من أمين عثمان الذى تولى وزارة المالية طوال حكم النحاس باشا بعد أن فرضه الانجليز فى ٤ فبراير .

أنتظروا أمين عثمان عند مقر حزبه الذى كونه وهو (رابطة النهضة) وكان يقع فى شارع عدلى فى وسط القاهرة وكان ذلك يوم السبت ٦ يناير عام ١٩٤٦ .. وفى المساء ذهب حسين توفيق إلى مقر الحزب وعند باب العمارة حسب الخطة التى وضعها أنور السادات وقبل أن يصل أمين عثمان إلى المصعد ناداه حسين توفيق قائلا :

" يا أمين باشا .. يا أمين باشا "

وحين التفت إليه أمين عثمان أطلق عليه حسين توفيق رصاص مسدسه وكان فى إمكان حسين توفيق أن يهرب دون أن يحس به أحد فقد كانت القاهرة تسبح وقتها فى الظلام الدامس طبقا لما كان يطبق أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان حيث شاهد بمحض الصدفة ضابط طيار أسمه " مرسى " حسين توفيق وهو يغتال أمين عثمان .. ونبه الناس إلى ذلك فجروا وراءه .. وظل يجرى وهم وراءه حتى أشتد حصارهم عليه ففجر حسين توفيق قنبلة من قنبلتين يدويتين كان أنور السادات قد أعطاهما له وأوصاه بالأ يستعملهما إلا فى حالة الضرورة القصوى .

وفعلا عمل حسين توفيق بوصية أنور السادات له فرمى القنبلة وأدى الانفجار إلى الغرض المطلوب فانصرف عنه الناس فجرى بعيدا عن موقع الاحداث أما السادات فقد كان يجلس فى مقهى قريب من موقع الاحداث فلما سمع انفجار القنبلة أطمأن على أن العملية تمت بنجاح فاستقل الترام وذهب إلى بيته فى كوبرى القبة !

وفى الصباح قرأ السادات خبر أغتيال أمين عثمان فى الصحف وكيف أن المندوب

السامى البريطانى أستدعى كبير أطباء الجيش الانجليزى فى محاولة يائسة لانقاذه وذكرت الصحف أيضا ضمن تفاصيل هذا الحادث كيف أن أمين عثمان يوم أغتياله كان ضيف المندوب السامى البريطانى الذى استقبله فى الظهر وتناولا طعام الغذاء وعلى مائدته .

ولقد أختبأ حسين توفيق أربعة أيام فى منزل الكاتب الكبير (إحسان عبد القدوس) ولقد أستوحى إحسان عبد القدوس من ذلك قصته " فى بيتنا رجل " كما جاء فى حواره معى قبل رحيله فى كتابى " إحسان عبد القدوس بين الاغتيال السياسى والشغب الجنسى " فقد قال لى إحسان عبد القدوس " كان حسين توفيق عندى فى البيت لمدة أربعة أيام هاربا من أعين البوليس .. وكنت أرتعد ليلا وهو نائم بجوارى على السرير .. فقد كان لا ينام إلا وتحت رأسه مسدس .. وطبعا أنا لا أحب المسدسات مطلقا ! .. ولكن الفضل فى نجاح مهمتى يعود إلى والدى وزوجتى .. فقد كان والدى مقيما معى فى تلك الفترة وكان يسهر مع حسين توفيق .. وكنت أتعمد أن أترك البيت كثيرا حتى لا يشك أحد فى أننى متستر على أحد فى منزلى ولهذا فقد كنت أخرج كثيرا واتصل بالناس . حتى البوليس كنت على اتصال وثيق به حتى لا تساور أحدا الشكوك .. وحدث يومها أن قال لى مدير البوليس وكان أسمه الجزار : مش حتقول لنا حسين توفيق فين ؟!

وأخذتها على أنها نكته فلم أصدق أنه يعرف أن حسين توفيق عندى فى المنزل ؟

وبعد ذلك أعلن عن مكافأة قدرها ٥ آلاف جنيه لمن يرشد عن مكان حسين توفيق .. وفوجئت ذات يوم بأن " السفرجى " فى منزلى أكتشف بالصدفة وجود حسين توفيق .. ومن هنا شعرت بالخوف لاننى لا أستطيع أن أضمن أمانة عندى فتحدثت مع الاصدقاء المقربين وحسين توفيق فى شأن ضرورة أختفائه فى مكان أخر خشية أن ينكشف أمره . وأنتقل بالفعل .. وكان كل الذى خرجت به من هذا الموضوع هو قصة " فى بيتنا رجل " مع أختلافها بالطبع عن واقع العملية ذاتها " .

وبعد أن خرج حسين توفيق من منزل إحسان عبد القدوس ظل البوليس يبحث عنه خاصة بعد أن تطوع الطيار موسى بوصف ملامح القاتل التى انطبقت على حسين توفيق والذى كان محل شبهة لدى البوليس فقد كان يمارس هوايته فى قتل

الانجليز فى المعادى وتم القبض عليه ولم يعترف فى البداية ، فحين سأله وكيل النيابة أين كنت وقت الحادث ؟ لم يستطع الاجابة فقبضوا عليه تحت ذمة التحقيق .. وظل حسين توفيق على صمته هذا يومين إلى أن أوعز وكيل النيابة إلى الصحافة بالتلميح أن وراء هذا الحادث إسبابا نسائية فاعترف حسين توفيق على الفور .. ولم يطل انتظار أنور السادات كثيرا فبعدها بليلة واحدة كان البوليس يطرق بابه فى الثانية صباحا وخرج إليهم أنور السادات وقال لهم : هل معكم أمر من النيابة بالتفتيش ؟!

فقالوا له : نحن معنا وكيل النيابة نفسه .

وهنا قال له وكيل النيابة : نعم أنا الذى أحقق قضية أمين عثمان .. وبعد تفتيش البيت حجرة حجرة أخذوه معهم إلى سجن الاجانب ..

أذن الاغتيال له مساحة فى فكر السادات حتى قبل سقوط طائرة المشير أحمد بدوى بـ ٣٥ عاما !

الفصل الخامس

السادات :

والصحافة المأسوف عليها !

وهـذه شهـادات خمسـة صحفيـين مـن خـلال حـوارات مـعهـم هم الاسـاتـذة جلال الـدين الحمـامصى وأنيـس منصـور ومحـمود السـعدنى ومصطفى محـمود ومحمد حسنين هيكل .

وعلى الرغم من أن الكاتب الكبير أنيس منصور كان فى مقدمة الكتاب الذين كان يرتاح لهم شخصيا بل لا أكون مبالغا لو قلت أن العلاقة بين السادات وأنيس منصور وصلت إلى حد أنها لم تكن علاقة بين رئيس جمهورية وكاتب كبير بل إلى صديقين ليس بينهما أى تكليف !.

وكانت العلاقة طيبة أيضا بين السادات ومصطفى محمود .

أما محمود السعدنى فقد أصطلى بنيران السادات منفيا عن مصر ٩ سنوات .

أما أكثر الكتاب الذين أضيروا من السادات فكان هيكل الذى تعرض لاعتقالات سـ-مبر الشهيرة .

الفصل السادس

السادات :
شهادة الجمسي
عن السادات

* أستاذ جلال الدين الحمامصى ـ ما هو الفرق بين حديث عبد الناصر للصحفيين حين أمم الصحافة أجتمع بالصحفيين فى قصر القبة فى مايو ١٩٦٠ ، وما قاله السادات فى أجتماعه بالصحفيين فى الاسكندرية فى أغسطس ١٩٧٤ ؟.

** لا فرق بينهما ولو أن كلام السادات جاء متأخرا بعض الشىء .. كان قد عمل للصحافة شكلا حرا وأراد أن يمهدللتغييرفدخل فى دور التهديد غير المباشر وأرتفع به إلى أنه لم تكن هناك حرية صحافة !

* أستاذ جلال الدين الحمامصى .. حين طرد السادات دافيد هيرست الذى نشر مقالاته ضد مصر ورئيسها وقرينته ونشره فى جريدة " الجارديان البريطانية " ثم صدر قرار بطرد الصحفى من مصر فورا .. لماذا غضبت الصحف والمراسلين من هذا الاجراء .. هل كان هذا دفاعا عن صديق أم أنه كان معه حق ؟!

** فى أعقاب فترة أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ كتب صحفى بريطانى أسمه دافيد هيرست مقالة عنيفة ضد السادات وقرينته ونشره فى صحيفة " الجارديان البريطانية " وقد عقد السادات مؤتمرا صحفيا فى بلده " ميت أبو الكوم " وأصدر قرارا بطرد هذا الصحفى من مصر فورا وبالفعل أتجهت قوات الامن إلى غرفته بفندق هيلتون وأخرجته فى منتصف الليل وعلى أول طائرة كان مسافرا إلى خارج مصر !

وقامت قيامة مراسلى الصحف الاجنبية فى مصر .. كيف يحدث هذا ! الدفاع عن حرية الصحافة ذلك لانه ما حدث لهذا الصحفى البريطانى هيرست يمكن أن يحدث لهم . وعلى الفور أضطر رئيس هيئة الاستعلامات وكان وقتها مرسى سعد الدين إلى عقد مؤتمر صحفى أعلن فيه أن سلطات الامن قد تسرعت فى أصدار القرار وأن الهيئة لا تمنع فى عودة مستر هيرست ثانية إلى القاهرة !

* ولماذا الغضب إذا كان قد حدث فى نفس الوقت طرد واحد من العاملين فى مكتب وكالة تاس السوفيتية للانباء بواشنطن ردا على طرد مماثل لاحد مراسلى وكالة أنباء أمريكية من موسكو لاتهامه بالجاسوسية ؟!

** تشاء الظروف فى نفس أيام طرد هيرست أن يطرد السوفيت صحفى أمريكى من موسكو وبالطبع بادرت الحكومة الامريكية كعادتها إلى المعاملة بالمثل ، وقد أختلف الحكم فى هذه الحالة على الحكومة الامريكية وموقفها بين مؤيد ومعارض

والمعارضين كانوا يعارضون على أساس أن هذا التصرف فيه مساس بحريات الصحفى ولكن فى مقابل ذلك كان هناك رأيا مؤيدا على أساس أن أى تهاون فى أتخاذ أجراء حاسم قد يشجع فى المستقبل على معاملة الصحفيين الامريكيين معاملة غير طيبة إذا ما كتب أحدهم منتقدا القادة فى الدول الشرقية وهذا يستتبع بدوره أهتزاز الثقة فيما يبعثون به من تقارير وأخبار صحفية !

رئيس تحرير الاخبار وقتها رفض نشره مما أكد حساسية الحديث عن حرية الصحافة وقتها .

* أستاذ جلال الدين الحمامصى .. عشت فى الاهرام الخلاف بين هيكل وأنور السادات فى بداية حكمه والصراع الخفى بينهما .. ما هى حقيقة هذا الصراع الذى أنتهى بسقوط قلعة من قلاع الصحفى الفرد فى الصحافة المصرية ؟

** أذكر أيامها أن الرئيس السادات أراد أن ينتهز أول فرصة للتخلص من هيكل ولما أحس هيكل بذلك أزداد الظهور بمظهر المعارض لحكم السادات سواء عن طريق مقالاته وتعليماته المضادة لتعليمات السادات فى الاهرام ، ولقد تزامن عودة مصطفى أمين وعلى أمين إلى الصحافة مع أبتعاد هيكل من الاهرام ولقد أحس هيكل فور عودة على أمين من الخارج أنه سيخرج حتى من الاهرام ورغم أن مصطفى وعلى أمين كانا على يقين من أن هيكل كان السبب المباشر فيما ألم بهما إلا أن على أمين قد لبى دعوة هيكل لزيارة الاهرام ووافق على قبول دعوته للغداء بالاهرام . ومن المفارقات الغريبة أن يتزامن موعد دعوة الغداء هذه مع خروج مصطفى أمين من السجن .. ولهذا أذكر أنه حين علم مصطفى أمين بذلك صرخ وقال : الحقوا على لا تدعوه يذهب إلى غذاء هيكل لانه سيستغل ذلك ويقول أنه هو الذى أخرجه من السجن !

ولهذا لم يذهب على أمين وسط دهشة الجميع وأولهم هيكل الذى زالت دهشته فى اليوم التالى حين قرأ نبأ صدور قرار الافراج عن مصطفى أمين فى الاخبار مثله فى ذلك مثل أى قارىء ! ولهذا حرص هيكل على أن ينشر الخبر فى الاهرام فى اليوم التالى مع التأكيد بأنه " أفراج صحى " للدلالة بأن التهمة الموجهة إليه والتى سجن بسببها ما تزال قائمة !

وقد وصف هيكل لقائه بمصطفى أمين بعد ذلك بأنه كان باردا وأن الاحضان كانت

ميكانيكية وخرج هيكل من الاهرام ودخله على أمين وسط صعوبات كثيرة فالخلافات والصراعات الشخصية والجانبية فى الاهرام كانت كثيرة للغاية . ولقد حاول هيكل بعدها أن يذيع ويشيع بأنه عائد إلى الاهرام وكان يسعى لذلك عن طريق صديقه سيد مرعى ولكن السادات رفض هذه الفكرة مطلقا !

* أستاذ جلال الدين الحمامصى .. لماذا رفضت رئاسة تحرير صحف المعارضة فى مصر ! الوفد والاحرار : وهل حقيقة حين طلب منك مصطفى كامل مراد أن تكون رئيس التحرير قال له السادات : سيبك منه !

** أنا فى داخلى لم تكن لدى الرغبة فى رئاسة تحرير صحف المعارضة لان ذلك معناه الرجوع إلى الحزبية . ودعك ممن يقولون لرئيس التحرير الحزبى لا .. ليس لك شأن بالحزبية .. لا .. ليس هذا صحيحا فهو حتى سيفقد بعض سلطاته أمام الحزب .. وقد عرض على رئاسة تحرير صحيفة الوفد فاعتذرت مرة وأثنتين وثلاثا تحت الحاح فؤاد سراج الدين لاننى لا أريد أن أكون حزبيا وقد ردد نفس الكلام وقال لى : أحنا مش عاوزينك تكون عضو فى حزب الوفد ولكن رئيس تحرير جريدة الوفد ولا علاقة لك بالحزب !

وقلت لمصطفى كامل مراد حين عرض على رئاسة تحرير الاحرار أسأل أنور السادات لاننى أعرف أنه على صلة قوية به .. فذهب ولم يعد .. مصطفى أمين حكى لى بعدها بفترة أن مصطفى كامل مراد ذهب لمصطفى أمين وقال له : رشح لى رئيسا لتحرير الاحرار فقال له : طيب ما أنت كلمت جلال الحمامصى ! فقال له : السادات قال لى سيبك منه . أذن سؤالى وتحريضى له على أن يسأل .. كان فى محله .

* أستاذ جلال الدين الحمامصى .. أنت الوحيد من كل الصحفيين الذى قبلت الاشراف على جريدة لجمهورية وصحف التحرير نائبا لانور السادات .. فلماذا قبلت ولماذا أعتذر معظم الصحفيين الكبار وقتها بما فيهم هيكل عن عدم المشاركة فى أصدار أول صحيفة للثورة ؟

** بسبب كلمة قالها أنور السادات قال لى : هناك أحداث مؤثرة يمكن أن تقع فى الصحافة ثم قال لى لازم تجىء معنا جريدة الجمهورية والحقيقة أننى كنت مترددا فى

البداية فقال لى مفيش حد من المحترفين فى الصحافة على استعداد يعمل معنا هنا قررت أن أتصدى للفكرة .

* أستاذ جلال الدين الحمامصي .. حين أسست وكالة أنباء الشرق الاوسط كنت تعرض على عبد الناصر خطة العمل خلال السنوات الخمس الاولى هل قال لك عبد الناصر : سيبك من أفريقيا الان .. أن دورها لن يأتى بسرعة ؟!

** لا .. هذا حدث عندما كنت فى " الجمهورية " .. وكانت الارضية الخاصة بالجمهورية علم فيه نجمة أو نجمتين فقلت لعبد الناصر .. أنشاء الله نعمل نجمة ثالثة على أنها تعبر عن أفريقيا فقال لى : سيبك من أفريقيا الان .. الدور لسه ما جاش عليها !

* أستاذ جلال الدين الحمامصي .. قلت عن السادات بعد غيبة ١٤ عاما عن الكتابة فى أول عمود لك : دخان فى الهواء " أفكار هذا الرجل تتركز حول معنى هو حرية الرأى وتقديس حرية الرأى وضرورة أصرار كل فرد على الدفاع عن هذه الحرية مهما يكن القمع " .. هل هذه الصورة لم تهتز فى ذهنك على مدى سنوات حكم السادات !

** أهتزت فعلا بدليل أن موسى صبرى تدخل فى مقالاتى فى عهد أنور السادات والذى فهمته عن موسى صبرى فيما بعد أن كان يتدخل بناء على " تعنيف " له من أنور السادات على أنه كيف يسمح لى بأن أقول ما أشاء ثم أن هذا التدخل تدرج إلى تدخل بالحذف . وهذا شىء لم أقبله ، لقد فصلت من أخبار اليوم فى أواخر عام ١٩٦٠ وأشتغلت بالجامعة الامريكية كأستاذ للصحافة وكرئيس لقسم النشر .

* بالمناسبة لماذا عملت بالجامعة الامريكية بالذات ، على الرغم من أنها سبق أن فصلتك منها وأنت طالب بها لانك قمت بمظاهرة ضد النحاس باشا من داخل أسوارها ؟

** الحكاية أن النحاس باشا كانت له عادة أن يمشى فى الشارع ، فكان فى طريقه فى قصر العينى للنادى السعدى .. ومر من أمام الجامعة الامريكية فعملنا له مظاهرة من داخل أسوار الجامعة الامريكية .. والحقيقة أن الجامعة أضمرت لنا ذلك فى نفسها ، وبدلا من أن تلجأ إلى الفصل السياسى لجأت لاسباب سوء السلوك .. وكان

وقتها لاعتبارات سياسية . فلما فصلني عبد الناصر جاء عرض الجامعة الامريكية فقبلت ، لان العرض كان فى مجالى ، وبالعكس كانت هناك فرصة لان أوجد قسما للنشر والان هذا القسم أرتفع أرتفاعا كبيرا وتحقق منه الهدف العلمي للنشر ، ثم عدت لاخبار اليوم عام ١٩٦٧ وكانت عودتى كمشرف عام لاننى لم أجد شيئا قد تغير فى الصحافة بحيث يجعلنى أساهم مساهمة فعالة فى التحرير فكانت العودة كمشرف عام على التحرير ، وبعد هذا وقع ما وقع من أنقلاب فى أخبار اليوم .

* أستاذ جلال الدين الحمامصي ، لماذا هربت من مواجهة محمود أمين العالم الذى تولى أخبار اليوم ؟ .. لماذا هربت إلى الاهرام ؟ هل خشيت المواجهة ؟ وحتى حين التحقت بالاهرام .. لماذا لم تمسك بالقلم قرابة ٨ سنوات عملت خلالها فى عمل أكاديمى ؟

** دعنا لا نغالط أنفسنا .. تعيين محمود أمين العالم فى أخبار اليوم .. ودفع هيكل إلى خارج أخبار اليوم وعودته إلى الاهرام كان لعبة سياسية بمعنى الكلمة تقف فيها الصحافة كأداة ، وأنا خيرت بين أن أعود إلى عملى فى الجامعة الامريكية كأستاذ فى الصحافة . وهذا ما أشعر فيه بالراحة بين أبنائى فيصبحون فى المستقبل زملاء المهنة . وهى وظيفة كانت لا تزال قائمة ، أو أن أعود إلى الاهرام أو على حد تعبير هيكل كما قال لى أنه يشرفه أن أعمل معه فى الاهرام ، فقلت له أرجع الاهرام ولكن ليس فى عمل تحريرى ولكن فى عمل أكاديمى ومن هنا نشأ قسم الدراسات الصحفية وهو قسم أكاديمى بالدرجة الاولى .. لكن تقول لى أبق فى أخبار اليوم مواجهة محمود أمين العالم علشان أفرد فى اللعبة السياسية .. لا .. أنا أرفض اللعبة السياسية هذه لان فيها خداعا للشعب .

* كان السادات يؤكد فى خطبة أن الصحافة فى عهده تتمتع بحرية لم تتمتع بها منذ أربعين عاما .. فهل هذه حقيقة .. سواء فى عهد عبد الناصر أو ما قبل الثورة ؟

** لو عدت إلى أول مقال لى بعد عودتى إلى الكتابة ، الذى أشرت إليه فقد قلت : أنه الرجوع الاخير فأنا أمام زميلى السادات ولو أنه عسكرى لكن زميل

معتقل .. كانت أحاديثنا حول الحريات والحماسة الوطنية ، كان أنور السادات وقتها فى موقع غير موقع السلطة ، وله مواقف ، وقد شهدت له بالشجاعة فى قضية أمين عثمان . ولكن كانت لا تزال عندى شكوكى فى مسألة الحريات خاصة إذا ما تولى السلطة ، وقلت يومها بالحرف الواحد " ولهذا فى الفترة الاخيرة إذا لم يتحقق ما أرجوه أو ما عايشته مع السادات من الحريات فأولى للقلم أن يقصف " فإذا عدت إلى هذه الفترة من المقال فستجد أن نظرتى للمستقبل كانت قائمة لان أنور السادات الذى يحكم غير أنور السادات الذى فى المعتقل . ولذلك قلت إذا لم يحدث فإن القلم لابد أن يقصف وهو ما حدث فعلا ، القلم قصف ومات أنور السادات وأنا بعيد عن مصر ولست مبعدا عن مصر .. بعيدا عن مصر وممنوع من الكتابة .

* ما هو رأيك فى قرار الرئيس السادات بابعاد على أمين من الصحافة فى الايام الاخيرة من حياته حيث كان يرقد فى غيبوبة كاملة في مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ويقترب يوما فيوما من الموت بعد أن أعلن الاطباء يأسهم من شفائه وكان الجميع يعلم ذلك ومع هذا صدرت القرارات بعزله .. هل كان هذا هو تصرف أخلاق القرية !؟

** بلا شك كان موقفا غير أنسانيا من أنور السادات .. ولو كان الذين من حوله قد نصحوه لعدل عن ذلك ورغم قسوة أنور السادات في الفترة الاخيرة من حكمه إلا أنه كانت لديه ناحية أنسانية مثله مثل أى أنسان .. ولكن يبدو أنه لم ينصح بالتأجيل ولعل الذين لم ينصحوه كانت لهم مصلحة مسألة تصفية الرؤوس .

الفصل السابع

السادات :

يروي ثورة مايو
لأنيس منصور
على شرائط فيروز !

الكثيرون لا يعرفون أن الراحل أنور السادات قد فكر مع زملائه المتهمين معه فى قضية اغتيال أمين عثمان فى إصدار مجلتين اسبوعيتين داخل سجن مصر عام ١٩٤٦ ، تتضمان الحوادث العامة والتعليق عليها ونقد المتهمين أنفسهم والتعليق على ما يدور من حوادث فى السجن ، وتحولت الفكرة إلى واقع عملى فصدرت المجلة الأولى يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٤٦ باسم « الهنكرة والمنكرة » ورئيس تحريرها وسيم خالد وصدرت الثانية يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٦ باسم « ذات التاج الأحمر » ورئيس تحريرها محجوب الجابرى .

وبالرغم من أن هذه التجربة تعد عملا محدودا بالمقاييس المتعارف عليها فى العمل الصحفى إلا أن أهميتها تتجسد فى كونها تجربة تعكس بوضوح الاهتمامات الأولى لأنور السادات بالمجال الصحفى واستعداده له .

وقد عمل أنور السادات صحفيا فى مجلة المصور عام ١٩٤٨ عقب الإفراج عنه مباشرة والحكم ببراءته فى قضية اغتيال أمين عثمان ، فقد تولى بعد قيام الثورة بستة أشهر فقط مسئولية أول دار صحيفة أنشأتها الثورة وهى دار التحرير للطباعة والنشر .. وعنها صدرت أول جريدة يومية للثورة وهى جريدة الجمهورية والتى صدر العدد الأول منها فى ديسمبر ١٩٥٣ ، وكذلك مجلة التحرير فى أول يناير عام ١٩٥٤ .

وعلى الرغم من أن السادات قد عرف الكثير من الصحفيين الذين عملوا معه خلال حياته الصحفية أو التقى بهم بعد رئاسته إلا أنه أقربهم إليه بلا منازع هو أنيس منصور .

ولقد عرف أنيس منصور الرئيس السادات مصادفة .. حين كان السادات نائبا لرئيس الجمهورية وفى يوم من الأيام جاء السادات إلى أخبار اليوم وكان مشرفاً عليها وقابله أنيس فى الأسانسير وصافحه وقدم له نفسه فقال له السادات :

قرأت لك الموضوع الأخير عن بوذا فى الصفحة الأخيرة من أخبار اليوم وقد أعجبنى جداً .. لقد استمتعت به .. وأنا كمان باعرف أكتب يا أنيس

فرد عليه أنيس : ما أنا عارف .. بالتأكيد

وخرج أنيس من الأسانسير وظل السادات يتحدث ظناً منه بأن أنيس لا يزال موجوداً في الاسانسير !

وجاء موظف إلى مكتب أنيس وقال له : سيادة النائب كان لا يزال يتحدث إليه .. أنه في انتظارك بالمكتب .. وذهب إليه أنيس في مكتبه فبادره السادات قائلا :

أريد منك يا أنيس صفحة أدبية فورا .

ووافق أنيس رغم مشاغله الصحفية وقتها حيث كان يكتب عدة مقالات في وقت واحد : العمود اليومي واليوميات والصفحة الأخيرة من اخبار اليوم التي كان يعرض فيها « ديانات أخرى » فضلا عن مقاله آخر ساعة . ثم التقى أنيس بعد ذلك بالرئيس السادات لتقديم واجب العزاء في أبيه وبعدها في اجتماع عام مع أخرين بشأن مشاكل الورق ، ويومها كان أنيس منصور رئيسا لتحرير مجلة أخر ساعة وأبدى الرئيس السادات بعض ملاحظاته على المجلة .

ثم دعي الرئيس لفرح ابنه الوزير محمد توفيق عبد الفتاح أحد الضباط الأحرار ووزير سابق للشئون الاجتماعية وسفير لمصر في كوبا وسويسرا وهو مصادفة خال زوجة أنيس منصور .. ووقف أنيس في أنتظار الرئيس السادات على الباب .. وما أن رآه السادات حتى بادره قائلا :

إيه اللي جابك هنا يا أنيس .

فضحك أنيس قائلا : الوزير خال مراتي .

وحضر السادات الحفل والتقطت له عدة صور مع العروس والأسرة وإذا بالسادات يقول للسيدة رجاء حجاج .

انتي تزوجتي أنيس

فردت قائلة : أيوه .. ليه

فأجابها الله يكون في عونك !

وكثيرا ما سأل بعدها أنيس الرئيس السادات عما كان يقصده بهذه العبارة فكان السادات يضحك دون أن يصرح !

وقد طلب السادات من أنيس منصور الاتصال به لإعادة صياغة مذاكراته لكن أنيس لم يتصل به ! وأعطى السادات مذكراته ليوسف السباعى وظهر الجزء الأول منها فى جريدة الأهرام !

وكان أنيس منصور يلتقى بالسادات فى رحلات الخارج مع رؤساء تحرير الصحف .

وفى أحدى الرحلات وكانوا عائدين من السعودية نادى السادات على أنيس منصور وطلب منه أن تخرج إلى حيز الوجود مجلة ٦ أكتوبر !

وكانت البداية الحقيقية لصداقة طال أمدها بين رئيس جمهورية وكاتب كبير !!

واستمرت حتى رحيل السادات بل كان المفروض أن يلتقيا السادات وأنيس بعد حادث المنصة بساعات فى جبل الراحة !

ومع العدد الأول بدأت مذكرات الرئيس السادات وهى « الجليد يذوب فوق موسكو والقاهرة » وكان الغرض من هذه السلسلة هو تصحيح التاريخ الحديث أو العلاقة المصرية السوفيتيه ولذلك كان الرئيس حريصا على أن يوجهها الى الشباب فى مصر والبلاد العربية يحكى تجربته المريره مع الاتحاد السوفيتي وبعدها بدأت مذكرات من أوراق السادات التى كتب معظمها أنيس منصور بعد أطول تسجيلات للرئيس السادات .. أكثر من ٣٠٠ شريط تسجيل بصوت السادات يروى فيها كل شئ ولا يزال يحتفظ بها انيس منصور حتى الآن !

وأجرى معه أكثر الاحاديث فى الصحافة .. أكبر عدد من الأحاديث مع الرئيس السادات أكثر من ٢٠ حديث فى الصحافة المصرية والعربية وقبل أن يكتب معه مقالة السياسى كان على صلة يومية بالتليفون مع الرئيس السادات وكثيرا ما كان يكلفه بمهام سياسية دبلوماسية ..

بل إن أنيس منصور جلس مع الرئيس السادات أطول ساعات يمكن أن يجلسها معه إنسان ولو كان أقرب المقربين إليه !

حدث هذا بعد ثورة ١٥ مايو حين جلس معه فى استراحة المعمورة من الثانية عشرة ظهرا حتى الواحدة بعد منتصف الليل !

وكان السادات يحكى فيها لأول مرة كيف خطط ونفذ لثورة ١٥ مايو .. وانتهى

فيها شرائط الكاسيت التى أحضرها أنيس معه ، كذلك الشرائط الموجودة فى استراحة المعمورة وبدأت سيارات الرئاسة تجمع من الكورنيش شرائط الكاسيت التى انتهت ايضا ثم طلب انيس من جيهان السادات شرائط أخرى وكان لا مفر من أن يحكى السادات ثورة ١٥ مايو على شرائط لأغانى فيروز ١٢ ساعة كاملة رفض فيها السادات أن يتناول الطعام رغم إلحاح جيهان السادات . وبعدها فرغ أنيس الشرائط وأعاد صيغتها وعرضها على السادات فعدل فيها ثلاث كلمات ليصدر بعدها العدد الأول من مجلة اكتوبر !

وكانت للسادات ذاكرة سياسية قوية فهو يستطيع أن يحدد الأحداث السياسية بتواريخها وأيامها فيقول لك إن الحادث الفلانى الذى وقع من عشرين عاما كان يوم ثلاثاء وتمسك الآله الحاسبة وتجد ما يقوله ! حادثة غريبه فى نوعها .. كان السادات فى العريش والثورة لم تقم ثم فوجئ بجمال سالم ينتحى بحسن ابراهيم ويهمس له بشئ لم يسمعه السادات وانصرفا .. كان ذلك قبل قيام الثورة وذات يوم من أيام عام ١٩٧٧ كان السادات يحكى مذكراته على أنيس وفجأة تذكر السادات هذه الواقعة .. وطلب من أنيس منصور أن يذهب ليسأل حسن ابراهيم عن الحوار الذى دار بينه وبين جمال سالم فى المطار .

كان رد حسن ابراهيم بالطبع : والله مانا فاكر .

فقال له الرئيس غريبه ... فعاد انيس يقول لحسن ابراهيم الرئيس مستغرب فكان رد حسن ابراهيم : غريبة .. انه هو فاكر .. ولا انا مش فاكر !

وكان كل ما يتذكر السادات هذه الواقعة يحاول أن يعرف حقيقتها .. حكاية حدثت من عشرين عاما لكنها تمثل له سؤالا بلا جواب وفى يوم اتفق أنيس مع حسن ابراهيم على ان يختلقا له أى موضوع .

فقال له أنيس : لقد تذكر حسن ابراهيم أخيرا الواقعة كان يقول لجمال سالم لما تنزل مصر اوع يفوتك فيلم ريتا هواريث جلدة ..

فرد السادات قائلا : لا لم يكن معروضا فى سينما الازبكية بل كان معروضا فى سينما استرأند !

كان يتذكر الوقائع بأدق تفاصيلها لو مر عليها عشرات السنين

وكان من المفروض أن يلتقى أنيس بالسادات يوم ٦ اكتوبر بعد العرض العسكرى ليذهب إلى وادى الراحة بل إن الحقائب قد ذهبت إلي هناك بالفعل .

وجلس أنيس أمام التليفزيون يشاهد العرض العسكرى الذى توقف فجأة وانقطع ولم يجد ما يقوله رداً على أسئلة التليفونات ..

وعرف وذهب الى مستشفى المعادى ووجد نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك ومعه سكرتيره يطلب له أرقاما .

وسأله أنيس عن نوعية الذين أطلقوا الرصاص على الرئيس

فأجاب : لم تحدد بعد .

وهمس النبوى إسماعيل فى أذنه : إن الاطباء يفعلون المستحيل !

ثم تسلل أنيس إلى غرفة العمليات ورأى السادات مضرجاً فى دمائه رأى ما يعجز عن وصفه ويتمنى من الله أن يهبه القدرة الهائلة على نسيانه ، والتقى بالدكتور محمد عطية طبيب الرئيس الذى خرج معه من الغرفة وهو يقول : لا أمل مطلقا !

ورأى د . أمين عفيفى زوج ابنة الرئيس وقد أسند رأسه إلى الحائط وراح يدق ويبكى ، أما ممدوح سالم فقد جلس إلى جوار أسرة الرئيس وراح يبكى بحرارة وانهيار . اما جيهان السادات فقد كانت أشد تماسكاً !

فقد جلست على مقعد أمام غرفة العمليات فى ذهول لا تكلم أحداً ولا يكلمها أحد .. ولم يفلح أحد فى أن يحركها من مكانها .

أما سكرتارية الرئيس وحراسه فقد ظهر عليهم الإعياء والإرهاق والعيون دموية .. والملابس أيضا !

وقال له د . مصطفى المنيلاوى : لقد جاء السادات ميتاً إلى مستشفى المعادى !

ونزل أنيس منصور سلالم المستشفى على قدميه وقد وجد العجب !

وجد من يحمل البوت الأسود الطويل .. والبنطلون وقد تدلت مع ذراعيه .. كأنها مشنوقة .

إنها بعض ملابس أنور السادات !

ولا ينسى أنيس يوماً جاء فيه الترزى إلى الرئيس يعرض عليه ملابس جديدة تحت الأشجار فى القناطر الخيرية . ولم يكد يمر الترزى يحمل شماعة عليها هذه الملابس حتى وجد أحد الحراس - لا شعورياً قد اعتدل واقفاً !

سبحان الله .. ما أعظم حكمتك وما أقساها أيضاً !

لقد وعد السادات أنيس أن يرافقه إلى وادي الراحة ولكنه ذهب وحده إلى الراحة .. الراحة الأبدية !

الفصل الثامن

السادات :

السعدنى فى الضياع لمدة تسع سنوات بسبب السادات

سألت الكاتب الساخر الكبير محمود السعدنى وقلت له

* هل فصلك انور السادات حقيقة بسبب مقالة كتبتها فى مجلة التحرير هاجمت فيها فريد الاطرش ؟

** نعم .. كتبت مقالة عن فريد الاطرش هاجمته فيها فقد فوجئت بانور السادات يبعث فى طلبى عن طريق سكرتيرة الخاص فوزى عبد الحافظ وذهبت لمقابلته وكان ذلك فى بداية الثورة وكنت اعرف السادات من قبل قيام الثورة ودخلت يومها على السادات وكان جالس فى مكتبه يكتب وقلت له :

مساء الخير يا ريس

فلم يرد على استمر فى الكتابة فقلت له مرة ثانية مساء الخير يا ريس فلم يرد ايضا ومرة ثالثة وظل مستمرا فى الكتابة ووقفت صامتا امامه فترة طويلة فقلت لنفسى : يمكن زعلان منى ولا حاجة وكنت اهزر مع انور السادات قبل الثورة فقلت فى نفسى ايه اللى جرى .. هو اتغير ليه معايا ثم فجأة نظر لى من تحت نظارته ثم اخرج مجلة التحرير وقال لى بطريقته ولهجته المعهودة :

ايه المسخرة اللى انت كاتبها دى يا وله !

فقلت له : فيه ايه يا ريس ..

فقال لى : انت عربجى ولا صحفى ؟ !

فقلت له : مفيش فرق !!

كنت اهزر معه ولم اعرف بعد ان انور السادات الذى عرفته قبل الثورة يختلف عن انور السادات بعد الثورة !

ثم رمى انور السادات المجلة وقال لى :

انت موقوف يا ولد !

فقلت له : طيب !

ثم خرجت فقال لى : تعالى خذ .. انت مش هامك والا ايه ؟ ! فقلت له :

يا فندم حضرتك قلت موقوف فقلت لك : حاضر فقال لى :

لا انت مرفود !!

فقلت له طيب وخرجت من مكتبه وما هى الا لحظات واثناء نزولى على السلم جرى ورائى فوزى عبد الحافظ وقال لى :

القائمقام السادات عاوزك !

فجلست بعض الوقت مع فوزى عبد الحافظ فى مكتبه ثم خرج السادات

فوقفت انا وفوزى عبد الحافظ فقال لى :

انت موقوف يا ولد !

وتم إيقافى ستة اشهر !! .. حتى جاء كامل الشناوى رئيسا لتحرير الجمهورية وعقد اجتماعا حضره انور السادات لتطوير العمل فى الجريدة فقال له كامل الشناوى :

والله كان فيه ولد صحفى هنا

لو كان موجودا كنا استعنا به فى التطوير الجديد لكن الله يرحمه مات !

فقال له السادات : مين اللى مات يا كامل ؟ ! فقال له : محمود السعدنى !

فقال له : الله هو اللى مات قال له : ايوه فقال له :

دا ولد لسانه وسخ ويستاهل قطعه !

فقال له : نمسح لسانه !

قال : تضمنه

فقال له : ايوه !

فقال له السادات : خلاص اندهلله !

وظللت فى الجمهورية حتى تم رفدى مع مجموعة كبيرة ضمت بيرم التونسى وعبد الرحمن الخميسى والفريد فرج وكان وقتها السادات قد ترك الجمهورية واستقر فى مجلس الامة

* استاذ محمود السعدنى ... هل تذكر المقلب الذى شربه عبد الرحمن الخميسى حين استعنت به للتوسط لدى انور السادات لارجاعك الى العمل بعد فصلك من الجمهورية وكان الخميسى نفسه لا يعلم انه مفصول هو الاخر ؟!

وضحك السعدنى وكأنه يستعيد ما حدث للخميسى من هذا المقلب وقال :

** ذهبت اخر الشهر للحصول على مرتبى من الجريدة ففوجئت بصراف الخزنة يقولى لى انت مرفود .. واعطانى جواب به مرتب ومتشكرين قوى على المدة التى قضيتها معنا فى الجريدة !

وقال لى الصراف : مش انت لوحدك المرفود فيه ٦٠ صحفى معاك !

فقلت له : عبد الرحمن الخميسى منهم !

ولا اعرف وقتها لماذا فكرت فى هذا المقلب للخميسى وشر البلية ما يضحك !

اتصلت بالخميسى تليفونيا ولم اقل له بالطبع انه هو الاخر مفصول وقلت له : رفدونى !

فقال لى : مين الحمار اللى رفدك دا ... يرفدوا الموهبة الوحيدة اللى عندهم ! .. انا جايلك يا ابنى ما تمشيش دول ناس حمير ! ..

انا هاكلم عبد الرؤوف نافع وهاكلم عبدالناصر شخصيا اذا استدعى الامر ثم اضاف : انت قبضت والا ايه فقلت له : ايوه فقال : فيه فلوس فى الخزنة طيب انا جاى اوعى تنتقل .

وجاء عبد الرحمن الخميسى مسرعا وقال للصراف :

ايه الكلام الفارغ قلة الادب بتاعتكم دى

ترفدوا السعدنى ازاى

فالصراف قال له : والله انا معرفتش حاجة عن الموضوع دا

فقال الخميسى : فيه فلوس

فاعطاه له الصراف : الخطاب .. خطاب فصله من العمل ففتحه الخميسى وذهل من الدهشة وقال :

رضينا بالهم والهم مارضيش بينا

يا ولاد ..... !!

ونزلنا على السلم ولا ادرى ماذا افعل يومها ؟! وقلت للخميسى هل سنذهب لكامل الشناوى فقال : لا حتروح الشعب !

فقلت له : والله شيء عظيم وكانت هناك جريدة اسمها الشعب فى شارع القصر العينى مكان المصرى القديم وركبنا التاكسى وقلت للسائق : على شارع القصر العينى فقال له الخميسى : لا اطلع على كوبرى قصر النيل يا بنى فقلت له :

قصر النيل ايه دا جورنال الشعب فى القصر العينى .. هو انت مش رايح جورنال الشعب فقال : لا .. انا رايح الشعب المصرى ! فقلت لا .. انا رايح الشعب الجورنال نزلنى يا ابنى !

ثم اتصل بى احسان عبد القدوس وقال لى :

انا عاوزك تشتغل معايا سكرتير تحرير روزاليوسف واكتشفت وراء هذه الحكاية كامل الشناوى فقد قال لاحسان يا احسان شغل السعدنى معاك .. الولد دا حينفعك جدا واكتشفت من خلال العمل مع احسان عبد القدوس اننى لم اكن اعمل صحفيا قبل احسان فقد كنت فى خناقات ومصائب ولكن مع احسان عبد القدوس عرفت حلويات الصحافة المصرية والكل يعرف مهام العمل بالتحديد دون ايه مشاكل .. وكان معنا ايامها صلاح عبد الصبور ورجاء النقاش وجمال كامل واحمد عبد المعطى حجازى وفتحى غانم واحمد بهاء الدين ولويس جريس وغيرهم .. ناس فى منتهى الحلاوة !

وقال لى احسان : انت مسئول عن روز اليوسف ولا اريد ان ارى ورقة فى المجلة بدن خطك ثم قدم بعدها احد الكتاب موضوع لا يرقى الى مستوى النشر فما كان منى الا ان منعت نشرة فشكانى الى احسان عبد القدوس وكنت قد اعتدت على معاملة جريدة الجمهورية فقال لى : ايه اللى انت عاملته مع موضوع فلان .

فقلت له : الموضوع هايف .. فيه ايه ؟ ! فقال لى : انا مش باحكمك انا باسألك فقلت له على الذى حدث فقال لى : اللى تعرفه صح اعمله واللى انت عملته هو

الصح ! .. لقد تعلمت من احسان سلوك عظيم جدا انه ايضا اذا ما اراد منى شيئا جاء الى مكتبى ولا يرسل فى استدعائى .. ثم اسلوبه الامثل فى التعامل الصحفى فقد كتبت ضد احسان عبد القدوس فى مجلته ورد على فى المجلة وكتبت ايضا اهاجم صديقا له هو حلمى رفلة وعرف احسان والمقالة فى المطبعة وناقشنى وقلت له اعرف انه صديقك ولكنى اكتب رأى فنشر المقال ورد حلمى رفلة في الاسبوع التالى عملا بحق الرد .. هكذا كان التعامل مع إحسان عبد القدوس وهذه شهادة منى للتاريخ وقد سحرنى احسان وكان يكتب بابا فى الفن وكنت اكتب الباب فى غيابه انا او مصطفى محمود وكنا نوقع بامضائنا كان احسان صاحب المجلة ورئيس تحريرها ورغم ذلك كان حضاريا فى تعامله واعتقد ان هذا الاسلوب لم يعد موجودا الان .. انقرض .

* اتصلت بعدها بانور السادات .. ماذا كانت مشاعره تجاهك بعد ان عملت بروزاليوسف ؟!

** بعد ان عملت فى روزاليوسف ذهبت لانور السادات وكان رئيسا لمجلس الامة فقال لى :

ازيك يا واد يا محمود

عامل ايه كويس

قلت له : انا اشتغلت يا افندم فقال لى : اشتغلت فين يا ولد فقلت له : فى روزاليوسف فقال : عظيم ياولد عظيم .. انا ثقتى فيك كده فقلت له : انا خايف ليمسكونى قال : لا انت فى رقبتى يا ولد .. انت فى رقبتى !! .. ثم قبضوا على بعدها فذهب اليه زميلى فى الاتحاد القومى وقتها يوسف عبيد وقال له : يا ريس السعدنى مسكوه فقال له :

دا ولد قليل الادب

ويستاهل قطع رقبته !

يعنى كان هجيب لى تهمة ثانية .. انا كنت فى رقبته ماشفتهاش تانى ..

غبت فى سجون الواحات والفيوم والقلعة وسجون مصر .

* استاذ محمود السعدنى قبض عليك فى ١٥ مايو عام ١٩٧١ فيما عرف بقضية مراكز القوى .. لماذا انضممت الى التنظيم الطليعى وما هى الاسباب الحقيقية للقبض عليك ؟ !

** الحقيقة اننى كنت فى التنظيم الطليعى وتم ضمى الى الاعلام قلت لهم :

لا : انا ما اشتغلشى مع دول ! .

فقالوا لى : تشتغل مع مين ؟ !

قلت لهم : انا فى الجيزة ... اشتغل فى الجيزة ! .

وكنت فى مجموعة ضمت احمد الخواجة المحامى وعطية الجرن ومحافظ الجيزة وفريد عبد الكريم وعبد الفتاح الدالى وحسين الألفى رحمة الله عليه وكان وكيل وزارة الشباب قبل ان يصبح رئيس الجيزة .. كانوا كلهم فى الحقيقة اساتذة افاضل ولقد رحل الرئيس جمال عبد الناصر وكنت وقتها فى لندن .. واجتمعنا فى الجيزة وحملنى رسالة لكى انقلها بدورى الى شعراوى جمعة هذه الرسالة فعاراها بالحرف الواحد :

انكم لو جيتم السادات هيسحبنا فى الشارع بعد ٣ أو ٤ شهور !!

وذهبت الى شعراوى جمعة ونقلت له الرسالة ولكنى وجدت ولاول مرة شعراوى جمعة مهزوزا وقال لى : لا ... اذهب لسامى شرف !

قلت له : انا جاى لك انت يا عم شعراوى

فقال لى : لا .. روح لسامى شرف

فقلت له : اصلة عنده سكرتير سخيف

فاتصل بسامى شرف وقال له السعدنى فى الطريق اليك وعاوزك تكلمه وكانت هذه الرسالة من تنظيم الجيزة وذهبت الى سامى شرف فوجدته يجلس وخالع حذائه وحاطط رجله على كرسى ثانى وخالع جاكتته وقاعد يعيط !!

فقلت له : ايه يا عم سامى وانت بتعيط ليه ؟ !

وقلت له : انا خالتى فى البلد بتعيط انت كمان بتعيط !! .. وانتم ناس فى السلطة

وعبد الناصر مات ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مات وحين مات الاسلام انتشر اكثر !

فالمسائل لا تؤخذ بهذا الشكل !

فقال لى سامى شرف : اصل الفراق صعب يا محمود

فقلت له : انا عارف ..

فقال لى : عاوز ايه يا محمود ..

قلت له : فيه رسالة من رجال الجيزة لك مش عاوزين نعطى السادات الحكم .

فقال سامى شرف : اصل انتم بتوع الجيزة خوافين وتعبانين وجبناء ومش فاهمين فى السياسة وسيبنا نشتغل فى هدوء يا محمود .. واحنا عارفين بنعمل ايه والسادات هيمشى على خط عبد الناصر ما ينحرفش سنتمتر واحد ! .

فقلت له : طب افرض انحرف !

قال لى : هاضربه بالنار !! .

قلت له : ازاى .. دا عنده حرس وعساكر وضباط هتروح هناك ازاى دول هيمسكوك ؟ !

فقال لى سامى شرف : مش باقولك انت اهبل محمود .. اللى معاك عارف بيعمل ايه ..

السادات دا على ... !! .. على حجرى !! ..

فقلت له : افرض ان السادات على حجرك .. هل سأذهب لهم فى التنظيم واقول لهم بيقول السادات على حجره !

قال : لا قل لهم سيبه يشتغل فى هدوء وكل شئ مخطط ومرسوم له وكل شئ معنا والبلد فى ايدينا !! .

ثم قبض علينا فى ١٥ مايو ١٩٧١ وذهبنا الى السجن الحربى ذات يوم كانت لى زيارة فى السجن وكانت الزيارة بعيدة جدا عن الزنزانة التى كنت فيها فوجدت شخص

كانت له زيارته ايضا وكان يسير مع الصول وهو محنيا وكانت رأسه فى الارض فقلت لنفسى : مين اللى كان معانا محنى كده فاسرعت لكى اتبين ملامحه فوجدته سامى شرف !!

فقلت له : على حجرى !!!

انت ماقلتش مين على حجر مين !!

فقال لى : دا وقته يا محمود ما خلاص بقه !

وامضيت السنتين التى حكم على بهما وخرجت وإذا بى مفصولا بقرار جمهورى من انور السادات وقد سبق وان فصلت بقرار جمهورى من عبد الناصر ولكن حين خرجت من السجن كأن لم يكن هناك اى شئ عدت الى العمل ولما خرجت وجدت نفسى مفصول وممنوع ذكر اسمى فى اى جرنال حتى . فى صفحة الوفيات ..

يعنى لو مات احد اقاربى لا يذكرون انه قريب محمود السعدنى !!

ثم قدمت مسرحية لسمير خفاجى لكى يقدمها على المسرح وبدأت البروفات ثم فوجئت بسمير خفاجى يقول لى : انت اخذت اذن لهذه المسرحية ؟!

فقلت له : اذن من مين ؟ ! فقال : طيب اسأل كده هل مصرح لك بعرض مسرحية ؟ ! فذهبت ليوسف السباعى وسألته فقال لى : انت حكايتك مع الريس لازم اسأله ؟ ! فسأله وكانت الاجابة بالسلب وليس بالإيجاب ! وقررت ان اهرب من مصر ! وبينما كنت افكر فى كيفية الهروب فوجئت بعثمان احمدعثمان يخبرنى بأنه قد تحدث الى الرئيس السادات بشأنى وأخبره بأنه سوف يضمنى عنده فى المقاولين العرب .. وعملت مستشارا فى المقاولين العرب .. كل الكبارى اللى انت شايفها دى انا اللى عملتها .. انا رسمتها لانى مهندس .. ثم قلت لعثمان احمد عثمان انا لى مهنة لو اننى جزار أو جزمجى وعملت معارضة واتمسكت وخرجت من السجن .. اشتغل ايه .. جزمجى لو اشتغل ميكانيكى طبعا .. اشتغل الشغلة التى كنت اعملها من قبل .

ثم قلت له : أنا خلاص مش قادر استحمل .

فقال لى عثمان: ما تبقاش حمار .. الريس قلبه كبير

فقلت له : انا عاوز اعالج بنتى بره مصر .

واخذنى عثمان واعطانى التذاكر وسافرت ولم اعد الى مصر ثانية ! .

قالوا لك ولجميع المعتقلين فى السجن .. الذى على صلة باحد من السلطة يكتب له خطاب لكى يساعده فى الخروج من السجن ؟ !

* هل حقيقة كتبت لاكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة وقتها وبعدها بقليل اقيل من جميع مناصبه ؟ ! .

** إدارة السجن قالت لجميع المعتقلين .. كل مسجون يعرف احد فى السلطة يكتب له لكى يساعده فى الخروج من السجن فالبعض كتب الى عبد الناصر والبعض الآخر كتب البغدادى وبعضهم كتب للبغدادى وحسين الشافعى والذى كتب لضباط المباحث فانا قلت اعرف اكرم الحورانى فكتبت له خطاب .. واتضح انهم كانوا يريدون معرفة علاقة المتهمين برجال السلطة ! ثم بعدها واثناء سيرى فى طرقات السجن قال لى مأمور السجن انت مش كتبت لاكرم الحورانى جواب

فقلت له مندهشا : ابوه فيه ايه .

فناولنى الجورنال وكان فيه استقالة اكرم الحوارنى من كل مناصبه !! وكان وقتها يشغل النائب الاول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة وقد انسحب حزب البعث بعد ذلك من الحكم واشترك اكرم الحورانى بعد ذلك فى الانفصال الذى حدث ووقع بالفعل على الانفصال وهذه كانت سقطة من سقطات اكرم الحورانى حقيقة وقدم بها الدليل على انه لم يكن وجودى حقيقى .

* استاذ محمود السعدنى ... عرفت انور السادات فى بيت زكريا الحجاوى قبل الثورة .. ما هو رأيك فيه بصراحة مطلقة ؟ !

** رجل ودود جدا وطيب للغاية كانسان عادى ودمه خفيف .. راجل وتحب تعرفه وتجلس معه .. ومحدث لبق يعرف يتكلم وصاحب مزاج وهوايات معينة وكنت اسمع فى بيته فى الهرم الشيخ مصطفى إسماعيل فى شهر رمضان .. والسادات احتضنى كثيرا فى روز اليوسف ورفع مرتبى وساعدنى كثيرا فى جريدة الجمهورية بسبب موقف صغير عملته دون قصد ! .

كان هناك شخص اسمه امين شاكر كان دائما يشاغب مع السادات وقد أراد امين شاكر هذا ان يلغى انور السادات فى لحظة من اللحظات من الجريدة ! .

وقد قال امين شاكر اريد ان تذهب الى تونس لاجراء حوار مع بورقيبة لانه سيصبح رئيسا للجمهورية غدا وتعود لمصر خلال عشرة أيام فقط ! فقلت له : عشرة ايام مستحيل لان مسار الطائرة سيكون من القاهرة الى روما منها الى تونس ثم العودة بنفس المسار تحتاج الى عشرين يوما .. فقال لى : لا .. عشرين يوم اشنقك ! .

عشرة أيام فقط وتذهب حالا الى السفارة التونسية للحصول على التأشيرة وذهبت بالفعل الى السفارة التونسية وقابلت هناك بالمصادفة فوزى عبد الحافظ سكرتير السادات فقال لى : بتأخذ فيزا ليه فقلت له : لانى مسافر الى تونس فقال لى : مين اللى قال لك تسافر قلت له : امين شاكر وفى المساء فوجئت بتليفون من فوزى عبد الحافظ يقولى لى : القائم مقام السادات يريد ان يتحدث اليك وقال لى السادات : ما تسافرش يا محمود قلت له : طيب .. وفى صباح اليوم الثانى قال لى: امين شاكر ماسافرتش ليه قلت له : الريس بتاعنا قال : ماتسافرش فقال الريس قلت له : انور السادات فقال لى : مالوش قيمة فقلت له : اسمه على الجورنال يبقى هو دا الريس بتاعنا وقال لى ماتسافرش يعنى ما تسافرش فقال امين شاكر : يعنى ايه فقلت له : ما اقدرش اسافر طالما قال لى ما تسافرش فقال لى : ايه الحكاية .. إدارة جديدة .. انت بتعمل إدارة جديدة فقلت له : انا باعمل نقط الاصول .. انا اعمل عند انور السادات وهو قال لى لا تسافر .. اذن لا أسافر وبعدها بيومين قال لى فوزى عبد الحافظ الريس بيقول لك سافر الى تونس وظللت هناك حوالى شهر ثم عدت الى مصر وفوجئت بان امين شاكر اترفد والذى عاد انور السادات واستقبلنى انور السادات استقبال الابطال وقال لى : راجل يا ولد راجل دا كان عشمى فيك يا ولد فقلت له : يا ريس ما عملتش حاجة انا باشتغل معاك قلت لى : ماتسافرش يعنى ما اسافرش .. انا هاكسب ايه من السفر يعنى .. قال لا .. عفارم عليك يا ولد طلعت اصيل وبعدها بشهر رفع مرتبى ٨٠ جنيها ! .

وقد ظلت علاقتى بانور السادات طيبة وقد فصلت من الجورنال حين اصبح رئيسا لمجلس الامة وصارت علاقتى به طيبة حتى عين نائبا لرئيس الجمهورية وقد ذهبت له

فى بيته حيث كان رئيسا لمجلس الامة وقد اصطحبت معى فريد عبد الكريم لكى اعقد بينهما صلح معا وجلسنا معه خلال الليل وتسمرنا معه وخرجنا فى الفجر من منزله انا وفريد عبد الكريم لكنى احسست انه كان متضايقا للغاية من فريد عبد الكريم فقد كان متهورا حيث كانت هناك مشكلة فى امبابة بين عائلة غراب والفلاحين واتهموا السادات بانه وراء هذه العملية مع عائلة غراب وصدر امر مجلس قيادة الثورة بان الارض ترجع للفلاحين ثانى فبعث له تلغراف قال له اما وقد عادت اليك ثوريتك فقال له السادات : هو انا كنت فقدت ثوريتى يا فريد .. ختم راح منى .. الختم بتاعى ضاع ولقيته .. فقال له يا فندم وبعدين .. قال له البرقية اهة يافريد .. مش دى البرقية .. انا طلعت عميل وباتفق مع الامريكان وباخون عبد الناصر .. قال له : يا افندم فقال له الشريط اهو الاجتماع مسجل مش انت اللى قلت كذا يا فريد .. ولذلك اول ما اتمسكنا قلت الوحيد اللى هيتشنق فريد عبد الكريم ... لن ينقذ الشنق فى احد الا فريد عبد الكريم ... فعلا الحكم عليه بالاعدام ولكنه خفف الى مؤبد .. وحين كنت احاكمهم قلت له :

فريد مش زى ما أنت فاهم

فريد بيعشق عبد الناصر اكثر منى ومنك

يا ريس لو عبد الناصر شنقنا بكره

على شجرة هنصفق !!

فقال لى السادات : هو دا الكلام الصح يا واد محمود

عفارم عليك احنا كلنا بتوع عبد الناصر !!

واللى يقوله عبد الناصر ماشى علينا جميعا

مفيش كلام وارجعوا يا فريد انك تأخذ بالك من نفسك .. وانت يا واد يا محمود انت قاعد مع ثعابين يا ولد فيه جحور عندك يا ولد وفيه ثعابين عندك وخذ بالك !!

فى الحقيقة ان السادات كشخص ممتاز جدا لكنه كعادته ينظم لا ما يعرفش ينظم .. كشخص ينفع رئيس فيها قولان لكنه زكى وكسياسى سيصلح رئيس حزب لكنه

لا يصلح ان يدير دولة بعد عبد الناصر ... دى مسألة كبيرة عليه شوية !!

* حين قابلت انور السادات لاول مرة وكان معك الفنان احمد طوغان قلت انور السادات ووصفته لأنه يمشي متنشيا مثل النشا ! فقال لك طوغان يومها بس دا حيبقى ملك مصر يا ولد وقامت الثورة رحل عبد الناصر وتحققت مقولة احمد طوغان .. هل كنت مقتنعا بانه سيصبح ملكا ؟ ! ..

** لا ... لا اتوقع انه سيصبح رئيس الجمهورية لكنى توقعت انه يبقى رئيس تحرير لجمهورية أو رئيس مجلس النواب فقط ! .

* لكن القدر ساعده لكى يصبح رئيسا للجمهورية ... هل القدر وحده هو الذى لعب دورا فى ان يصبح رئيسا للجمهورية ؟! بالتأكيد ان الظروف قد خدمته لانه عبد الحكيم عامر انتحر والبغدادى وكمال حسين وزكريا محى الدين انسحبوا من الحياة السياسية وكل هؤلاء كانوا موانع له ولم يبقى سوى هو وحسين الشافعى فهو اختار السادات لانه فى الحقيقة لم يعارض عبد الناصر فى امر اتخذه على الاطلاق ... كلهم عارضوه الا انور السادت !! .

وكان عبد الناصر يدخل الاجتماع ويقول :

معى صوت مضمون هو

انور السادات !

وعبد الناصر كان يسهر كثيرا فى بيت السادات والذى روى لى ذلك هو السادات نفسه فى السنة الأخيرة من حياة عبد الناصر كان يذهب للسادات لانه كان يشعره بالراحة وكان يجد فيه صحبة طيبة وليس لديه مطامع او اطماع من رؤية عبد الناصر لكن الحقيقة ان السادات كان عنده مطامع اكبر لكنه يستطيع ان يخفى كل شئ .. يعنى هو قادر على إخفاء كل شئ قادر على إخفاء مشاعره وقادر على أنه يوهمك بأشياء لكنها حقيقية يعنى هو ضحك على ... على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف وكل هؤلاء .. وهو الذى ضحك على الليثى ناصف ! .

* وما هى الميزة التى كان يتميز بها السادات على كل رجال الثورة من وجهة نظرك ؟

** السادات كان له ميزة عن كل رجال الثورة .. فهو الوحيد الجماهيرى الذى كان يعرف من الشعب المصرى إعداد تفوق عدد قراء جريدة الاهرام مثلا .. كان يعرف كثير من الشعب المصرى معرفة شخصية وعاش حياة غريبة للغاية ... وهو شيال وهو سائق اتوبيس وهو عريان وغلبان وهو مريض فى القصر العينى .. دخل القصر العينى هاربا من الحكومة باسم ثانى وظل فى الدرجة الثالثة فى القصر العينى .. واللى دخل المستشفى محمد على ماهر كان باشكاتب القصر العينى !! .. يعنى هذا الرجل شهد الوان من الحياة لم يراها احد من رجال الثورة فقد كانوا مترفهين وذوات شوية !! .

* هل ترى ان صعلكة السادات وصياعته تشبه صعلكة محمود السعدنى ؟ !

* يعنى صياعته تتفق فى مراحل مع محمود السعدنى وفى اشياء ثانية .. لا .. فهو اتصل بجواسيس المان وعمل معهم .. وهذه مسألة لا استطيع ان افعلها مطلقا وهو كان من اشد المؤمنين بهتلر والنظام الهتلرى النازى وكان يكره الانجليز الى درجة انه لم يأخذ باله من ان الشغل مع الالمان علشان يضرب الانجليز ولاد الكلب دول وينتقم منهم .. السادات نوع من الثوار الذى يعمل الشئ ونقيضه .. فلما جاء الحكم اتخذ موقف اخر فهو من اشد انصار الديكتاتورية فى الثورة والمشانق والمذابح .. ولكن حين اصبح السادات حاكما لم يذبح ! .... واشهد باننى فى عصر السادات حين دخلت سجنه احترمت ولم يكن هناك ضرب او إهانة .. وننام على سراير ولما كنا نخرج من السجن الى المحكمة كنا نرتدى البدل وملابسنا الشخصية والكرافتات ... وهذا كان سلوكه وان كان سلوكه يبدو غريبا للغاية ! .

* هل تتفق مع الشاعر احمد فؤاد نجم حين قال عليه : الثورى النورى الحلنجى اكال الدين الشفطانجى ؟ !

** بالطبع هناك مبالغات فى الشعر ولكن لم يكن السادات كذلك فالسادات لعب دوراً فى تاريخ مصر دون اى كلام ... توافق اولا توافق انت حر .. لكنه هو لعب دورا وكانت عينى السادات على شئ من الصغر وتحقق له فى النهاية ... فانور السادات عمل مع الملك فاروق واشتغل مع يوسف رشاد وزوج ناهد رشاد وعمل مع المواطنين جميعا ومع الضباط الاحرار عمل صحفى .. انور السادات لن يتكرر ! ... نموذج لن يتكرر .. يعنى هو مجموعة صفات رهيبة فى شخص واحد .. اننى فى دهشة حتى

لان ما الذى يجعل السادات يجلس مع زكريا الحجاوى فى المقهى ...

فالسادات عاش الحياة طول وعرض ومسح الارض طولا وعرضا وهو من اسرة فقيرة واشقائه سببوا له متاعب كثيرة لاننى رأيت عصمت السادات رحمة الله عليه وهو يعمل معنا امين مخازن جريدة الجمهورية وقد تم فصله وزكريا الحجاوى صديقه الاوحد من الحياة بعد ان عمل ثلاثة شهور سكرتير تحرير فى جريدة الجمهورية فى بداية انشائهاولم اعرف حتى الان هذا السر لكنى اتخيل ان زكريا الحجاوى وكان كثير الكلام قد روى واقعة مثلا عن السادات ايام ما كان جلس على المقهى مع الحجاوى ففصله السادات .. فهو كان لا يتوانى عن فصل او ابعاد اى شخص مهما كان بالنسبة له او انه سوف يسبب له متاعب من اى نوع او أى ضرر من قريب أو بعيد وكان اسلوبه « البتر دون أى مناقشة فلم يكن السادات يعرف كلمة صاحبى او حبيب نهائيا ولا شك ان الذين خدموا السادات فى السلطة ثلاثة .. ولكن ماذا كان مصيرهم على يده ؟! .. اولا الليثى ناصف القى بنفسه من الدور الحادى عشر ومات فى لندن او انتحر .. الفريق محمد صادق الذى تولى قيادة الجيش من محمد فوزى وهو الذى قال لمحمد فوزى بالحرف الواحد اخرج من البيت لانك استقلت نهائيا ثم امن البلد وولاه على عرش مصر انتهى به المطاف فى محكمة الجنح وهو يجلس على دكة بجوار عسكرى بشريطة !! ..

وممدوح سالم كان وزير الداخلية الذى كان له دور كبير ومؤثر مع السادات ... ماذا كانت نهايته فى الاخر كان يسير فى الشارع يكلم نفسه !!

فالسادات لم يكن يقدر ان فلان يعرفه او اسدى له خدمة لانه هو دائما يعرف مصلحته وهو ليس يهمه بعد ذلك ماذا يحدث للآخرين ! ومهما كانوا لدرجة انه كما ذكرت ابعد شقيقه وفصله من الجمهورية لانه باع مرجوع الجمهورية كله وكان مرجوع جريدة الجمهورية اكثر من الذى يباع بكثير جدا !! قال انه ليس عنده يا امه ارحمينى فى مثل هذه المسائل المهم هو انه يبرأ نفسه وقد ضحى بالآخرين وأغرب مثال لذلك المهندس عبد العظيم ابو العطا وحزب مصر فقد كان مؤمنا اشد الايمان بحزب مصر وكان اغرب شهداء هذا الزمان ومات فداء حزب مصر مات فى السجن ! ولكن موقف السادات هو لا حزب مصر ولا غيره اغلق حزب مصر وانشأ الحزب الوطنى .. هذا هو السادات !! .

الفصل التاسع

السادات :

السادات ومصطفى محمود
وصوت سعاد حسنى المنعش !

د . مصطفى محمود ..

* ماذا كانت علاقتك بالرئيس الراحل انور السادات ؟ .

** انا كاتب احب السادات جدا .. اتذكر انه قبل رئاسته للجمهورية اتصل بى تليفونيا ليهنئنى عن كتابى « القران .. محاولة لفهم عصرى » وخاصة مقالة « لا اله الا الله » وقال لى يومها : اريد ان اراك .

وبالفعل زرته فى فيلته واحسست يومها ان السادات ابن بلد وانسان ظريف للغاية وقال لى : انا رأيت لك برنامجا عن سعاد حسنى وحين سألتك المذيعة عن سعاد حسنى قلت :ان صوتها منعش ! وراح السادات يضحك وهو يقول لى : ايه قصدك يا درش من منعش !

ولقد قابلت السادات بعد ان اصبح رئيسا للجمهورية بعد ان اتصل بى وقال لى : انت انسان مفكر خليفتك الثقافية والعلمية رائعة ولهذا فانا حريص دائما على متابعة مقالاتك ومؤلفاتك .. وانا محتاج لك فى انشاء مجلس مستشارين مثل مجلس المستشارين الامريكى وعرض السادات على عدة مناصب .

* ما هى هذه المناصب التى عرضها عليك السادات .. هل عرض عليك ان تكون وزير صحة أو وزير ثقافة ؟ !

** لا .. لم يكن وزير صحة .. ولكن مناصب تتعلق بالثقافة والفن .. وقد عرض على السادات يومها بالذات ان اكون رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال بالإضافة الى كونى مستشارا له .

* ولماذا رفضت اذن مجلس إدارة دار الهلال ؟ !

** قلت له : شوف يا ريس .. انا عجزت عن إدارة اصغر وحدة وهى زوجتى واولادى فاذا كنت قد فشلت فى إدارة اصغر وحدة فكيف تتصور اننى يمكن ان انجح فى إدارة مؤسسة كاملة قوامها الف او الفى شخص وإدارة وحسابات وخلافه .

فيومها انفجر السادات ضاحكا وقال لى :

« يا مصطفى .. هو فيه واحد بيعرف يدير مراته ؟ !

لكننى مع ذلك اصريت على الرفض المطلق لأية مناصب .

وقلت له : سوف تخسرنى ككاتب وتكسبنى كمدير سيء ! وفى نفس الوقت لن اجد وقتا لاكتب فيه وفى هذه الحالة سوف تخسر فى « الكاتب والمدير ؟!

ولقد عرضت على مناصب كثيرة فى عهد السادات سواء منه شخصيا او من محمد عبد القادر حاتم وزير الاعلام وقتها ولكن كان موقفى واقتناعى ثابتا فى كل الاحوال ، وهو اننى لا اصلح الا كاتبا وقد اقتنع اخيرا بوجهة نظرى .

والحقيقة اننى احببت انور السادات لاننى وجدت فيه مصرية خالصة .. السادات كان يحب ان يعيش حياته ويحب غيره ايضا ان يعيش حياته .. كان يحب انه يعيش ويسعد ، وغيره ايضا يعيش ويسعد لم يكن ناقما على الاغنياء او متشوقا لهذه الشخصيات الكبيرة .. السادات لم يكن يحمل فى قلبه حقدا لاحد مطلقا ! .

* من قتل انور السادات من وجهة نظرك ؟ !

** من الواضح ومن ملفات القضية ان الجماعات الإسلامية المتطرفة هى التى قتلت انور السادات .. وهذه الجماعات فى حقيقة الامر نتجت عن سلسلة الاخوان المسلمين الذين تعرضوا للقهر والتعذيب فى السجون فخرجت عنهم سلسلة هجمية تريد ان تحطم وتكسر وتنتقم من ضمنهم : الاسلامبولى الذى اغتال السادات .. هذا الرأى هو ما ارتاح إليه شخصيا . فقد قيلت اقاويل كثيرة منها : ان المخابرات الامريكية لها اصابع فى عملية اغتيال السادات .

* وهل تعتقد ان المخابرات الامريكية لها دور فى عملية أغتيال أنور السادات ؟ !

** والله لا استطيع ان افتى فى هذا الموضوع مطلقا لأنه فى النهاية الذى قتل السادات هو الاسلامبولى فأين دور المخابرات الأمريكة هنا مع الاسلامبولى ؟ قد لا يكون دور المخابرات الامريكية متوقفا عند الاسلامبولى فقط وانما يمتد الى تهيئة المسرح السياسى نفسيا واجتماعيا لحدوث هذا الاغتيال .

الحقيقة ان الخطوة التى اقدم عليها السادات كانت خطوة جريئة ورائعة فرغم انه انتصر وعبر وحطم خط بارليف فإنه مديده لإسرائيل يطلب السلام .. وهذا فى رأيى منتهى بعد النظر ! كانت خطوة رائعة هائلة .. وانا اعتقد ان عبقرية السادات تكمن فى هذا !

لماذا ؟! لان العرب قد وصلوا الى حالة من التفكك والضعف نتيجة كراهية بعضهم البعض لدرجة ان الاعتماد على احدى الدول العربية وقتها كانت مغامرة غير مأمونة العواقب ، ولم يكن امام السادات الا اختيار السلام وكان لابد من التقاط الانفاس اقتصاديا بعد فترة طويلة من تدمير البنية المصرية التى لم يقتصر التدمير فيها على المرافق والبنية الاساسية (تليفونات وطرق واسكان ومياه وكهرباء ومواصلات) فقط ولكن للأسف الشديد كان هناك تدمير للنفوس المصرية ايضا ، فقد ترك عبد الناصر تركة مهلهلة ونفوسا مهلهلة تأكل فى بعضها .. وخلق الصراع الطبقى وتحولت مصر الى مسرح للحقد يأكل بعضه بعضا .. ولم يضع حلا لما يحدث من ازمات .

* هل اخرج السادات الجماعات الاسلامية من السجون ليغتالونه ؟ !

** من الواضح ان الجماعات الدينية المتطرفة هى التى اغتالت السادات وهذا احد اخطاء السادات ومن الغريب ان السادات هو الذى اخرج الاخوان المسلمين من السجون .. اخرجهم بالفعل من السجون واعادهم لوظائفهم ثانية !

الذى حدث ان السادات فى موجه الغضب الاخيرة التى انتابته لم يعد يفرق بين الابيض والاسود واصبح معتزا برأيه واصبح لا يطيق اى رأى يعارضه فخرج واحد من الجماعات المتطرفة ليغتاله ! .. ولا شك انه واحد منهم !

* د . مصطفى محمود ما هو تقييمك لحكم السادات ؟ !

** انا اعتقد ان السادات بطل حقيقى وزعيم شجاع بمعنى الكلمة ، وهذا ليس لأنه بطل حرب اكتوبر فحسب ، بل لانه بطل السلام ايضا وليس هناك من يملك شجاعة الرأى اكثر من السادات .

السادات اعاد لنا سيناء وما كانت تعود لولا شجاعته .. منتهى الشجاعة من السادات ان يذهب الىّ دار اعدائه ويقابلهم ويدعو الى السلام .. العرب كانوا معترضين على تفكير واتجاه السادات ولكن الان كل الجهود والمساعى تحاول ان تحقق ما كان يصبو اليه السادات وحققه ، اصبح املهم الان هو الجلوس مع إسرائيل ؟ ! السادات كان مفكرا وشجاعا وسياسيا خلاقا .. وقد حاول اصلاح مصر ولكن يصلح ايه ولا ايه ؟ !

* ولكن وجهت انتقادات كثيرة للسادات خاصة فيما يتعلق بعصر الانفتاح ومساوئه ؟ !

** نحن عشنا عصر الانفتاح .. والحل ليس هو الانغلاق ، يا عزيزى لا بديل عن الانفتاح .. فاذا كان الانفتاح هو الذى ادى الى كل هذا الفساد ، فان السبب فى ذلك هو الكبت لمدة عشرين عاما تحت حكم جبار !

ليس الانفتاح هو السبب ولكن الذى فعله عبد الناصر من خلال الصراع الطبقى وحكم الحزب الواحد والسجون والمعتقلات وفجر الصراع الطبقى وفجر معه الاحقاد بين الناس ، وكانت النتيجة ان مصر كانت مثل مرجل يغلى بالاحقاد بين الناس ، لو فتحت اى جزء منه سوف يندفع البخار منه .

وهل تتصور مثلا ان روسيا يمكنها ان تخرج من الحكم الواحد والاقتصاد الشمولى قبل مائة عام على الاقل ؟ ! فالمسألة ليست سهلة .. ليست مجرد تغيير نظام فالذى حدث داخل الانسان نفسه لا يستهان به .. حدثت شروخ كبيرة داخل الانسان لن تلتئم بسهولة ! .

فالهزيمة الاخلاقية داخل البشر انفسهم !

اصبح هناك نوع من العدوانية بين الانسان واخيه الانسان ، الا ترى المسلم يقتل اخاه فى لبنان .. ثم ان جعجع نفسه يقتل « عون » .. المسيحى ايضا يقتل اخاه المسيحى فى لبنان .. وشيعة ايران وشيعة امل نفس الاسلام .. ولكن لماذا يقتلون بعضهم البعض اذن ؟ !

السبب فى ذلك العدوانية .. انحلال النظام .. النظام انحل فتحول ان يحدث فى مصر لولا ان السادات فعل هذه الطفرة الكبيرة .. واستطاع ان يطرد الروس من مصر !

ان فى رأيى ان السادات فعل بروسترويكا مصغرة فى مصر . السادت كان جوربا تشوف على واسع !

* هل ما فعله السادات هو بروستروكا مصغرة ؟ !

اريد ان افهم هذه العبارة الغامضة على ؟ !

** لا شك ان جوربا تشوف لم يعمل شيئا غير ما فعله السادات فى مصر !

والذى عشناه جميعا وهو الخروج من الشمولية الاقتصادية ومن الحزب الواحد الى التعددية ومن الانغلاق الى الانفتاح ! ان الانفتاح احدث مشاكل داخل روسيا نفسها .. الانفتاح ودخول الكوكا كولا والديسكو الى روسيا احدث نوعا من التغيير ، واحدث ايضا فسادا داخل روسيا ذاتها !

فالذى غير الناس يا عزيزى ليس هو الانفتاح ، ولكن هو الكبت والقهر ونظام الحزب الواحد والسجون والمعتقلات والاحقاد والصراع الطبقى .. كل ما فى الامر ان السادات فتح المرجل فخرج الصديد .. لكن هذا الصديد لم يكن نتيجة حكمه ولكن هذا التراكم من عشرين عاما لحكم عبد الناصر !

* هل كانت احداث سبتمبر ١٩٨١ هى آخر مسمار فى نعش السادات .. ما الذى اسقط السادات قبل اغتياله ؟ !

** انا اعتقد ان السادات حين فاجأ العالم بلعبة السلام وضع إسرائيل فى مخنق وكشفها امام العالم وكان نتيجة لهذا انهم فقدوا سيناء فلم ينس له اليهود ذلك ابدا .. فلقد كانت ضربة معلم واثبت من خلالها السادات انه سياسى محنك وكبير فكانت النتيجة انهم تحالفوا مع بعض الاجهزة الاعلامية لافساد السادات وانا لا انسى ايام الضجة الاعلامية التى صاحبت اسم السادات فى اجهزة الاعلام المختلفة فى العالم والصحف العالمية ، ومنها : جريدة التايمز والنجومية الهائلة التى كانت تصاحبه حين يسافر الى إمريكا .. السادات كان مكتسحا للاعلام العالمى .. رأيت بعينى وسمعت بأذنى وانا ارافق السادات فى أحد رحلاته الى امريكا احد نواب الكونجرس الامريكى يقول علنا فى حفل العشاء .

« يوم ان خلق الله انور السادات تفرغ له لانه لم يكن من الممكن ان يخلق احدا بجانبه ! » .

اقل لك رأيت بعينى وسمعته بأذنى ، وأيامها قيل لنا لا تنشروا هذا الكلام فى الصحف لان الدين فى بلدنا لا يسمح بذلك ! ارأيت ماذا كانوا يفعلون ربنا لما خلقك لم يستطع ان يخلق بجانبك احد ... ؟ !

* ماذا يجرى لك .. ماذا يجرى بداخلك ؟

** لقد ملأوا السادات بالغزو والتعالى .. ليس فى امريكا فقط بل فى صحف اوروبا كلها .. الرجل السياسى الاول .. واشيك رجل فى العالم وغيرها من الالقاب العديدة التى لقب بها السادات .. طبعا هذا غير مواكب المنافقين فى مصر وشلة « الهاتيفة » التى لم تمل من التصفيق ابدا سواء كان على صواب أو على خطأ ولهذا لم يكن غريبا على السادات فى أيامه الأخيرة انه كان لا يطيق الرأى الأخر مطلقا مع ايمانه المطلق بأنه زعيم لامثيل له فى العالم وانه لا يحق لأحد ان يعارضه فى رأى مهما كان .. واصبحت اللحظة مناسبة لاغتياله وهو ما حدث بالفعل !

الفصل العاشر

السادات وهيكل :

قتل الزهور ببلدوزر

السياسة الغادرة

استطاع هيكل ان يقنع السادات بعد ان تولى الحكم بأنه سوف يكون مخلصا له كما كان مخلصا لعبد الناصر واقتنع السادات بكلام هيكل .. فهيكل شخصية سياسية .. وصحفية يفخر اى رئيس جمهورية ان يكون مستشارا صحفيا له مهما كان الخلاف حوله .

وكان موسى صبرى قد حاول فى البداية ان ينسج خيوطه العنكبوتية حول السادات لكى يصبح « هيكل السادات » وطلب منه السادات ان يكتب خطابه امام مجلس الامة ، وقال السادات لموسى صبرى :

اريد منك يا موسى خطابا يعرض كل شيء على مصر .. ويقدم برنامج عمل مثل خطاب العرش الذى كان يفتتح به الملك البرلمان ؟ !

ثم فوجئ موسى صبرى بالسادات يقوله له :

سأقول لك خبرا مهما احتفظ به سرا ..

هيكل قدم استقالته من وزارة الاعلام وانا قبلتها على الفور !

وفرح موسى صبرى بهذ الخبر وجرى على منزله يعد خطاب العرش للسادات !

ولكن كانت المفاجأة الكبيرة لموسى صبرى والسادات يلقى خطابه امام مجلس الامة ان السادات لم يستعن بخطاب موسى صبرى .. ولكنه استعان بخطاب هيكل !

وكانت هذه صدمة كبيرة لموسى صبرى !

وقد طلب السادات من هيكل مهاجمة مراكز القوى بعد ان اتضح موقف مراكز القوى جليا امام السادات خاصة بعد مهاجمة على صبرى علنا للسادات فى اجتماع اللجنة المركزية بشأن مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا .

ولكن هيكل رفض مهاجمة مراكز القوى خوفا من بطشهم به .. وحتى حين طلب السادات من هيكل كتابة خطاب عيد العمال لكى يلقيه بهذه المناسبة ، وطلب منه ان يكتب فقرة خاصة يهاجم من خلالها على صبرى ومراكز القوى .. تظاهر هيكل بالموافقة فى البداية ، ولكنه رفض ان يكتب فقرة مهاجمة مراكز القوى وهذا ذكاء يحسب لهيكل لأنه ادرك بخبرته ان هذا الخطاب قبل ان يلقيه السادت سوف يمر على

سامى شرف فى رياسة الجمهورية لكى يكتبه على الألة الكاتبة وبحروف كبيرة ظاهرة وواضحة للقراءة وانه بالتالى سوف يقرؤه ايضا على صبرى .. فلم يشأ هيكل ان يظهر عداءه السافر لمراكز القوى فى البداية فلم يكتب الفقرة ، واضطر السادات ان يترجلها فى الخطاب امام العمال وكانت اعلانا من السادات لمواجهة مراكز القوى !

وقد حاولت مراكز القوى مهاجمة ومحاكمة هيكل ، ولهذا عقدت اللجنة التنفيذية العليا اجتماعا لمناقشة مقالة هيكل « عبد الناصر ليس اسطورة » .

وقد هاجم لبيب شقير رئيس مجلس الأمة هيكل فى هذا الاجتماع واتهمه بالتخلى عن مبادئ عبد الناصر .. ولكن السادات تصدى لمحاولة ذبح هيكل بأيدى مراكز القوى !

ولقد حاول موسى صبرى مهاجمة هيكل بعد مقاله الشهير عن حرب اكتوبر ولكن احسان عبد القدوس لم يوافقه على ذلك فى البداية لانه كان يعتقد ان هيكل اقل من ان تهاجمه !

ولكن موسى صبرى قال له :

كيف .. ان هيكل يحكم مصر !

(هذا بالحرف الواحد وليس هناك اية إضافة) .

واختلف موسى صبرى مع إحسان عبد القدوس كان الاول يشغل منصب رئيس تحرير الاخبار ، والثانى رئيس مجلس إدارة اخبار اليوم .. ورفض إحسان فى البداية ان ينشر المقال واصر موسى على طلبه وكان من رأى إحسان عبد القدوس الاحتكام الى الرئيس السادات ، ولكن موسى رفض .. فرفض بالتالى إحسان نشر المقال .. وقدم موسى استقالته الى إحسان عبد القدوس .

ولكن بعد ان اتصل احسان عبد القدوس بأنور السادات اقترح إحسان على موسى صبرى ان يكتب المقالة دون ان يذكر اسم هيكل ويترك المعنى والاسم لفطنة القارئ !

وقبل موسى صبرى هذا الاقتراح ونشر المقالة الاولى والثانية !

وقد قال الاديب الكبير إحسان عبد القدوس ذات يوم لموسى صبرى طريقة هيكل هو أن يستولى على الرأس الكبير أولا فى أى مكان !

فقد أستولى على رأس والدتى روز اليوسف ، ثم أستولى على رأس محمد التابعى ثم على رأس التوأمين مصطفى أمين وعلى أمين وعلى رأس عبد الناصر !

ولكن لماذا لم يستول هيكل على رأس السادات ؟!

فى رأيى أن رأس السادات كانت ناشفة ، وكان عنيدا ، وكان لا يزال صغيرا وهيكل كان وقتها يحكم مصر بعقل عبد الناصر .. والسادات كان لا يحب عبد الناصر وإن كان يتملقه وينافقه فى وجوده .. لكن كان يكره عبد الناصر !

ولقد تصالحت كل هذه العوامل مجتمعة لاقصاء هيكل من منصبه !

ولقد حاول السادات أن يلعب على عقل هيكل بتعينه وزيرا للاعلام لمجرد أقصائه عن " قلعة " الاهرام ثم يخرجه من الوزارة بعد ذلك ! ولكن هيكل كان أذكى من ذلك كثيرا فرفض أن يقبل الوزارة وأضطر السادات أن يقصيه عنوة عن الاهرام ، ثم قدمه إلى المدعى العام الاشتراكى ، ثم أعتقله فى أعتقالات سبتمبر ١٩٨١ .

والواقع أن السادات لم يكن ذكيا حين فعل ذلك بهيكل لان السهام ردت إلى صدر السادات بعد ذلك .. ولهذا قيل :

أن سهام السياسة إذا ردت إلى قلب مطلقها فإنها تكون سهاما طائشة تؤكد قوة وشجاعة من لم تصبه !

ولهذا كانت سهام السادات طائشة لان هيكل قال أمام المدعى الاشتراكى :

" إذا كنت سيئا حقيقة فى نظر النظام فلماذا عرض على رئيس الدولة أنور السادات الوزارة ؟!

ولماذا يريد أن يحاكمنى الان ؟!

وقد يبدو التساؤل بديهيا فى حد ذاته لكنه كان سهما قاتلا فى الوقت نفسه !

أما أعتقال السادات لهيكل فقد كان رد فعله سيئا فيما بعد على الرأى العام فلا يزال الكثيرون يعتبرون أن أعتقالات سبتمبر والتى شملت هيكل هى نقطة سوداء فى تاريخ حكم السادات ! ولهذا ردت السهام التى أطلقها السادات على هيكل إلى قلبه السياسى المغلف بالعناد !

وقد كان محمد حسنين هيكل قبل أعتقاله مباشرة فى سبتمبر ١٩٨١ فى زيارة عمل لفرنسا ، وقد عاد من باريس إلى الاسكندرية مباشرة لقضاء بعض الوقت مع أبنائه في الاسكندرية .

والغريب أن هيكل بحسه السياسى الكبير قد أستشعر قبل أعتقاله أن السادات يستعد للانقضاض على كل معارضيه وخصومه . وكان هيكل يتوقع أن يصيبه شيء ما ، ولكن أقصى ما يمكن أن يتوقعه هو أن يتم أخراجه من نقابة الصحفيين أو يمنع من الكتابة ، ولكن لم يكن يتوقع أن يتم أعتقاله مطلقا !

ولكن فى الساعة الثانية صباح يوم ٣ سبتمبر عام ١٩٨١ كانت هناك طرقات قوية ومفزعة على باب شقة هيكل بالاسكندرية . وكان معه أثنان من أبنائه ، أستيقظ أحدهما مفزوعا ليجد أثنين من ضباط مباحث أمن الدولة يطلبان منه فتح الباب فرجاهما أن ينتظرا حتى الصباح الباكر حيث أن والده كان يغط فى نوم عميق ، فقالا له :

نرجوك أن تفتح الباب فورا وإلا أضطررنا إلى كسر الباب !

فذهب لايقاظ والده وفتح لهما الباب .

وقد نظر هيكل وقتها فى ساعته مستهولا ما يحدث وكانت ساعته تشير وقتها إلى الثانية والثلث صباحا .

وذكرهما هيكل أنه صاحب العبارة الشهيرة " زوار الفجر " والتى أنتقد بها تجاوزات الامن فى عهد عبد الناصر ، فكيف يحدث أن يقبض عليه فى مثل هذه الساعة فى عهد يدعى إنه الديمقراطية ؟!

فقال له الضابطان : نحن يا أستاذ هيكل فى منتهى الاسف لاننا ننفذ ما كلفنا به .

فقال لهما هيكل : هل غيابى سيطول ..

هل يستحسن أن أحمل حقيبة معى بها ملابس وأدوية ؟!

فقال له : أمامك عشر دقائق لتحزم فيها حقيبتك .

ثم سألهما هيكل سؤالا خبيثا أراد به أن يستشف ما يخبئه له القدر .. فقال لهما :

هل أحزم حقيبة كبيرة .. لغياب طويل ؟!

فقالا له : ليس أكثر من يوم أو يومين !

ثم سألهما : هل ستذهب إلى القاهرة .. وإن كل ذلك فهل سيذهب بسيارته ؟!

فقالا له : لا .. أطمئن .. هناك ترتيبات لكل شيء .

وشد هيكل على يد أبنه ولم يشأ أن يوقظ أبنه الاصغر حتى لا يفزعه ما يحدث !

بل لم يقبل أبنه الاكبر وهو يودعه حتى لا يحس بأى نوع من الضعف ، وهذا ما يحرص عليه هيكل دائما حتى فى أقسى اللحظات التى مرت به فى حياته كلها !

وخرج هيكل من شقته وهاله ما رأى .. فقد رأى أحد الضباط مسلحا بمدفع أتوماتيكى والضباط لا يملئون فقط الدور السابع الذى يقطنه ، بل كان أدوار العمارة التى يسكنها ! ومدخل العمارة كأنه قلعة عسكرية مليئة بالضباط والجنود ، وأحد الضباط يسمك بيده بجهازه اللاسلكى ، وما أن رأى هيكل مقبوضا عليه ومن حوله الضباط والعساكر حتى أكد لمن يحادثه عبر اللاسلكى بأن العملية رقم " ٩ " قد تمت !

وكان المشهد سينمائيا للغاية وعربات الامن المركزى تحتل الشارع محمله بجنود الامن المركزى مما دعا هيكل أن يقول لمن حوله من الضباط :

أننى أحس وكأننا فى مشهد من فيلم " زد " .

وكان يعنى بذلك الفيلم الشهير الذى يكشف أرهاب الكولونيلات بعد انقلابهم واستيلائهم على الحكم فى اليونان !

ثم دعا أحد الضباط هيكل إلى ركوب سيارة صغيرة بجانبه ، وكان هيكل فى دهشه شديدة لكل ما يحدث من حوله لدرجة أنه سأل الضباط المرافق له :

هل الامن يستدعى كل ذلك ليقبض على ؟!

ألم تكن تكفى أشارة تليفونية للحضور إلى مباحث أمن الدولة ..

وكنت سألبى الحضور فورا حتى ولو كنت خارج مصر ؟!

ثم سأل الضباط : إلى أين نحن ذاهبون ؟!

فرد عليه قائلا : إلى مركز قيادة العمليات فى الاسكندرية !

حتى الضابط لم يتصور ما يحدث وقد قرأ وعاصر مقالات هيكل فى الاهرام وقد أوضح ذلك لهيكل قبل أن يسأله :

هل هى أول مرة تعتقل فيها يا أستاذ هيكل ؟!

فقال له هيكل : نعم ..

فقال له الضابط : أن الظروف تتغير !

ووصل موكب هيكل إلى مديرية أمن الاسكندرية وكأنه كان على موعد مع زملائه المعتقلين .. حيث وجد عشرات السيارات تحمل غيره من المعتقلين من جميع الاتجاهات السياسية .. ثم تحركت القافلة بعد تجمعها إلى القاهرة فى ظلام الليل والسيارة العتيقة التى أمتلأت عن أخرها بالمعتقلين والضباط والمخبرين والجنود تتأرجح عجلة قيادتها فى يد السائق بسبب الارهاق وعدم النوم وسط فزع الراكبين من الانحراف أو الاصطدام بسيارات الحراسة ..

ولم يعرف أحد من المعتقلين إلى أين المسير إلا عندما أتجهت السيارة فى طريق المعادى ، فقد أدركوا أنهم فى طريقهم إلى منطقة سجون طره ، وبالفعل أستقر بهم المطاف فى سجن جديد من سجون طره تم بناؤه بمعونة أمريكية هو سجن " السلام " !

وفى صالة أستقبال السجن تم مصادرة الكتب والاقلام والاوراق التى كانت مع هيكل ومع زملائه من الكتاب والسياسيين !

ولقد أقتاد الحراس هيكل إلى الزنزانة رقم " ١٤ " صغيرة عليها باب من الحديد فى أعلاه قضبان وبها مراتب وبطاطين تفوح منا رائحة الد .د .ت وفى ناحية حفرة فى ركن من الاركان تمثل الحمام وفى الركن الاخر كانت هناك مجموعة من الاوانى المصنوعة من الصاج تمثل القروانات التى يغرف فيها الطعام . وبينما كان هيكل يفكر فيما حدث وأسبابه ودوافعه أندفع باب الزنزانة وظهر أمامه شاويش ومعه أثنان من الجنود .. أحدهما يحمل صفيحة يعلوها الصدأ ، والاخر يحمل صفيحة مليئة بأرغفة الخبز ،

وتغطى الاثنتين سحابة من الذباب !

وقال له الشاويش بلهجة حادة :

" أين قروانتك " ؟!

ولم يعرف هيكل بالطبع القروانة ، فلم يسبق أن دخل السجون من قبل !

فقال له : ليس عندى قروانة .

فنظر إليه الشاويش فى دهشة ، وقال له :

أمال دي أيه ؟!

وأشار إلى موقعها !

فقال له هيكل : أيه اللى أنت عاوزه بالضبط ؟!

فقال له : عاوز أغرف لك الاكل ؟!

وحاول الشاويش أن يغرف الطعام لهيكل وهو عبارة عن بعض من العسل مع رغيفين ولكنه رفض فلم تطاوعه نفسه أو شهيته التى صدت رغم أنه كان يتضور جوعا من المشهد القذر أن يمد يده ليأكل ، فهدده الشاويش بأنه فى حالة أمتناعه فسوف يخطر ضابط السجن بذلك .

فقال له هيكل : أفعل ما تشاء !

ثم جاءه الضابط المختص بعد دقائق وسأله :

لماذا تمتنع عن الاكل مع أنه ليس مصرح لك بغيرة طوال اليوم ؟!

أننى أعرف إنها أول مرة لك فى السجن ، ولكنك سوف تتعود !

فسأله هيكل : هل سامكث وحدى فى هذه الزنزانة ؟!

وهل سيكون سجنى انفراديا ؟!

فقال له الضابط : لا .. ولكننا نبحث لك عن رفاق جدد يناسبونك ؟!

وبعد نصف ساعة دخل الضابط ومعه الوفدى الكبير أحمد طلعت والناصرى كمال أحمد !

ثم أخبره بأن هناك بعض الشباب من المتدينين من المقبوض عليهم يريدون أن يجلسوا معه لمناقشته فى أفكاره وأرائه .. وبالفعل جاء ببعض هؤلاء الشباب وبدأت المناقشات بين هيكل وبين هؤلاء الشباب ، ثم بعد ذلك بساعات وفى المساء جاء أحد الضباط يطلب هيكل للخروج معه .

وتفاءل ابراهيم طلعت بذلك وقال لهيكل :

سوف يفرجون عنك .. فلابد أن تكون هناك ضغوط دولية قد حدثت بشأنك فقرروا الافراج عنك فورا . . ..

فرد عليه هيكل قائلا :

لا تسرف فى حسن الظن !

فمن قرروا أعتقالى لابد أنهم قد حسبوا أعتقالى لابد أنهم قد حسبوا مسبقا ما يمكن أن يثيره القبض على من ردود فعل فى الداخل والخارج وما دام أنهم قبضوا على بالفعل .

واقدموا على هذه الخطوة فليس من السهل مطلقا ان يعودوا عنها ببساطة !

وفى غرفة مدير السجن وجد هيكل اربعة ضباط فى انتظاره احدهما لواء ومعه ثلاثة عمداء طلبوا منه مصاحبتهم فى مهمة تفتيش شقته ومكتبه وبيته فى الريف !

وقد بدأوا المسيرة بتفتيش منزله فى الجيزة حيث صادروا بعض الاوراق ، وقد طلب منهم هيكل تأجيل تفتيش منزله فى الريف لبعد المسافة ، ولأنه متعب ومرهق ، ولكنهم اصروا على تنفيذ العملية رقم « ٥ » وهى اسم عملية تفتيش مواقع إقامة هيكل ومصادرة الكتب والاوراق السياسية له .. وقد اعترض هيكل علنا على الحملات الكبيرة المسلحة التى صاحبته الى مواقع إقامته سواء فى الجيزة او منزله بالريف .

وقد طالب بان تكون الحملة المسلحة رمزية من جندى او اثنين فلا داعى لكل هذه المواكب المسلحة ؟ !

وقد سأل هيكل الضباط المكلف بالعملية سؤالا مباشرا :

انتم عايزين ايه بالضبط ؟ !

فقال له : اوراقك السياسية !

فرد عليه هيكل قائلا :

ان الجميع بما فيهم الرئيس السادات يعرفون انني من زمن طويل قد نقلت اوراقي السياسية التي اخشى عليها الى خارج مصر !

وإذا كنتم تريدون اوراقي السياسية .. فلماذا لا تعيدوا الى جواز سفري الذى صادرتموه من احد أدراج مكتبي اثناء التفتيش ، ثم نسافر معا الى الخارج لنعود بهذه الاوراق !

وقد تمت مصادرة المراجع التى استعان بها هيكل لكتابة عن الثورة الايرانية وقد علق هيكل عل ذلك قائلا للضباط المكلف :

ارجو الا يكون من بين التهم الموجهة الى انتمائى الى الجماعات الإسلامية ؟ !

وايضا من ضمن الاوراق التى تم مصادرتها من شقته مذكرة برأى حزب الوفد الجديد فى اتفاقيات كامب ديفيد مرفقا بها بطاقة من رئيس الحزب فؤاد سراج الدين عليهاعبارة « مع تحياتى » فتمت مصادرتها ، ولما حاول هيكل ان ينتزع البطاقة من على المذكرة قال له الضباط :

ان البطاقة اهم من المذكرة نفسها !

ثم تحرك الموكب المسلح بعد ذلك الى منزل هيكل بالريف وقد سبقته الى هناك « لوارى » محملة بالجنود ، وقد اغضب هيكل كثيرا ان لوارى البوليس قد داست على احواض الزهور ..وكان اهتمام هيكل بالزهور مبعث استغراب جميع الضباط والجنود المكلفين بتنفيذ العملية وكان مبعث دهشتهم :

كيف يهتم هيكل المعتقل والذى لا يعرف احد مصيره حتى تلك اللحظة بالزهور التى داستها عجلات اللوارى ..

هل يمكن ان يفكر فى الزهور اكثر من نفسه التى حاول السادات ان يدوسها ببلدوزر السياسة الغادرة !

ولقد ساعد هيكل على تحمل كل اللحظات الصعبة التى واجهها فى المعتقل فى

اعتقالات سبتمبر هو احساسه انه صحفى اولا واخيرا .. فقد كان هذا الشعور هو بمثابة صمام امن ضد غدر الزمن ، وتقلب سياسة السادات نحوه من ناحية ، ووجود كل الرموز السياسية الكبيرة فى مصر معه فى السجن وكلها رموز شامخة .. كل هذا ساعده على تحمل الصدمة الكبرى .. فلو كان هيكل هو المعتقل الوحيد فربما كانت النتائج مختلفة ثم احساسه كصحفى ايضا قد خفف عنه وطأة السجن فلقد تقمص هيكل وهو فى السجن انه دخل بمحض إرادته لكى يسجل للقارئ ويراقب ويتأمل تجربة السجن السياسى مع هذه المجموعة فى سجن صحفى كبير ، وقد يخرج هيكل فى تجربة الانسلاخ بين المعتقل والصحفى .. وصدق حدث هيكل الصحفى فى انه سوف ينقل للقارئ كل ما حدث فى تجربة سياسية صحفية وهو ما حدث بالفعل فى كتابه الشهير : « خريف الغضب » وهو اهم وثيقة سياسية عن بداية ونهاية عصر السادات .. ولكن يبدو ان غضب هيكل قد ازداد فى « خريف الغضب » لاعتقال السادات له ، وهو ما لم يتوقعه هيكل مطلقا ، فأراد ان يرد له الصاع صاعين فى الاساءة الى جذوره ولونه واساس اسرته ، مما اغضب الرأى العام تجاه هيكل رغم تعاطف الجميع معه فى مسألة اعتقاله .. ولكن معيار هيكل فى الرد على السادات قد زاد عن حده فانقلب الى ضده ! .

وهذه هى الاساءة الوحيدة التى لم يتقبلها احد من هيكل ، اما بقية الفصول فكانت رؤية هيكل السياسة فيها موضوعية للغاية ! وقد كان جميع المعتقلين بعد القبض عليهم - على حد تعبير د . عصمت سيف الدولة مثل السمك الذى يفاجأ به الصيادون فى الصباح على شاطىء البحر ! .

فقد تم القبض عليهم جميعا فى زمن واحد .

ولقد كانت عبارة محمد حسنين هيكل بعد ان اقتادوه الى مديريه امن الاسكندرية :

إذا كنت انا قد قبض على فلن يكون بعدى الا الطوفان !

وكان كل ثلاثة سياسيين فى زنزانة صغيرة ، وقد روعى الاختلاف السياسى بين الثلاثة حتى يكون الاختلاف الايديولوجى والسياسى بمثابة تعذيب فكرى قاس ، لكن الاشتراكية فى الاتجاهات والمشاعر يمكن ان تخفف من قسوة السجن !

كانت الزنزانة مساحتها مترين فى مترين ونصف ! ونصيب كل معتقل بطانية ومرتبة اسفنج سمكها ٥ سم ! وبدون اى اساس ولا حتى برش !

وقد اكتشف المعتقلون بعد فترة ان وسط السجن مخزن به العديد من الابراش فكانوا يرون الابراش من خلف القضبان وهم ينكمشون من شدة البرد ليلا على البلاط واغلبهم فى مرحلة الشيخوخة .. نوع من التعذيب النفسى والبدنى ولكن بعد اسبوع استطاع د . ميلاد حنا بأسلوب يجهله الكثيرون حتى الان ان يحصل للمعتقلين على ابراش داخل الزنازين وقد استجابوا له على الفور !

وكان هناك نوع من التدرج فى التعذيب فى مسألة الاكل .. ففى البداية جاءوا بعسكرى فى السجن يداه كانت قذرة للغاية وكان هذا متعمدا .. كان يغرف بيديه القذرتين الارز للمعتقلين ، ثم فى الاسبوع الثانى كانت معه مغرفة يغرف بها ، ثم الاسبوع الثالث كان يعطى المغرفة لاحد المعتقلين ليغرف بها لزملائه .

واسباب اعتقال السادات لهيكل فى اعتقالات سبتمبر اوضحها السادات صراحة من خلال خطابة امام البرلمان فى ١٥ سبتمبر ١٩٨١ وهى خمسة اتهامات :

اولا : ادعاؤه بأن هيكل ملحدا وان هيكل نفسه قد اعترف له بذلك .

ثانيا : انه صديق للملوك والرؤساء فى العالم العربى وخارجه وهذا فى حد ذاته يجعل منه مركز قوة !

ثالثا : انه يكون ثروة مالية هائلة من كتبه ومؤلفاته التى هاجم فيها مصر .

رابعا : انه أعطى صورة مشوهة عن مصر للعالم الخارجى .

خامسا : انه كان يرتب مع فؤاد سراج الدين إصدار جريدة تنطق بلسان الوفد .

وكان هيكل خلال فترة الاعتقال بمعزل عن كل المعتقلين صامتا .. ومن النادر جدا ان يتحدث الى احد .. ولكن جاء حادث وفاة عبد العظيم ابو العطا فى السجن فقلب الامور رأسا على عقب .. فقد هاجم المحامى الكبير والسياسى القدير د . عصمت سيف الدولة مأمور السجن واحدث ثورة نتيجة وفاة د . عبد العظيم ابو العطا وزير الرى الاسبق داخل السجن ، واغلق المعتقلون الباب الخارجى للزنازين من الداخل .

وانضم الى د. عصمت سيف الدولة كل من محمد حسنين هيكل و د. إسماعيل صبرى عبد الله وطلبوا بحضور رئيس النيابة متهمين مأمور السجن بقتل د . عبد العظيم ابو العطا ! وقد هاجموا المأمور وجها لوجه واتهموه علنا بقتل الوزير الاسبق .

وحضر رئيس النيابة واتهم امامه د . عصمت سيف الدولة مأمور السجن بقتل د . عبد العظيم ابو العطا عمدا .

وقد قدموا الدليل على ذلك ان أحد المعتقلين وهو الدكتور على نويجى وهو طبيب بمركز كفر الشيخ قد قدم بلاغا لإدارة السجن بان الإقامة غير صحية ويخشى على المعتقلين من الوفاة نتيجة الاهمال الصحى للمعتقلين وبعضهم كان يعانى من امراض القلب والصدر .. وقد هدد د . على نويجى بالانتحار اذا لم يستجب لمطالبة بالرعاية الصحية للمسجونين ، ولم يكن يمزح فى تهديده بالفعل !

وطلب د . عصمت سيف الدولة من هيكل خمسين جنيها فسأله هيكل لماذا ؟ !

فقال له لكى ارفع دعوى مدنية باسم ارملة الدكتور عبد العظيم ابو العطا بوصفى محاميا .

فما كان من هيكل الا انه اخرج من جيب الروب خمسين جنيها واعطاهم لعصمت سيف الدولة .

ملحوظة : لم يكن مصرح بأية نقود داخل السجن !

وحين بدأ رئيس النيابة التحقيق طلب د . عصمت سيف الدولة حضور التحقيق بوصفه مدعا مدنيا .

وقد طلب هيكل حضور التحقيق . فسأله رئيس النيابة بأى صفة ؟ !

فقال له هيكل : باعتبارى شاهد التاريخ ؟!

ثم انفجر هيكل فى رئيس النيابة قائلا :

انا لم اكن اتصور مطلقا ان يحدث . انا لم اكن اتصور مطلقا ان يحدث كل هذا الاجرام اللا ادمى .

واننى استطيع من مكانى هنا داخل السجن ان اتصل بكل صحف العالم ووكالات الانباء لكى تعبر عن جرائمكم التى فاقت كل الحدود ثم بكى هيكل وتساقطت الدموع من عينيه !

رغم انه من الصعب ان يبكى هيكل ! وسمح له رئيس النيابة بحضور التحقيق الذى استمر حتى الصباح الباكر !

ولقد كان لهذا الهدف ابلغ الاثر على هيكل داخل السجن ، فقد قبل ولاول مرة ان يكون مسجونا .. فقد اختلط مع الناس بعضها الا فى مسألة الاكل حيث اعتاد المعتقلون ان يتقاسموا الطعام الاتى اليهم من اسرهم خارج السجن مع بعضهم البعض ويأكلون سويا الا هيكل كان دائما بمعزل عنهم حيث يأتيه الطعام من الخارج ومعه وردة حمراء مهداه من زوجته ! فلم يستطع هيكل ان يزيل الحاجز النفسى بينه وبين الآخرين حتى الرغم من ان الآخرين قد ازالوا الحواجز النفسية التى بينهم وبينه . على عكس فؤاد سراج الدين الذى القى خطبة الوداع بعد ان تقرر خروجهم مشيدا بكل الذين كانوا معه حيث خرج من اطار « الباشوية » الى التواضع « الشعبى » مع الجميع .

ولكن يحسب لهيكل ـ ولا احد يلومه على سلوكه مع الناس ـ انه كان بمقدوره ان يخرج من المعتقل حيث عرض عليه ان يقيم فى مستشفى ولكنه رفض وقال :

لا استطيع ان اخرج بمفردى ولن اخرج الا مع الجميع !

وهذا موقف « فروسية » يحسب لهيكل !

الفصل
حادي عشر

السادات :
ومراد غالب
وقرار طرد السوفيت !

* قال لى د . مراد غالب وزير خارجية مصر الاسبق عن طبيعة تلك المرحلة السياسة :

ان المرحلة التى كنا نمر بها اساسا كانت مرحلة التحرير من الاستعمار البريطانى ومن الوجود والخطر الإسرائيلى .. طبعا كان واضحا انه ولابد ان تتجه للاتحاد السوفيتى لتأمين كل هذه المصالح وليس هذا من باب المزاج الشخصى فالمسألة لم تكن مسألة استلطاف للاتحاد السوفيتى فاتجه اليه ، أو مسألة إعجاب بالولايات المتحدة الامريكية فارتمى فى احضانها لا .. ليس هذا هو الفيصل بالطبع . ولكن الفيصل الحقيقى فى اسباب وعوامل مادية ترسم سياستنا الخارجية ، وبالتالى كانت هناك مرحلة المعركة الأساسية فيها ، تتمثل فى الاحتلال البريطانى وتأمين مصر قديما وعسكريا من العدوان الإسرائيلى .. وكيف نحافظ على مصر من محاولات الزج بها فى احلاف عسكرية فى المنطقة .

اذن فالمعركة اساسا كانت ضد بريطانيا التى كانت تحتل ارضا ، وضد إسرائيل التى هاجمتنى وضربتنى ، وايضا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية التى كانت فى مرحلة من المراحل تساعدنا او هكذا كانت تبدو الولايات المتحدة الامريكية وكأنها مع الدول التى تستقل حديثا ومع الشعوب التى تريد حق تقرير المصير .. هذه مرحلة وهناك مرحلة ثانية ، كان واضحا فيها ان الولايات المتحدة الامريكية تريد ان تدخل مصر فى احلاف منطقة الشرق الاوسط وبصفة خاصة حلف بغداد الذى تكون فى هذه المرحلة وكانت سياسة الولايات المتحدة الامركية فى تلك المرحلة هى سياسة احتجاز الاتحاد السوفيتى بواسطة حلقة من القواعد العسكرية وضرورة ان تدخل مصر فى هذا الحلف من الاستعمار البريطانى ، ولا نرد ان نقع فى دائرة الاحلاف العسكرية الجديدة .

ناهيك عما هو اهم وهى تلك العلاقة الوثيقة المستمرة دوما بين الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ، ونهر الاموال السائلة والمساعدات العسكرية والاقتصادية التى تنهال من الولايات المتحدة الامريكية على اسرائيل وهى من الوضوح بما لا يجعل اى مجال للشك فى هذا .

إذن فالمعركة كانت واضحة تماما ، وهى انه لابد ان علاقتى مع الاتحاد السوفيتى

علاقة طيبة لا تمكن من المحافظة على استقلال .. ولا تنس ان الامن المصرى هو استقلال مصر وعدم خضوعها لقوة اجنبية ، وبالتالى كان لابد ان نتجه الى الاتحاد السوفيتى فى هذه المرحلة ، وبالفعل اتجهنا اليه ولكن لابد ان نضع فى الاعتبار ايضا ان سياسة مصر لم تكن فى هذه المرحلة عدائية مع الولايات المتحدة الامريكية ، لانها كانت تساعدنا او هكذا كانت تبدو ، من اجل اجلاء القوات البريطانية عن مصر وانها ايضا ابدت استعدادها لتسليحنا ، الا انه لم نسر على نهجها فى الدخول فى الاحلاف العسكرية الامريكية . وفى الوقت نفسه لم نناصبها العداء بل ان الثورة كانت حريصة على ان تكون علاقاتها طيبة بالولايات المتحدة الامريكية وكما نعلم جيدا فان مصر طلبت اسلحة من الولايات المتحدة الامريكيه لكنها رفضت ان تمنحنا سلاحا ، كما تمنت مصر ان تكون الولايات المتحدة هى التى تقوم ببناء السد العالى لكنها رفضت مما وضع الثورة فى موقف حرج بشأن رفض تمويل السد العالى كل هذا كان من شأنه ان يجعل الثورة تتجه اتجاها واضح بخطوات عملية من اجل الحفاظ اولا على استقلال مصر وامنها القومى بعيدا عن الدخول فى حبائل الاحلاف العسكرية والقواعد ، وكان لابد لها ان تقاوم السياسة العدوانية الاسرائيلية التى تمثلت فى عدوان ١٩٥٦ .. لقد اتضحت الثورة اذن ومن هنا كان اساس توجه الثورة الى الاتحاد السوفيت دون ان تقطع علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية ولكنها فى الوقت نفسه كانت تحاول ان تحد من السلبيات السياسية الامريكية فى المنطقة .

ايضا لابد الا نغفل حقيقة مهمة وهى ان الثورة حيث قامت كانت هناك مرحلة عالمية جديدة هى ثورات الشعوب . وكانت المصرية من ضمن ثورات الشعوب التى قامت بعد الحرب العالمية الثانية للتخلص من الاستعمار التقليدى المتمثل فى بريطانيا . هذا فضلا عن مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى .. الشرقى بقيادة الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية . ويجب الا يغيب عن اذهاننا ايضا ان هذه المرحلة التى تقلص فيها دور الاستعمار الغربى القديم : بريطانيا وفرنسا وغيرها وزحفت الولايات المتحدة الامريكية لتتولى بدورها مكانة الاستعمار التقليدى القديم . ولهذا ارادات الولايات المتحدة الامريكية ان تدخل مصر فى الاستراتيجية الجديدة بادخالها فى الاحلاف والقوات العسكرية من اجل

تحقيق سياسته وقتها وهى احتواء الاتحاد السوفيتى واحتجازه ولهذا رفضت مصر مبدأ التبعية للولايات المتحدة الامريكية .. ومن هنا صحوة العالم الثالث تمثلت فى مؤتمر باندونج ، وتضامن اسيا وافريقيا . وحركة عدم الانحياز من اجل تدعيم استقلالها ، وعدم الوقوع فى سيطرة احد المعسكرين .

* هل تريد ان تقول انه لم تكن هناك تبعية للاتحاد السوفيتى وان الواقع السياسى هو الذى فرض ذلك ؟ !

** بدون شك فالواقع هو الذى فرض هذه العلاقة مع الاتحاد السوفيتى الذى بدا بعد الحرب العالمة الثانية سياسة جديدة هى مساعدة الشعوب كان يساعدنا لان هناك مصالح مشتركة بين الاتحاد السوفيتى وبين حركة تحرير الشعوب .. ولكن لماذا ؟ لان حركة تحرير الشعوب موجهة اساسا الى ضرب النفوذ الاستعمارى وهو نفوذ غربى فى معظمه ، وهذا يعلن استقلال العالم الثالث .. معناه انحسار الاستعمار الغربى وانحسار النفوذ الغربى .. ان مبدأ تحرير الشعوب هو موقف مبدئى للسوفيت ، ولكن يجب الا يغيب عنا ان هناك مصالح مشتركة بين الاتحاد السوفيتى وحركة تحرير الشعوب تتمثل فى تقلص النفوذ الغربى .

* وهل الامر يختلف بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ؟

** كان الامر يختلف بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية لانها كانت ترى ان هذا معناه ان نفوذ الاتحاد السوفيتى سيكون قويا فى العالم الثالث .

وعلى ذلك بدأت الهجمة الشرسة على العالم الثالث ، وكانت هذه هى الواقع هى أداة الولايات المتحدة الامريكية مع الوضع فى الاعتبار تأكيد استقلال مصر وسلامة اراضيها :

* د . مراد غالب .. كنت تقل مساعدات الاتحاد السوفيتى لمصر .. لماذا اقدم السادات اذن على طرد الخبراء السوفيت ؟ هل لانهم خرجوا عن دورهم الاصلى واصبحوا على حد تعبير البعض احتلالا استعماريا سوفيتيا لمصر وليس مجرد خبراء او مستشارين الى درجة منع وزير حربية مصر من دخول بعض القواعد الجوية والعسكريه فى مصر او لانهم تدخلوا فى الشئون الداخلية لمصر مثلما حدث بالنسبة

لسفر وفد مصرى للاتحاد السوفيتى فجاء السفير السوفيتى الى سيد مرعى لتحديد اسم رئيس الوفد المصرى ؟ .. او لان الخبراء السوفيت كانوا يهربون الذهب من مصر ؟ .. ثم هل يعقل ان تكون وزيرا الخارجية لمصر ولا تعلم بهذا القرار ؟

** اريد ان اصحح هذه المعلومة .. انا عرفت بقرار الخبراء السوفيت قبل ان يعلن القرار .

* ولكن السادات اعلن فى خطاب رسمى على الشعب انه لم يخبر احدا بهذا القرار ؟

** ليس صحيحا .. انا عرفت هذا القرار قبل ان يعلن .

* قبل ان يعلن .. ولكن بعد ان اتخذ السادات القرار ودون ان يستشيرك ؟

** السادات اتخذ هذا القرار وابلغه للسفير السوفيتى . بعد ما اتخذ هذا القرار جمعنا فى قصر الطاهرة . كنت موجودا ومعى د . عزيز صدقى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، والسيد حافظ إسماعيل والسيد احمد إسماعيل وكنا نجلس فى الحديقة ليلا وقد سيطر الوجوم علينا ، ولم نر وجوه بعضنا البعض لان الظلام كان يخيم على الحديقة ، ثم بدا السادات يقول :

« انا طريقتها على دماغهم وعملت فيم كيت وكيت » ..

اذن فالموضوع اتخذه السادات بشكل خاص وشخصى فهو لم يستشرنى ولا استشار اى إنسان فى مصر سوى د . محمود فوزى ووزير الحربية محمد الصادق هما فقط اللذان استشارهما السادات فقط وواضح ان الوزارة لم يكن لها دخل فى ذلك .

اما مسألة الذهب هذه فهى مسألة سخيفة وكانت احدى وسائل الاثارة التى كان من شأنها الاساءة الى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى .. وانا قلت لهم هذا الكلام ، والحقيقة لا تخرج عن كونها ان ضابطا او خبيرا سوفيتيا يأتى الى مصر فى مهمة عمل لفترة ، وعند عودته الى بلاده يشترى هدايا فى شكل سلسلة صغيرة لابنته او خاتما صغيرا لابنه . وكانت المسألة كلها لا تتعدى ٢٠٠ الف جنيه لكل الخبراء وكان يعود سعيدا الى بلاده بشراء هدايا مصرية للذكرى ، ولكن الذى حدث للاسف الشديد هو التركيز على هذا الموضوع لدرجة انهم قالوا ايامها الروس بيأخذوا الذهب بتاع مصر امنعهم !

وهذا كلام لا يدل ابدا على اننا اناس متحضرون وهو بالضرورة من الاعمال غير الانسانية ان تقول ذلك .. ثم انك لو ناقشت الامر حسابيا فأنه فى النهاية لا يتعدى عدة الوف من الجنيهات لا تساوى بأى من الاحوال الضجة البشعة التى افتعلت واساءت الى سمعة الخبراء السوفيت . يعنى اذن العملية مقصودة ومرسومة لقطع علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي عن عمد .

طبعا انور السادات لم يكن يعلم حقيقة السياسة المصرية للاسف الشديد ، وحتى ولو عرفها فانه لن يغير من سلوكه لان كان يردد دائما بان الوجود العسكرى السوفيتى هو الحجر العثرة التى تقف له بالمرصاد فى اى تقدم طيب .. السادات طرد الخبراء السوفيت وانهى الوجود العسكرى السوفيتى .. فماذا عن الموقف السوفيتى الامريكى .. هل نجح فى حل القضية له ؟ ولقد كنت فى زيارة لامريكا اللاتينية وقابلت رئيس جمهورية اورجواى وسألته : لقد طردنا الخبراء السوفيت ولم يصبح لدينا اى وجود عسكرى سوفيتى فهل ستتحرك الولايات المتحدة الامريكية لحل القضية ؟ ! فقال لى : اننى اشك فى ذلك .. انهم سيجدون مبررات اخرى لعدم حل القضية .. وبالتالى فان طرد الخبراء السوفيت سيجعل الموقف الامريكى اكثر تشددا !

وهذا فى الحقيقة ما جعل انور السادات يعود ثانية الى الاتحاد السوفيتى واقال وزير الحربية محمد الصادق الذى لم تكن علاقته طيبة بالاتحد السوفيتى بل كان مضادا له وعين بدلا منه احمد إسماعيل مرة ثانية ، وهو الذى تعاقد مع السوفيت على صفقة الاسلحة .. ولنا ان نتساءل لماذا اقدم انور السادات على هذه الخطوة ؟ لأنه فشلت اولا سياسة التقارب مع امريكا ، ثم بعد انهاء الوجود العسكرى السوفيتى لم يحدث اى تقدم لحل القضية .. وانتم مهزومون عليكم ان تدفعوا الثمن ! .. هذا الموقف الامريكى فى حقيقته وهذا ما دفع بانور السادات ان يعود من جديد لتشكيل وزارة جديدة) برئاسته عيننى فيها وزيرا للاعلام قد اراد بذلك ان يبين ان الوزارة الجديدة تريد ان تقيم ليس فقط علاقات طيبة بل علاقات متوازنة .. « كلام بتاع مصاطب » وليس كلام ناس ترسم سياسة خارجية !

واريد ان أقول موضوعا فى غاية الاهمية يتعلق بهذا ، وهو انه جاء وفد من الكونجرس الامريكى لزيارة مصر بعد طرد الخبراء السوفيت بشهرين وطلب اتكلم

بصراحة مطلقة دون اية مخافة من احد واعلن ارآئى بوضوح حتى التقيت بوفد الكونجرس الامريكى سألونى : كيف حدث قرار طرد الخبراء السوفيت ؟ قلت لهم : انتم تسألونى ، اذهبوا واسألوا رئيس مصر السادات وكنت يومها وزيرا ولكن كنت ضد هذا مطلقا ويومها كان رد اعضاء الكونجرس الامريكى قالوا : لا .. ان إسرائيل تصورت ان طرد الخبراء السوفيت خدعة وانه ليس من المعقول ان يقدم احد على ذلك . ولهذا فان إسرائيل بمجرد ان اتخذ انور السادات هذا القرار اصبحت فى حالة تعبئة كاملة وشاملة لانهم قالوا .. انها خدعة عملها السادات لكى يهجم علينا .. لأنه ليس هناك شخص عاقل يقوم بهذا العمل !

ثانيا : انقسم وفد الكونجرس الامريكى الى قسمين : قسم يقول : يجب الا نساعده على انه اتخذ هذا القرار لانه رجل عسكرى . اما القسم الاخر فكان يقول : لا .. خلاص .. لقد وقع فى ايدينا بعد ما حرق مراكبه وجسوره مع الاتحاد السوفيتى وسيأتى الينا راكعا ، وسوف نملى عليه شروطنا .. هذا ما كان يقوله الاسرائيليون .. وهذا هو اللوب الصهيونى الامريكى ، وهذا ما حدث بالفعل .. وعلى ارض الواقع فلم يحصل انور السادات منهم على شئ بل بالعكس فقد تشددوا فى مواقفهم وهذا ما حدث فى كامب ديفيد .

* ما هى الدوافع الحقيقية لانهاء مهمة الخبراء السوفيت ؟ هل هى كما قال السادات « الاسترخاء العسكرى » حيث كانت إسرائيل متفوقة والروس على حد تعبيره يمسكون بخيوطه من ورائه كأنه لعبة عرايس يحركون خيوطها ويرقصونها كيفما شاءوا أو ان الدافع الاول لقرار السادات هو فتح المجال لدور نشط للولايات المتحدة او هى نفسية السادات التى كان يشعر بكراهية الروس له وتفضيلهم على صبرى عليه ؟ !

** لكى نكون واضحين تماما فان الدافع الحقيقى لهذا كله هو انور السادات .

توجهاته : وعندما اتحدث عن توجهاته السياسية وتوجهاته التطلعية وتوجهاته النفسية كشخص وإنسان .. هذا هو أساس سياسة السادات سواء بالنسبة للاتحاد السوفيتى بصفة عامة وطرد الخبراء السوفيت بصفة خاصة .

فالسادات منذ البداية كانت سياسته مضادة للاتحاد السوفيتى ومضادة للاشتراكية

والاتجاه الاشتراكى بشكل واضح .. وكان موقفنا فى قرارة نفسه بأنه لابد ان يتغير النظام قبل توليه السلطة بأكمله ، وكان يعتقد بأن المجموعة التى اخرجها السادات فى مايو ١٩٧١ كانت متآمرة ، كان يطلق عليهم على حد تعبيره « الولاد دول » فكان يقول : الولاد دول متآمرين وان الاتحاد السوفيتى كان معهم .. اذن فالموضوع ليس ان الاتحاد السوفيتى قد دخل بسياسته واتفاقاته وتدخله كما يدعى السادات ، ولكنه كان متصورا ان هناك تهديدا لنظامه فكان السادات يقول بطريقته المعهودة : لا .. دا كان فيه تهديد للنظام .. الولاد دول بيتآمروا ، طبعا شخص بهذا التفكير لم يكن لديه ثقة على الاطلاق فى شئ وكان موقفه مسبقا ، ولهذا فقد تخلص السادات من علاقته بالاتحاد السوفيتى . بل اريد ان اقول لك اكثر من هذا : فان السادات كان موقفه مسبقا حتى قبل ١٥مايو ١٩٧١ .. فقد رأيت انور السادات خلال هذه الزيارات يفتعل خلافات عنيفة جدا وكان فى منتهى العنف .. وكان السادات يصيح ويصرخ فى وجه السوفيت لكن معاركه كانت مفتعلة للغاية !

* ولكن السادات كان يصرخ من اجل انه كان يريد سلاحا لمصر ؟

** بدعوى انه كان يريد سلاحا ، لكن الموضوع واضح تماما قبل ١٥ مايو ١٩٧١ وقبل ان يقول انه كان هناك تآمر مع الاتحاد السوفيتى .. اعنى بذلك انه كان يسعى لهذا الموضوع وانهاء علاقته بالاتحاد السوفيتى وحتى لو افترضنا ولو ان هذا غير صحيح . فالاتحاد السوفيتى لم يتآمر مع هذه الجماعة او يتدخل فى هذا الموضوع مطلقا . فالسادات اساسا وقبل ذلك يفتعل معارك وخلافات عنيفة وعلاقات متوترة مع الاتحاد السوفيتى بالتالى واضح اتجاهه السياسى جليا قبل ١٥ مايو ، وعندما تولى السادات السلطة اختار معاونيه من مجموعة مضادة للاتحاد السوفيتى وضد التحولات الاشتراكية ، واضح من هم جيدا وإذا كان انور السادات قد اختار هذه المجموعة المضادة للاتجاه الاشتراكى فكيف يأتى اذن للاتحاد السوفيتى ان يتعامل مع هذا الطاقم السياسى الجديد الذى يختلف مع اتجاهاته وتوجهاته السياسية تماما ، وبالتالى اى علاقة بعد ذلك ؟ اى شكل .. واى علاقة يمكن بين الاتحاد السوفيتى ومصر بعد ان تفتعل الخلافات والصراعات وان تأتى بنظام جديد يعادى سياسة الاتحاد السوفيتى !

* هل كانت زيارة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية للقاهرة فى مايو ١٩٧١ واشتراطه فى حديثه مع السادات على ضرورة انهاء الوجود السوفيتى فى مصر كشرط قبل الحديث عن أى تسوية فى الشرق الاوسط سببا فى ذلك ؟ !

** بدون شك .. الموضوع لم يكن سياسة سوفيتية وسياسة مصرية ، ولكن الموضوع توجهات شخصية لانور السادات ... بتوجهاته السياسية وتطلعاته الطبقية ومبادئه .

* كيف وكتاب السادات « ولدى هذا عمك جمال » رفع فيه السادات الاتحاد السوفيتى الى السماء السابعة ؟ !

* طبعا هذا اسلوب انور السادات .. اسلوبه التآمرى بالدرجة الكبرى .

* هل هى عقدة اصابت السادات من الروس حين سألوا عبد الناصر فى وجوده عمن سيخلفه فرد عبد الناصر عليهم : انور السادات .. وكان انور وقتها نائبا لرئيس الجمهورية فلم يكتف الروس بهذه الاجابة ، فقالوا لعبد الناصر : ثم من ؟ فقال لهم : على صبرى .

** بدون شك على صبرى من ناحية توجهاته السياسية رجل صاحب رأى معين يلتقى مع الاتحاد السوفيتى ، ولكنه فى نفس الوقت رجل وطنى ويريد مصلحة مصر ، وبالتالى يتمنى ان تكون علاقاتنا بالولايات المتحدة الامريكية علاقة طيبة ، ولا تنس ان على صبرى هو الذى كان همزة الوصل بين الثورة والامريكان والحقيقة ان على صبرى وتوجهاته ليست هى الاساس ، ولكن اساس العلاقة هو انور السادات نفسه بأسلوبه وسياسته ، ومبادئه وتطلعاته .. انور السادات هو الذى رسم سيناريو هذه العلاقة وبصرف النظر عن مجريات الاحداث وانا اؤكد لك انه حتى لو ان السوفيت اعطوا لانور السادات ما يريد لكان فعل نفس النتيجة وانا اقول لك وذلك عن يقين ومن خلال تجربة عميقة فقد قال لى السادات :

انا حامسح السوفيت مسحا مش فقط فى مصر بل من الشرق الاوسط .. كيف يقول لك .. لا اعرف ؟ وهذا هو رأيه حتى بعد طرد الخبراء السوفيت .. والحقيقة ان هناك اطرافا لعبت دورا محوريا فى تغيير العلاقات المصرية مع الاتحاد السوفيتى .. فقد لعب روجرز فى ذلك ولعبت الولايات المتحدة الامريكية والمخابرات الامريكية دورا

فى محاولة ابعاد السوفيت عن مصر .. وايضا اقولها لاول مرة هناك بعض الدول العربية ـ دون ان اسميها ـ كان لها ضلع اساسى فيما حدث .

* الم يكن هناك بديل لقرار السادات بانهاء مهمة الخبراء السوفيت والذى تم تصوره على انه طرد للوجود السوفيتى فى مصر ؟

** بكل صراحة حاولنا الكثير ، انا وحافظ اسماعيل بصفة أساسية وكان معنا ايضا .. عزيز صدقى واحمد إسماعيل فى محاولة لإقناع السادات بالعدول عن هذا القرار .. أو عدم إخراجه بهذه الطريقة المؤسفة .. بل اننى قلت للسادات كيف تخرج هذه العملية ؟ .. لان طرد الخبراء السوفيت سيكون له رد فعل عنيف .. بدلا من اعلانه بهذه الصورة .. تعال نتفق مع السوفيت على طريقة اخرى نعلن بها انهاء خدمة الخبراء السوفيت .. لكنه لم يستمع لاحد فى هذا الشأن .

* لماذا خرجت من الوزارة ؟ هل لانك اعترضت على طرد الخبراء السوفيت ؟

** خرجت من الوزارة بعد مسألة طرد الخبراء السوفيت بحوالى شهرين أو ثلاثة .. وفى الحقيقة انا اعتبر مسألة خروجهم خطا كبير .. ليس مجرد إخراجهم من مصر . ولكن انا معترض على طريقة خروجهم بهذه الطريقة لماذا اهين الاتحاد السوفيتى بهذه الطريقة ؟ اضربه بهذا الشكل ؟

فكان من الامكان ان اشكل علاقتى بالاتحاد السوفيتى كيفما اشاء ولكن الشكل .

الذى يحافظ على هذه العلاقة .. ليس بطرد الخبراء السوفيت ولكن بانهاء عمل الخبراء السوفيت بشكل متفق عليه ولكن الموضوع فى حقيقته كان تآمريا بشكل كبير .

* هل اصبحت مسألة طرد الخبراء السوفيت عقدة تؤثر فى السياسة الخارجية السوفيتية تجاه المنطقة ، ومن ثم جعلتهم لا يتركون الدول الصديقة لهم لتصل الى مرحلة الاستعداد العسكرى الكامل حتى لا يتكرر ما فعلته مصر معهم ؟ .. هل اصبحت عقدة سياسية لدى السوفيت ؟

** بالعكس الاتحاد السوفيتى وقف بجانب مصر بعد طرد الخبراء السوفيت ولقد قام بتسليح الجيش المصرى وعقد اهم اتفاقية سلاح عام ١٩٧٣ ، وهى الاتفاقية

الشهيرة التى وقعها المشير احمد إسماعيل والتى بمقتضاها حصلنا على اسلحة مهمة لكى نخوض حرب اكتوبر ، وكان لهذه الاسلحة الفضل الكبير فى اننا استطعنا ان نبدأ الحرب بداية قوية بالعبور وتستطيع ان تسأل السوفيت بشأن هذا الموضوع . لماذا بعد طرد الخبراء السوفيت منحوا انور السادات اسلحة لتكون سندا له فى حرب اكتوبر ؟ والحقيقة ان السوفيت منحوا انور السادات اسلحة لتكون سندا له فى حرب اكتوبر ؟ والحقيقة ان السوفيت قالوا بشأن الاجابة عن هذا التساؤل : ان لدينا التزاما تجاه الشعب المصرى فى ان نساعده من اجل تصفية اثار العدوان الاسرائيلى .

* د . مراد غالب .. قدمت اوراق اعتمادك لبريجنيف فى يوليو ١٩٦١ سفيرا لمصر فى موسكو ، وكنت من اقرب المقربين لبريجنيف حيث كنت سفيرا لمصر فى موسكو لاكثر من عشرات سنوات .. ما رأيك فى محاكمة هذا العصر « فساد بريجنيف » ؟ هل رأيت اقساط اللبن المملؤة بالكنوز التى استخرجها المحققون من تحت الارض لرفاق بريجنيف الاتهامات التى وجهت الى تشوريانوف زوجة ابنه بريجنيف والتى استمرت اسبوعين تتلى فى المحاكمة ؟ .

** فى رأيى انه يجب ان نقسم عصر بريجنيف الى عصر بريجنيف الاول ، حيث كان بريجنيف رجلا قديرا او على درجة كبيرة من الكفاءة ولكنه قطعا فى هذه المرحلة ايضا كان يميل بريجنيف الى حياة الرفاهية والسيارات الفارهة والحياة الرغدة . رغم ان بريجنيف كان شخصية قوية ويتمتع بالذكاء الا أنه تغلبت النواحى السلبية ووقع فريسة فى النهاية . ولم يكن الامر يتعلق فيما اقترفه زوج ابنته فحسب بل الامر وصل الى السياسة السوفيتية العامة . فقد وصلت الى حالة من الركود الاقتصادى .. فقد تغلبت النواحى السلبية على اى ايجابيات له .

د . مراد غالب .. حين كنت وزيرا لخارجية مصر .. لماذا حاولت ابعاد إسماعيل فهمى وكيل وزارة الخارجية وقتها عن منصبه بعد ان تحدث فى ندوة جريدة الاهرام ؟ هل لانه هاجم لاتحاد السوفيتى ؟ .

** الحقيقة انا اتحدث فى هذا الموضوع لاول مرة .. وهذا الموضوع ليس خاصا بإسماعيل فهمى . ولكنه بالضرورة بانور السادات لان إسماعيل فهمى اعرفه جيدا فهو صديق وزميل عملت معه منذ زمن ؛ لكن هذه كانت سياسة انور السادات الذى كان

يريد ان يطبق سياستين .. والحقيقة ان ندوة الاهرام كانت ترسم سياسة اخرى مختلفة تماما عن السياسة الرسمية . وإسماعيل فهمى كان وكيلا لوزارة الخارجية وكان يريد ان يطبق سياسة مخالفة وبالتالى فان هذا امر مرفوض اصلا .. وإذا كان يريد ان يطبق هذه السياسة وانور السادات يريد ان يطبق هذه السياسة ، فليتفضل ولكن هذا مرفوض اصلا فى رأيى .

* إسماعيل فهمى قال لى : ان السادات قال هل انه قرر الغاء المعاهدة السوفيتية المصرية لانه اصابه الارق ولم تعرف جفونه طعم النوم ، فاتخذ قراره ونام بعدها على الفور ؟ .

** وهذا ما فعله السادات مع الخبراء السوفيت .. هذا هو انور السادات على حقيقته واصبح بعد ان قطع الجسور مع الاتحاد السوفيتى وحيدا امام الولايات المتحدة وإسرائيل .. وبالتأكيد فان الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل بينهما اتفاق استراتيجى مشترك .. وهذه كانت رغبة انور السادات لدرجة أن إسماعيل فهمى حين سافر الى موسكو وقابل بريجنيف ووجه اليه الدعوة لزيارة مصر ووافق بريجنيف .. لم يكن السادات متصورا ان هذا سيحدث ابدا .. لم يكن يتصور ان بريجنيف سيأتى .. كان السادات ضد هذه الزيارة ..

* ما هى الحقيقة فى عدم مجئ بريجنيف لمصر بعد ان اعلن عن زيارته لها .. هل ادعى المرض حتى لا يحضر لزيارة مصر ؟ !

** انور السادات كان اصلا ضد زيارة بريجنيف للقاهرة .. وكانت هناك لعبة جميلة جدا .. برجنيف قال : نعم سأحضر لزيارة مصر .. ثم ظهر انور السادات على حقيقته وقال : ان هذا الموضوع لم يدرس فقال بريجنيف : لن احضر وهو ما حدث من ادعاء المرض فى المستشفى لتبرير عدم زيارته ولكن الحقيقة ان أنور السادات كان قد ظهر على حقيقته تماما امام بريجنيف ! .

* ما الذى جعل دور السوفيت هامشيا .. كيسنجر .. ام انور السادات ؟

** هما الاثنان معا .. لكن انور الاسدات كان ضلعا اساسيا وكان يمثل القوة المحلية فى هذا . اما العامل الاجنبى فكان يمثله كيسنجر .

كيسنجر انا لا استطيع ان اقلل من ذكائه ومن قوته ولكن اعتقد ان هناك قوة محلية كانت فى خدمة ومساعدة كيسنجر على ان يصبح كيسنجر بقوته التى ظهرت فى العالم . .ولولا انور السادات ما ظهر كيسنجر بهذه الصورة مطلقا بدليل كيسنجر نفسه وما حدث له فى فيتنام .. لقد ضرب واهين اهانات بالغة وجلس فى باريس وفى الاخر ضربوه وطردوه الامريكان من فيتنام الجنوبية .. اين الذكاء هنا ؟ ! صحيح ان كيسنجر رجل ذكي وشخصية لامعة لكن ليس هناك من يستطيع ان يفعل كل هذا ولكن هناك اسبابا موضوعية مادية وهناك قوة محلية .. انور السادات كان السبب الاساسى فيما وصل اليه كيسنجر .

* هل حقيقة ان عبد الناصر قال للسوفيت فى يناير ١٩٧٠ بعد ان اصبحت سماؤنا مفتوحة امام الطيران الأسرائيلى .. انه سوف يستقيل ويترك الامور لمن يتفاهم مع امريكا ؟ ! .

** عبد الناصر كان يشرح الموقف للسوفيت ويقول لهم .. ليس عبد الناصر هو الذى يفعل هذا .. وإذا كان هناك من يسلم لامريكا فليس هو عبد الناصر سوف يستمر يقاوم ويكافح اما إذا كان التسليح السوفيتى لمصر على هذا المستوى وتسليح امريكا لإسرائيل على هذه الدرجة العالية فأنه من المفروض ان نستسلم لامريكا .. ولكن رد الفعل السوفيتى هو انهم تحركوا بسرعة كبيرة ومنحوا عبد الناصر اسلحة وصواريخ لحماية سماء مصر .

* د . مراد غالب .. هل حقيقة طلب منك عبد الناصر ان تقدم عبد اللطيف البغدادى للقيادة السوفيتية ؟ ولماذا ؟ هل كما تردد لتولى منصب قيادى مهم ؟ !

** عبد الناصر قال لى : اريدك فىَ شئ مهم فقلت له : ما هو ؟ قال : تعد زيارة للسيد عبد اللطيف البغدادى لكى يتعرف على القادة السوفيت وبدون شك كان البغدادى مهينا لمنصب مهم . فقد قلت لعبد الناصر : ايه الحكاية يا ريس .. فضحك يومها عبد الناصر وقل لى : انت فاهم .. ونفذ هذا الكلام .. ثم ان عبد الناصر كان يجهز على ان يتعرف البغدادى على القادة السوفيت .. لماذا ؟ حقيقة عبد الناصر لم يفصح لى بصراحة .. ولكن كان الامر يتعلق بالقادة طبعا بعد عبد الناصر .. لاننى سأعرف البغدادى بالقادة السوفيت من اجل ماذا ؟ من اجل ان يجلس فى بيته ؟ !

ام من اجل ان يتولى منصبا مهما فى الدولة ؟ طبعا من اجل ان يتولى منصبا مهما فى الدولة ليست فى حاجة الى تأكيد ! .

* فى حوارى مع اعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الاحرار البعض منهم اكد لى ان للسوفيت دورا فى التعجيل بنهاية عبد الناصر من خلال علاجهم له ؟ !

** هذا بالطبع موضوع لا يصدق وليس صحيحا بالمرة .. شائعات تتردد ولكنها شائعات سخيفة .. فالحقيقة ان السوفيت قد بذلوا امامى جهودا كبيرة فى تحسين صحة جمال عبد الناصر ولكن للاسف لم يستجب لان شرايين قلبه كانت فى حالة سيئة .

* هل حقيقة عرض على عبد الناصر عام ١٩٦٢ مشروع لكامب ديفيد ورفضه عبد الناصر .. ما هى شروط مشروع الاتفاقية الذى عرض على عبد الناصر ؟

** اولا تقبع مصر داخل حدودها .. وان يحدد التسليح ، وان تحدد القوات المسلحة المصرية .. والتفتيش على المنشآت الذرية .. والبند الرابع هو الصلح مع إسرائيل .. وللأسف كان كامب ديفيد تنفيذا لكل هذا ؟ !

* ما هو اعتراضك على كامب ديفيد .. ما هى العيوب الاساسية فى معاهدة كامب ديفيد ؟ .

** انا ضد كامب ديفيد .. وانا استقلت من اجل كامب ديفيد واعتراضى على كامب ديفيد انها لم تمنحنا الحل .. ليس هناك حل على الاطلاق مجرد انه يتحدث عن النفسية والحاجز النفسى فقط وانا متصور ان هذا بالتأكيد هو تنفيذ للسياسة الامريكية .

* د . مراد غالب : هل تعتبر اتفاق كامب ديفيد عملا مرحليا ام انه يعطى نموذجا لقيام حالة سلام دائم بين مصر وإسرائيل يمكن تطبيقه على دول المواجهة ؟ .

** اى فعل لابد وان يكون له رد فعل .. واى فعل مهما كان سيصبح مرحليا على عمق التاريخ .. لكن من المؤكد انه فى وقتها كان يؤدى هدفا استراتيجيا ومعناه ان تقبع مصر داخل حدودها .. وما زالت هذه هى السياسة الامريكية وستظل هذه هى السياسة الامريكية على الدوام .. ولا شك فى ذلك مطلقا !

* د . مراد غالب .. بصراحة مطلقة ودون أى تحيز .. لو ان مصر وضعت اوراق

اللعبة فى ايدى الاتحادى السوفيتى وقتها بدلا من الولايات المتحدة الامريكية .. هل كانت فى نظرك ستتغير النتائج .. هل كانت ستكون افضل من كامب ديفيد ؟ .

** انا لا أوافق ان اضع اوراق اللعبة كلها فى ايدى الاتحاد السوفيتى ايضا .. فهذا لا اوافق عليه .. اوراق اللعبة يجب ان تكون فى يد مصر وحدها ، الاتحاد السوفيتى يجب ان يكون عاملا مساعدا ، وليس ان نضع اوراق اللعبة كلها فى يده .. فلابد ان تكون اوراق اللعبة كلها فى ايدينا ونتحرك بناء على سير المعركة . بالتالى لا أحد يقول انه يضع الاوراق فى ايدى الاتحاد السوفيتى فانا كرجل مصرى اقول لك : لا لا اوافق ولكن اقول ايضا ان الاتحاد السوفيتى يساعد العرب وساعد مصر ، ولكن انا فى النهاية يجب ان اكون صاحب القرار .

* د . مراد غالب . قدمت استقالتك بعد زيارة السادات للقدس وقلت فيها ان ضمير الامة العربية قد اهتز الى الاعماق من فرط ما اصابه من صدمة مروعة .. ولقد كتب علينا القتال وهو كره لنا ولكن ان نسلم فى اغلى واعز ما نملك امام غزوة صهيونية فهذا ما لا يملكه فرد مهما اوتى من قوة وسلطان ؟ ؟ هل كان تفريط السادات هو السبب فى هذه النتيجة ؟ .

** الاشكال الكبير اننى اعرف انور السادات جيدا .. اعرف ماذا يريد وماذا يعمل .. انور السادات كان يتأمر .. يريد ان نسير فى سياسة وهو يسير فى سياسة اخرى ؟ وهذا هو الخلاف الحقيقى والاساسى بينى وبينه .. دائما كنت اقول له : لا .. واقل له بكل صراحة : هذا لا ينفع .. وهذا لا يجوز كنت أقول رأيى بصراحة مهما كلفنى ذلك .. لهذا كانت المشكلة الكبرى هو اننى اعرف انور السادات من الداخل ! .

* د . مراد غالب .. تردد ان خلافا قد حدث بين زوجتك السيدة شكرية محمد على وجيهان السادات هو الدافع الحقيقى للخلاف بينك وبين انور السادات ؟ !

** مطلقا لم يحدث هذا ولكن العكس الصحيح .. انطلقت شائعات بهذا المعنى ، ولكن تفكير اناس عقولهم فارغة وليس لديهم وقت يستثمرونه الا فى التشدق بمثل هذه الحكايات الكاذبة ! .

الفصل
الثاني عشر

السادات :

سيد مرعي والسادات

من الداخل !

سيد مرعى كان من اقرب المقربين من السادات وهو رئيس مجلس الشعب فى اخطر فترات مصر واقرب المقربين للسادات من الداخل .

* المهندس سيد مرعى .. اعتمد عليك الرئيس السادات بعد حرب اكتوبر بيومين فى ان تستقل طائرة وتنتقل بها بين البلاد العربية ، وكان هدف الرئيس السادات هو عرض الموقف عليهم . لماذا تمسكت بان تطلب من العرب معونات واعانات من اجل حربنا ؟ !

رغم انه قال لك لا تطلب مليما واحدا فكرامتنا فوق كل شيئ !

** انا لم اكن انظر لطلب المعونة كنوع من انواع الكرامة ولكن كنوع من انواع المشاركة ، لاننى كنت ارى ان الذى تحملته مصر من اجل فلسطين اكبر بكثير جدا مما تحملته اى دولة اخرى .

وابلغ دليل على ذلك ان العرب بعد حرب ٧٣ استفادوا من ارتفاع سعر البترول بالمليارات ، فانا كنت ادفع عن قضية العرب بارواح الشعب فانا لم اطلب مقابل الشهداء .

ولكن اطلب كنوع من انواع المعونة لكى استكمل الحرب التى تتعلق بمصير العرب كلهم .

فانا لا أرى انها مسألة كرامة اطلاقا .. ولكن الرئيس السادات كان ينظر لها على انها مسألة كرامة لكننى كنت اختلف معه .. فإذا كانت دولة عربية مثلا المغرب ارسلت لنا جنودا .. او دولة مثل ليبيا ارسلت لنا عتادا فهل تعتبر ذلك يمس كرامتنا او كرامة الوطن ؟ !

انا كنت اعتبر هذه مجرد عملية لمواصلة المعركة .. وليست معونة سوف نصرفها فى السياحة لو معونة ننفقها فى إقامة الفنادق او رصف الشوراع لا .. ان الهدف كان استكمال المعركة ، وهذه هى نقطة الخلاف بينى وبين انور السادات .. انا فعلا كنت صادقا معهم فى كلامى ، فقلت لهم : ان الرئيس السادات لم يطلب مليما واحدا ، انما انا كرجل سياسى اقول لكم ان الموقف يحتاج للمساعدة .

* ماذا قال لك بيجين .. وماذا قال وايزمان وشيمون بيريز عن السادات اثناء مقابلتك لهم ؟

** الحقيقة انى قابلت شيمون بيريز فى الهرم وهو شخصية سياسية ممتازة وقد ترك انطباعا جيدا لدى ، اما بيجين فلم يترك اى انطباع وهو صلب بينما يتميز وايزمان بطريقة خاصة به فى المفاوضات .

واذكر اننى كنت اناقش الرئيس السادات فى هذا الموضوع اما وايزمان فمعقول ..

فقال لى السادات : تعرف انه . انا افاوض بيجين ولا افاوض وايزمان .

سألته : ازاى ؟

فقال لى : بيجين من اول وهلة تعرف هو عايز ايه .. فيقول لك ايوه ولا .. وينتهى الى حل وسط .. اما وايزمان فهو دحلاب يسحب حته بحته كده ، يعنى تشبه وايزمان بالشرقيين وطريقتهم وبيجين احسن فى رايى !

اما بيريز فكان يتسم بالمرونة واطلاع سياسى كبير وهو نظيف فى المناقشة بمعنى انه ليس منفرا مثل بيجين !

لماذا رفض السادات مقابلة الوفد القادم من قمة بغداد ؟ الم يساعد السادات بموقفه هذا على الانقسام والانشقاق العربى ؟

عند مناقشة القرارات الكبيرة يجب ان تناقشها ضمن الظرف ، وضمن العوامل النفسية السيئة .. ان السادات كان ينظر الى هذا الوفد بانه يضم جماعة عبر صادقة وكان يقول : ان الجماعة دول كانوا جايين عشان يبلغونى قرارا معينه وانا كرئيس لمصر لست مستعدا ان اخذ قرارات من الخارج .. انى ارفض المبدا .. هنا السادات يختلف وهو يرفض المبدأ بناء عليه فقد رفض مقابلتهم .

* ما تفسيرك لما كان يردده السادات ايام مؤتمر مينا هاوس ، الرئيس قال اكثر من مرة يارب يقلبوا المائدة على من فيها ليقلبوها ، انا لا يهمنى .. فاذا كان لا يعجبهم فليقلبوا المائدة ؟

* رد سيد مرعى قائلا .. السؤال غير دقيق .. لان السادات لم يقل هذا التعليق

بشكل معاد للفلسطينيين .. بالعكس كان موقفه مؤيدا لهم .. وقد تمت دعوتهم الى المؤتمر ولديهم حل الفيتو اى حق الاعتراض على ما يجرى من الامور او حق الاعتراض على طريقة المفاوضات .

والسادات عبر عن ذلك حين قال لى : انا لما دعيتهم ولهم حق الفيتو قلت يارب يقلبون الترابيزة على اللى فيها .. فانا معاهم واحنا جنبهم .

ولهذا نحن نعتبر ان الفلسطينيين غلطوا غلطة العمر .. لانهم لم يحضروا هذا المؤتمر ، وكثير من القادة الفلسطينيين الذين قابلتهم بعد ذلك فى هذه الحجرة التى تجلس فيها الان يعترفون بهذا .. يعترفون بانهم غلطوا .. وبعضهم رحل عن عالمنا لكنهم ندموا على ما فعلوا وكان ياسر عرفات من رايه ان ظروفه قد املت عليه هذا الوضع .

واتذكر اننى باستمرار كنت اطلب من الفلسطنيين ان يصوروا لنا استراتيجية معينة يقولوا لنا من خلالها ماذا يريدون ؟

ولكن لم نصل الى اية صيغة لهذه الاستراتيجية ، ومنها كان منشأ الخلاف .. وانا اعتقد ان نقطة التطور السلبية جدا بالنسبة للفلسطينيين هى انهم لم يحضروا هذا المؤتمر .

* مهندس سيد مرعى .. كثيرا ما اجتمعت فى منزلك هذا بالقيادات الفلسطينية وعلى راسهم ياسر عرفات .. وفاروق قدومى وابو اياد .. وكان ذلك قبل حرب اكتوبر وقبل كامب ديفيد .

ماذا كان يدور فى هذه الاجتماعات ؟ .. وهل حقيقة انهم حملوك استراتيجيتهم لتوصلها الى السادات فلما اذاعها السادات من خلال خطابه هاجموا السادات وشتموه ؟

** هذا صحيح انا صلتى بياسر عرفات وفاروق قدومى وغيرهما كانت صلة طيبة وحتى الان يزورنى كلما جاءوا الى مصر .وعلاقتى بهما طيبه الى الحد الذى كنا نتناقش فيه فى مشاكلهم وموضوعاتهم .

وعندما كانت الامور او العلاقات تصل الى مرحلة التوتر مع الرئيس السادات كنت انا عاملا مساعدا فى تخفيف التوتر .وعندما تقارب الطرفان .. طلبت ان يكتبوا لى

ما يريدون .. وانا مستعد لابلاغ السادات .. واقناعه بان يردد علنا انه يتبنى ما يريده الفلسطنيون .

كان الرئيس السادات سيلقى خطابه فى اول مايو فى مدينة السويس وفعلا كتب ورقة املوها على .. وهذه الورقة عرضتها على الرئيس السادات فوافق ان يلقيها مجرد من خطابه وكنت اتصور اننا سنتقدم خطوة للامام بهذا العمل واذا بنا نتقدم خطوة الى الخلف ، حيث بدا الفريق الاخر من اخواننا يهاجمونه مهاجمة شديدة جدا !

* مهندس سيد مرعى .. عندما اعلن عن ترشيحك رئيسا لمجلس الشعب المصرى هاجت الدنيا وقال البعض باللغة الدارجة كوسة . وكتب دكتور محمد حلمى مراد مقالتين على ما اذكر فى احدى الصحف اليومية ... يهاجمك هجوما شديدا لانك صهر رئيس الجمهورية وكان هذا من وجهة نظره جواز المرور الوحيد لتعيينك رئيسا لمجلس الشعب وقتها ؟

** الحقيقة كان شعورى وقتها يتسم بمرارة كبيرة جدا لان د . حلمى مراد كانت مقايسه كلها خطأ بخصوص هذا الموضوع انه ناقش الامر وكأن شخصية سيد مرعى السياسية لا تمثل شيئا على الاطلاق وليس لها سند الا علاقة المصاهرة للرئيس السادات .

واضطررت يومها الى ان ارد عليه فى الصحيفة نفسها ، لكن اصابتنى مرارة عنيفة مع انه لم يحدث بينى وبين حلمى مراد اى خلاف يستدعى هذا الهجوم على .

نعم كان هناك غرابة ودهشة من تعيينى رئيسا للمجلس مع اننى لم ار اية غرابة فى ذلك ، لقد كنت وكيلا لمجلس الامة فضلا عن انى عضو مجلس نواب من ايام الملك فاروق ومن قبل ان يكون حلمى مراد عضوا بالبرلمان ، ومن قبل ان يكون له وجود سياسى فى الحياة السياسية ثم اننى عضو جميع المجالس بأغلبية مطلقة .. ثم انى تدرجت طبيعيا فلم اهبط بمظلة او براشوت على رئاسة المجلس .

ولم استطع يومها ان افسر مدى الضيق الشديد الذى كان عليه حلمى مراد وربطه تعيينى للمجلس ، بعلاقة المصاهرة بالسادات .

والواقع ان قضية اختيارى للمجلس وكانت هناك ملاحظات كثيرة حول إدارته

للمجلس ، وكان لى ايضا ملاحظاتى وحدث فى ذلك نقاش مع الرئيس السادات وقلت له :

ان الذى يمثل هذا المجلس امام الناس يا ريس لازم يحافظ على الصورة المشرفة امام الناس ولو اهتزت صورة المجلس امام الرأى العام فان الصورة السياسية كلها تهتز بشدة .

فقال السادات : والله لو واحد زيك انت يمسك المجلس يبقى كويس .

وعلقت على دعوة السادات قائلا : والله من الصعب يا ريس .. لان المجلس مش سهل ، ويعدين انا اعلم ان حافظ بدوى محبوب من جميع اعضاء المجلس جدا .

كان حافظ بدوى مجاملا الى حد كبير مع الاعضاء فى طريق تنفيذ وتسهيل الخدمات لهم ولهذا محبوبا جدا .

ومع ذلك تطورات الدردشة التى حدثت بين وبين السادات وفاتحنى فى امر ان اكون رئيسا لمجلس الشعب يجب ان يكون عضوا فى الحزب الوطنى وياريس انت عارف انى لم اشترك فى الحزب الوطنى ، حيث كنت اشارك فى حزب مصر فكيف يوافقون على سيد مرعى ؟ !

ثم اضفت : ولو جيت اشترك اليوم فى حزب مصر سوف تؤول تأويلا على ان من اشترك فى حزب مصر يرشح رئيسا للمجلس هذه نقطة .

اما النقطة الثانية فهى : اننى مقتنع ان رئيس المجلس ما دام محايدا فانه يستطيع ان يحترم المجلس وان يظهر بها وسط الرأى العام وتكون هذه الصورة افضل بكثير جدا ممن ينتمى الى حزب من الاحزاب ويمكن ان نضيف نقطة ثالثة وهى ان الرئيس المحايد فى التجربة قد يكسب بتجربة الاحزاب التى تحت التكوين .

بناء على ذلك قال لى السادات : اترك الموضوع ده لمحمد حامد محمود وناقشوه وبدأ ، وبالفعل يناقشونه فى اللجنة البرلمانية لحزب مصر .. واذكر ان واحدا من الامانة العامة قد طرح سؤالا يشك فى صلاحيتى للمنصب وقال ننتخب سيد مرعى ازاى ؟ ! .. انه ليس عضوا فى الحزب .

فرد عليه محمد حامد محمود قائلا : مين قال لك انه ليس عضو بحزب مصر .. انه عضو فى الحزب سواء نجح او سقط .

استطاع ان يتغلب عل هذه النقطة بنقاش سياسى عادى .. عليه جاءت انتخابات المجلس بأغلبية كبيرة ومعارضة صوت واحد وامتنع ٣٧ عضوا عن التصويت لى .. انما اختلف الامر حينما انتهت فترة رئاستى للمجلس بدليل ما قاله خالد محى الدين وكذلك اقوال محمود القاضى لقد اعترف المتحدثون باننا كنا فى احسن فترة رئاسية للمجلس لدرجة اننى قررت بينى وبين السادات اننى لن استمر .

ولا اعرف كيف تسرب هذا الخبر اليهم .. ان سيد مرعى لن يكمل رئاسته فحدثت مظاهرة برلمانية كبيرة .. اضطر فيها ممثل حزب مصر ان يتحدث مؤيدا لاستمرارى ، وكان ممثل حزب مصر هو وزير الثقافة الاسبق محمد عبد الحميد رضوان ، كما تحدث الدكتور محمود القاضى وايضا مصطفى كامل مراد .. وكانت فى الحقيقة صحوة سياسية غريبة جدا .. وبينى وبينك حين انتهت هذه المظاهرة السياسية كان لدى احساس بالامل بنسبة خمسة فى المائة او حتى واحد فى المائة لان من كانوا ضدى تغيروا .. لقد زال هذا الاحساس لديهم بمجرد هذه المظاهرة السياسية التى كانت تعنى ان سيد مرعى كان كفؤا فى منصبه .. ومع ذلك فان المظاهرة لم يكن لها تأثير لدى السادات ، فالسادات طرح موضوع الدورة البرلمانية القادمة ورشح لرئاستها الدكتور صوفى ابو طالب . وعندما تدخل البعض لاقناع السادات التجديد لسيد مرعى فان الرئيس كعادته غطى العملية وقال : ما هو الافضل لرئاسة المجلس مهندس زراعى او رجل قانون ؟ طبعا رجل القانون افضل .. وفى هذه الواقعة دليل ان المصاهرة لم تكن عضوا مؤثرا لدى السادات .

* كيف استطعت ان تتغلب على التحالف الصامت ضدك فى مجلس الشعب عند بداية توليك منصب رئيس المجلس .. لقد كانت الاغلبية فى الحزب الحاكم تفضل حافظ بدوى .. الرئيس السابق للمجلس حيث كان ودودا محبا لهم .. والمعارضة كانت ضد ترشيحك ؟ بل وهاجمك علنا احمد ناصر المحامى فى المجلس ؟

** السياسى لابد ان يتعود على ان يجابه المشاكل .. والسياسى الناجح الذى يستطيع ان يتغلب على مشاكله ليستمر ناجحا .. ولقد دهشت فى الحقيقة لبعض

المواقف العنيفة ، التى حدثت فى جلسة الانتخابات . انا افهم ان الاستاذ احمد ناصر لا يعطينى صوته لكن لا افهم سر اندفاعه وتقطيع تذكرة الانتخابات فى الجلسة .. لكنى اعود فأقول انهم معذرون لانهم لم يجربوننى ، لكن بالممارسة والتجربة تبينوا الحقيقة بما فى ذلك احمد ناصر المحامى وحلمى مراد بل ان الاخير قال فى تصريح انه لم يكن يعرف العمق السياسى لهذا الرجل .

واستطيع ان أقول : ان الذى ساعدنى على التغلب على كل هذه العقبات هى الرؤية السياسة لما بدر فى المجلس وعدم التأثير بالموقف الشخصى للسبعة والثلاثين عضوا الذين لم يعطونى اصواتهم ، وليس من المعقول ان اكون ضدهم او يكون بينى وبينهم ثأر ودليل انه فى الانتخابات التى جاءت بعد ذلك كانت تمر اجراءاتها بسهولة بالغة !

* كيف تصديت لكل التيارات التحتية اثناء رئاستك لمجلس الشعب ، وكانت تستهدف مهاجمتك فى المجلس ؟

** نعم كانت هناك تيارات تحتية . وانا كسياسى كنت احس بها .. وكنت انتمى الى حزب مصر . وكان الحزب وقتها فى نشأته وكان الدكتور محمود القاضى من المعارضين الاكفاء فى المجلس بجانب مجموعة من المعارضين الاشداء جدا .. وكنت الاحظ ان مجموعة النواب المعارضين لديهم القدرة على المناقشة والاستجواب بدرجة تدعو الى الاعجاب .

وكان من المفترض فى حزب مصر ان تكون لديه القيادة الواعية المتفهمة للوائح المجلس والقادرة على المنافسة السياسية داخل اروقة المجلس فكان الموقف امامى كرئيس محايد ان هناك جبهة تتحدث بقوة وبموضوعية وفى المقابل جبهة اخرى لم تدرس الموضوع الدراسة الكافية .

وكنت احاول ان اعطى الفرصة لحزب مصر لان يكون على نفس المستوى الذى ظهرت به المعارضة ، ولكن بالقدر الموضوعى ، فأنا لم اعط المعارضة فرصة على حساب المعارضة ولكن الحكومة كانت تتوهم اننى بصفتى رئيسا للمجلس لابد ان انتمى بشكل ما للنظام ، وكانوا يفكرون جيدا فى هذا ولكن لم استطع ان أفعل هذا . وبناء عليه كانت هناك تيارات تحتية ونوع من عدم الاقتناع بأن رئيس المجلس يقف بجانبهم .

يعنى مثلا .. إذا كان موضوع يستدعى رد الوزير .. والوزير يجلس « سرحانا » والموضوع ساخن فأحد النواب المعارضين قال له : يا سيادة الوزير رد على هذا الكلام ، فانهم يعتبرون هذه مفاجأة لكنها فى الواقع ليست كذلك فلما جاء الرئيس السادات وفتح لى هذا الموضوع قلت له :

يا ريس مش احسن ما يتكلموا فى القهوة .. مش احسن ما بيتكلموا فى النوادى على الاقل حين يتهم احد اى احد بشئ او يفاتحه فى موضوع ما يجب ان يرد عليه ! .

ولما يرد عليه يكون الرد امام الجماهير والرأى العام .. شخص يطعن والاخر يرد عليه ولكن الذى يحدث ان الوزير يجلس فى قاعة المجلس « سرحانا » .. طيب انا اعمل له ايه .. ؟ انا جالس فى كرسى رئيس المجلس . فوق لا استطيع ان ارد واعرف ان الوزير لديه الحقيقة .

طيب قل له يا سيادة الوزير اتكلم الى درجة انه حدث تألف بينى وبين اعضاء المجلس . وحين حدثت اضطرابات ١٨ ، ١٩ يناير حدث نوع من القلق .. فقدم النائب عبد الفتاح حسن استجوابا .. فانا جمعتهم فى مكتبى ، لانه بالطبع لابد ان ينظر بالاستجواب ولا يمكن تأجيله ، ولكن بطريق الود والتفاهم استطعنا ان نؤجل الاستجواب ، وقلت لهم يا جماعة الوقت غير مناسب . فالنائب عبد الفتاح حسن قال لى: اذا كنت ترى ان تقديم الاستجواب فيه احراج بالنسبة لك فنحن متنازلون عن السؤال .

الواقعة نقلت للرئيس السادات اننى جمعت المعارضة فى مكتبى وكنت اساعدهم فيما يقولونه فى الاستجواب حيث قال لى السادات :

انتم قعدتم فى الغرفة وعملتم مؤامرة ضد الحكومة .. ومش معقول انك تعمل مؤامرة ضد الحكومة .

بعد ما قال باللفظ الواحد ، انه ليس من صالحنا ان ننظر الاستجواب الان .. عاد وقال : لا .. لازم تنظر الاستجواب .. اذن الرؤية السياسية مختلفة .

* ماذا قلت للسادات بعد اتهامك بالتآمر مع المعارضة ضد الحكومة ؟

** كان المظهر الخارجى اننى اجتمعت مع المعارضة وراء باب مغلق وممنوع

الدخول ، طبعا مؤامرة .. فلا احد يعرف ما يتم ! وانا رئيس المجلس والبلد على فوهة بركان والاستجواب لا يزال قائما .. ولا اعلم ان حزب مصر يومها سوف يجيب فماذا افعل ؟ !

الواقع اننى حاولت طوال الجلسة مع المعارضة ان نصل الى تسوية للاستجواب فالاستجواب قائم ومن الناحية القانونية لابد ان يعرض على المجلس .. وكنت اقول لهم كيف يعرضون الاستجواب بدون إثارة فى هذا الوقت العصيب .

الغريب فى الامر ان المسألة وصلت للرئيس بعد الاجتماع مباشرة فوجئت فى نفس الدقيقة بتليفون من الرئيس بعد ان وصلت له المعلومات عن طريق التليفون !

قال لى السادات : انت جامع الناس دى عندك ليه ؟ !

قلت له : يا ريس انا مجتمع بهم من اجل معرفة الطريقة التى سيقدم بها الاستجواب حتى لا تحدث اية اضطرابات .

فقال لى : دى طريقة مش صحيحة وكان لابد ان تسيب الموضوع يأخذ مجراه والحكومة تتحمل ما يحدث .

الفصل

الثالث عشر

السادات :
وحرب أكتوبر !

يروى السادات بنفسه وقائع حرب اكتوبر واخطر الساعات فيها من خلال « البحث عن الذات » ويصف السادات تلك الاحداث التاريخية الخطيرة فيقول :

فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر السبت ٦ اكتوبر ، حضر المشير إسماعيل إلىّ حسب ما اتفقنا عليه وركبنا العربة الجيب الخاصة بالجيش كنت أرتدى الزى العسكرى وتوجهنا إلى غرفة العمليات حيث جلست فى مكانى والقائد العام على يمينى وكانت التعليمات أن الجميع يجب أن لا يلتزموا بالصيام .. وقد أصدرنا هذه الأوامر بفتوى من المشايخ وكنت أتصور أن القادة قد نفذوها ولكننى لم أكن واثقاً من أن هذا قد حدث بالفعل فسألتهم : « أنتم ما بتدخنوش ليه ؟ ليه ما بتشربوش سجاير ؟ العملية دى عايزة تركيز وانتباه » لاحظت عليهم حرجاً شديداً فطلبت الشاى لنفسى وأشعلت غليونى ورحت أدخن .. على الفور فعلوا كلهم مثلى .. وفى الساعة الثانية تماماً وهى إشارة عبور الطيران وصل الخبر بأن طائراتنا قد عبرت قناة السويس ـكانت ٢٢٢ طائرة نفاثة سرعتها فوق سرعة الصوت انتهت من ضربتها الأولى فى ثلث ساعة بالضبط فقدنا فيها خمس طائرات فقط .. كما فقدت فى تلك اللحظات الأولى من الحرب أخى الطيار الشهيد عاطف الذى هو فى منزلة ابنى لأننى أنا الذى ربيته ولكنهم أخفوا على حينذاك نبأ استشهاد أخى .

ونجحت ضربة الطيران نجاحاً كاملا ومذهلاً حسب التخطيط الذى وضعناه لها .. مذهلا لنا فى المقام الأول فقد حققت الضربة نتائج فاقت التسعين فى المائة بخسائر لم تزد عن إثنين فى المائة ومذهلاً لإسرائيل وللعالم كله شرقه وغربه .. فقد كان تقدير الاتحاد السوفيتى الرسمى بواسطة خبرائه قبل أن يخرجوا من مصر أنه فى رأيه حرب مقبلة فإن ضربة الطيران الأولى سوف تكلف سلاح الطيران المصرى على أحسن الفروض ٤٠ ٪ من قوته ولن تحقق نتائج أكثر من ثلاثين فى المائة .. وبالقطع كان هذا التقدير من جانب السوفيت يهدف إلى تعجيزنا وتخويفنا من المعركة فلم يكن لهم ثقة فينا على الإطلاق تماماً كما فقدنا الثقة فيهم .

فى ثلث ساعة فقط أى بعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة وإدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوى .. وحين تحققت من هذه النتيجة وأنا فى غرفة العمليات هنأت قائد الطيران حسنى مبارك الذى خطط ونفذ هذه الضربة وهنأت جميع القادة فى غرفة العمليات إذ أن هذه الضربة قد حددت بالفعل

مصير المعركة بعد ذلك .. فقد فقدت إسرائيل توازنها بالكامل ليس للأربعة وعشرين ساعة الأولى الحاسمة بل لأكثر من أربعة أيام كاملة فقدت فيه السيطرة على قواتها فى سيناء وانقطع الاتصال كاملا بهذه القوات .. لقد استعاد سلاح الطيران المصرى بهذه الضربة الأولى كل ما فقدناه فى حربى ١٩٥٦ ، وهزيمة ١٩٦٧ مهد الطريق أمام قواتنا المسلحة بعد ذلك لتحقق ذلك النصر الذى أعاد لقوتنا المسلحة ولشعبنا ولأمتنا العربية الثقة الكاملة فى نفسها وثقة العالم بنا .. وأنهى إلى الأبد خرافة إسرائيل التى لا تهزم .. لقد كان قائد سلاح لطيران المصرى فى هذه المعركة الجنرال حسنى مبارك الذى طلبت إليه بعد ذلك أن ينزع ملابسه العسكرية ليرتدى الملابس المدنية لكى يعاوننى فى عملى كنائب لرئيس الجمهورية .

عقب ضربة الطيران بدأت المدفعية المصرية تزمجر بأكبر تركيز شهده العالم بعد معركة العلمين فى الحرب الثانية إذا انطلقت قذائف أكثر من ألف لتتقصف بدقة رائعة أهدافها .. وهكذا بدأت ملحمة ٦ أكتوبر والأداء الرائع للجندى المصرى العربى إذ لم ينتظر جنودنا على القناة أمر العبور وإنما كان مرور ٢٢٢ طائرة مصرية على ارتفاع منخفض يكاد يلمس رؤوسهم فى وقت واحد كافياً لإلهاب حماسهم ومشاعرهم المكبوتة منذ وقت طويل فأخذوا يسحبون زوارقهم إلى مياه القناة من خلف الساتر وفى حالة هستيرية اندفعوا يعبرون القناة وهم يصرخون « الله أكبر » .

وهكذا بدأت مراحل الخطة تنفذ ولأول مرة يغير التخطيط العسكرى المصرى تلك المفاهيم التى كانت ثابتة إلى معركة أكتوبر ١٩٧٣ .. كانت القاعدة ألا يتصد للمدرعات إلا المدرعات .. وقد تعلمنا كما تعلم العسكريون فى العالم كله أن قوات المشاة مهما كان تدريبها أو نوعيتها فلا يجب أن تدخل فى أية معارك مع المدرعات لأنها كما يقول التعبير العسكرى (SOFT) ولكن فى حرب أكتوبر عبرت القوات الخاصة والمشاة المدربة فى الأفواج الأولى وهم يحملون الصواريخ فى أيديهم وواجهوا الدبابات الإسرائيلية فى معركة مريرة وضربوا أعداداً ضخمة منها قبل أن تعبر دباباتنا وتصل إليهم وتدخل معركة الدبابات .

كان فى الخطة أن ضربة الطيران تليها ضربة المدفعية كما ذكرت تحت ستار ضرب المدفعية يتم العبور ولكن الذى حدث أن العبور تم أثناء عملية الطيران وقبل أن تبدأ

المدفعية .. وبعد العبور دخل جنودنا على الحاجز الترابى الذى كان فى بعض مواقعه يبلغ ارتفاعه ١٧ متراً واستخدموا فى تسلقه عمليات بدائية أذهلت العالم - فهى عبارة عن سلك من الحبال يحمله الجندى ثم يتسلق الحاجز الترابى وعندما يبلغ القمة يطرح السلم لإخوانه وبسرعة يستولون على المواقع التى أعدها الإسرائيليون خلف الساتر الترابى على الضفة الشرقة ليتربصوا فيها بالعدو ويستروا زملاءهم الذين يعبرون .

كان مهرجاناً رائعاً وأنا أرى هذا المشهد من غرفة القيادة هادئ البال حتى خيل إلى أنه لو دخل أى إنسان نفسى لوجد بها طمأنينة كاملة .. لم يكن فى خاطرى أى هم فكل الهموم قد انقشعت وانتهت تماماً .

أول لواء من لواءتنا المصرية رفعت العلم المصرى على الضفة الشرقية كان اللواء السابع وتوالت الأنباء بعد ذلك وبدأ سقوط النقط الحصينة فى خط بارليف الواحدة بعد الأخرى وفى نهاية ست ساعات فقط كان قد اتضح تماماً أن اليهود فقدوا توازنهم وفقدوا السيطرة وفقدان السيطرة هذا تعبير عسكرى معناه أن القيادات قد فقدت الاتصال بينها وبين القوات وهذا أهم شئ فى العسكرية من أجل تحقيق المفاجأة .

بعد عبور الموجات الأولى من القوات حاملة الصواريخ والمدفعية المضادة للدبابات واحتلالها للمواقع التى أعدها الإسرائيليون لإعاقة عبورنا بدأ المهندسون فى تطبيق نظرية شق الحاجز الترابى بخراطيم الميه المكثفة وهذه فكرة مصرية ١٠٠٪ فسلاح المهندسين هو الذى قام بها وأذكر أننا حين طلبنا من الألمان صنع هذه المضخات ذات الضغط العالى سخروا منا وكانوا يتساءلون : « هل هناك حريق فى العالم كله يحتاج إلى هذه القوة ؟ » .. من قوة دفع الماء قطع الساتر الرملى كما لو كان بالسكين وفتحت الثغرات فى هذا الساتر الذى يبلغ ارتفاعه سبعة عشر متراً حيث ركبت فيها الكبارى . وعبرت الدبابات .

فى المساء كان كل شئ قد تم قبل موعده حسب الخطة. .أما بالنسبة للموقف على الجبهة صباح ٦ اكتوبر فإن القادة المحليين قاموا بخدعة لطيفة وهى أنهم جعلوا الجنود الإسرائيليون على ضفة القناة وهم يمتصون عيدان قصب السكر فى تراخ وكأنهم فى إجازة. .أما الخداع التكتيكى الأساسى الذى أجبر إسرائيل على احترام الجندى المصرى إلى الأبد فهو النزول بخمس فِرَق كاملة على خط المواجهة الذى كان طوله ١٨٠ كيلو متراً .

الفصل
الرابع عشر

السادات :
وامريكا !

كان عبد المنعم امين عضو مجلس قيادة الثورة هو الباب الملكى لعبور انور السادات إلى بلاد العم سام .. امريكا وإقامة علاقات وطيدة معها وقد قلت له .

* استاذ عبد المنعم امين .. الكثيرون لا يعلمون انك انت الذى فتحت الباب على مصراعيه امام انور السادات لتوطيد علاقته بالامريكان .. فى وقت كانت العلاقات بينهما على غير ما يرام وانتهى الامر بمفاوضتك السرية بين الطرفين الى شهر عسل دائم بين امريكا وانور السادات انتهت بان اصبحت شعبية السادات فى امريكا اكثر من شعبيته فى مصر ؟ .

** فى البداية ذهبت الى انور السادات وانا مؤمنا بأنه اضعف من ان يحكم مصر لوحده وقد قلت لزكريا محى الدين والبغدادى وقتها يا جماعة انتم تعرفون انور السادات جدا وما هى امكانياته وما هى عقليته .. ولابد ان نقف بجانبه من اجل مصر وقد قابلت انور السادات ثلاث مرات ..

المرة الأولى حين القى خطابا فى البداية اراد ان يقلد فيه جمال عبد الناصر فى تحدى امريكا والاستعمار والسياسة الخارجية فقلت له : يا انور ليست هذه هى الطريقة التى يجب ان تسير عليها لان هذا التحدى سوف يضرك ويضر ذلك لان وزير الداخلية عرض على قائمة من الاسماء لاعتقلها ووضعها تحت الحراسة ولكنى مزقت هذه القائمة فقلت له : خير ما فعلت . ونصحته وقلت له : شوف جمال عبد الناصر بيعمل ايه .. واعمل ضده ! ولا داعى لتحدى الامريكان لانهم ليسوا وحدهم اعداء البلد وبمقارنة امريكا بروسيا فان امريكا قوة كبرى .. فقال لى انور السادات دول ولا .. لا يردوننى .. انهم يريدون زكريا ! .

* استاذ عبد المنعم امين .. واضح من حديثك لانور السادات انك تحب امريكا الى درجة العشق ؟ !

** اسف .. ليست مسألة حب لامريكا فالسياسة ان تبحث عن مصلحة الدولة وتحققها .. وهذا ما يقوله المنطق والعقل .. طالما انهم لم يمسونى بأذى لا أؤذيهم .. والحقيقة ان تحدى عبد الناصر لامريكا كان هدفه ان يحقق عبد الناصر من وراء ذلك البطولة على حساب امريكا .. وهناك حقيقة لا انكرها وهى ان الامريكان هم السبب

الاساسى فى خروج إسرائيل وفرنسا من مصر ثم انكر هذه الحقيقة واقول : لا الانذار الروسى هو الذى اخرجهم .. اسف ليس صحيحا ان روسيا هى التى ضغطت على الانجليز لخروجهم من مصر .

السادات قال لى : اذهب للامريكان واستشف منهم ان كانوا يريدوننى ام لا .. وذهبت للقائم بالاعمال الامريكى ولم يكن موجودا فقابلت .. وكان هذا سرا .. نائبه وقلت له ؟: انا موفداً من عند انور السادات لكى اسألكم :- هل انتم ضده كرئيس للجمهورية وان سياسة انور السادات غير سياسة جمال عبد الناصر .. ان كنتم تريدون ان تؤيدوا اهلا بكم وان حاولتم ان تحاربوه فسوف يتبع نفس المسلك ويسير فى طريق عبد الناصر فى كراهيته لكم !

فقالوا : لا نحن ضد جمال عبد الناصر .. ولكننا نرحب بانور السادات وجاءنى الرد من نيكسون .. انا ارحب بالاتصال الجانبى وما يريده انور السادات سوف افعله !

وكانت هذه هى البداية فى توطيد علاقة انور لسادات بأمريكا وازهار شعبيته فيها .

* من قتل السادات ؟ !

** غرورة وتحدية للناس وخروجه عن تحقيق العدل وخروجه عن كل القيم عاداتنا واخلاقيتنا يكفى ان يقول فى نهاية ايامه فى خطاب علنى .. « دول مرميين زى الكلاب فى السجن » .

السادات هو الذى قتل نفسه وأثار الناس لدرجة انهم قتلوه فى النهاية .. الغرور ممكن ان يحطم الانسان وانتهى به الحال الى ان اصبح هو السبب المباشر فى مقتله .

ويروى السادات شخصيا قصته مع امريكا ومبادئه روجرز فيقول :

« لكفاحى من أجل السلام قصة طويلة تعود إلى تاريخ انتخابى رئيساً لجمهورية مصر فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، وبدء ولايتى الأولى فى ١٦ أكتوبر .. فيوم أن توفى عبد الناصر كانت علاقتنا الدبلوماسية مع أمريكا مقطوعة جاء للعزاء فيه السفير ريتشاردسون على رأس وفد أمريكى وللأسف التقيت به فى ظروف مؤلمة .. ذلك أنه فى يوم الجنازة ونتيجة للإرهاق الشديد وقعت مغشياً على فأخذونى إلى أقرب

مكان فى مجلس قيادة الثورة حيث أعطانى الأطباء خمس حقن أفقت بعدها بساعات ، وكان أول من وقع عليه نظرى ريتشاردون الذى قدموه لى على أنه وزير من الحكومة الامريكية جاء ليقدم العزاء فشكرته وأنا فى الفراش ثم ضربت له موعداً بعد ذلك فجاء ومعه اثنان من خبراء الشرق الأوسط وأجرينا حديثاً طويلا . .

كانت مبادرة روجرز قائمة فى تلك الأيام فقلت لهم : - « اعملا رعاكم الله وانقلوا ما أقول إلى الرئيس الأمريكى .. لقد كنت ضد مبادرة روجرز وبالفعل رفضتها ولكنى وافقت عليها بعد أن عاد عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى وشرح لى الظروف هناك فكل ما أريده هو السلام - دعونا إذن نعمل من أجل السلام معاً .. أنا اليوم ملتزم بمبادرة روجرز ولكنى لا أرضى لأمريكا أن تنقاد لإسرائيل فى دعواها أن مصر قد نقضت المبادرة بتحريك الصواريخ فى الضفة الغربية للقناة .. ومع ذلك فالضفة الغربية والضفة الشرقية للقناة هى أرضى .. مرة أخرى أدعوكم للعمل من أجل السلام .. وانا مستعد للذهاب إلى أقصى مدى فى سبيل ذلك » .

عاد ريتشارد إلى بلاده وقدم تقريراً إلى وزارة الخارجية الامريكية يقول إن السادات لن يبقى فى الحكم أكثر من أربعة أو ستة أسابيع وبعد ذلك لا يعلم مستقبل مصر إلا الله .. وأكدت المخابرات البريطانية نفس الشئ .. وبناء على هذا اتخذوا قراراً فيما بينهم أن ينتظروا حتى يروا مصيرى .. لم أعلم بهذا الموضوع إلا متأخراً وكثيراً ما أتندر به اليوم مع المسؤلين فى أمريكا .

وفى نوفمبر ١٩٧٠ انتهت التسعون يوماً التى تنص عليها مبادرة روجرز فجمعت مجلس الأمن القومى وقلت لهم إننا بحاجة "إلى تسعين يوماً أخرى ولكنها سوف تكون الأخيرة .. فالمبادرة كانت تنص على وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوماً ، يعمل فى خلالها يارنج مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة بيننا وبين إسرائيل لتنفيذ البند الثانى من المبادرة وهو إنسحاب إسرائيل .. بحيث يتم فى خلال التسعين يوماً الإتفاق عل الإنسحاب - وهذا ما لم تكن إسرائيل تريده .

تقدم وزير خارجيتنا إلى مجلس الأمن بإقتراحنا وفعلا تجددت مبادرة روجرز ولكن انقضى نوفمبر وديسمبر ويناير ولم يحدث شئ ، فإسرائيل تدعى أن مصر قد خرقت

المبادرة وتسايرها فى دعواها أمريكا ، تحركها العناصر الصهيونية القوية فيها .. وكل ذلك بهدف نسف المبادرة من أسبابها بل ونسف روجرز نفسه كما حدث بعد ذلك .

وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٧٠ أى بعد انتخابى رئيساً بشهرين فوجئت بالدكتور محمود فوزى وكان فى ذلك الوقت رئيساً للوزراء ، يحيل إلى خطاباً من الرئيس نيكسون يشكر مصر لأنها أوفدت الدكتور فوزى ليمثلنا فى جنازة أيزنهاور .. مباشرة استدعيت القائم على رعاية المصالح الأمريكية عندنا وأطلعته على خطاب نيكسون وقلت له :ـ « لقد استدعيتك لأحملك الرد إلى الرئيس الأمريكى وهذا هو نص الرسالة :ـ

أولاً: لقد أرسلت لكم مع ريتشاردسون الذى جاء للعزاء فى عبد الناصر لكنكم لم تردوا علينا .. مبادرة روجرز انسقتم فيها وراء دعوى إسرائيل أن مصر قد نقضت المبادرة وأنتم تعلمون جيداً أن الأرض شرق القناة وغربها مصرية .

ثانياً : بمجرد أنكم أرسلتم خطاباً لرئيس وزرائنا .. تعبرون فيه عن شكركم وتطلبون فيه ابلاغى بهذا الشكر .. وانا اكتب إليكم لأؤكد رسالتى التى بعثت بها مع ريتشاردسون ولأقول لكم إذا كنتم تعتقدون أننا فى منطقة النفوذ السوفيتى فأنتم مخطئون .. نحن لسنا فى منطقة نفوذ سوفيتية ولن نكون فى منطقة نفوذ أحد أبداً . وأرجوا أيضاً أن تعلموا أنه ليس لمصر ولى أمر . فإذا شئتم أن تتحدثوا عن أى شئ خاص بمصر فالمكان هنا فى القاهرة ومعى .. لا مع أية جهة أخرى (وبهذه الجهة الأخرى كنت أعنى بصراحة كما أفهمت المشرف على رعاية المصالح الأمريكية السوفييت الذين أرادوا أن يتولوا أمرنا وكان عبد الناصر قد اعطاهم هذا الحق فى مرحلة من المراحل) وأرجوا أيضاً أن تعلموا ان قرارنا بيدنا وحدنا فنحن أحرار ومستقلون فإذا أقتربتم منا خطوة سنقترب منكم عشرة خطوات وإذا ابتعدتم خطوة سنبتعد عشرة .. وكما أن فى القوانين الطبيعية لكل فعل رد فعل كذلك شأننا معكم فكل فعل طيب من جانبكم سوف تكون له عشرة ردود أفعال طيبة من جانبنا والعكس صحيح .

كان هذا أول اتصال لى بأمريكا بعد أن توليت وبعد الرسالة التى حملتها لريتشاردسون ولم يكن لها أى صدى عندهم .. وجاء رد نيكسون على الفور وتعجبت للسرعة فقد كنت إذا كتبت للسوفييت عن أى شئ لا يصلنى الرد إلا بعد أربعة شهور

على الأقل وبعد أن استدعى السفير السوفيتي عشرات المرات وأطلب منه استعجال الأمور .

فى ٤٨ ساعة جاءنى الرد موقعاً عليه من نيكسون وكانت رسالة رقيقة يشكرنى فيها الرئيس الأمريكى ويقول إنه لا يطلب صداقتنا على حساب أحد (وكنت قد حذرته فى رسالتى من هذا) فهم يعلمون فى أمريكا أننى رجل مستقل الإرادة وأن لمصر وحدها الحق فى أن تتكلم عن نفسها .

كان هذا فى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٠ وانقضى ديسمبر وبعده يناير سنة ١٩٧١ وكانت التسعون يوماً الثانية لمبادرة روجرز تنتهى فى ٤ فبراير سنة ١٩٧١ فقررت أن افعل شيئاً قبل هذا التاريخ .. كان من الواضح أن أمريكا ما زالت تسير فى خط إسرائيل منقادة للدعاية الصهيونية وأن أمريكا لظروف خاصة بها كانت تعطى إسرائيل أولوية حتى على مصالحها هى منذ حكومة جونسون .. ورغم رسالة نيكسون لى فقد كنت أدرك أنه ليس من السهل بعد ١٨ سنة مواجهة مع أمريكا والصورة التى صورها لنا السوفييت فى نظر الأمريكان أن تمد أمريكا سندها لنا أو أن تقوم بأى إجراء يعيد السلام إلى المنطقة وخاصة بعد أن استقر فى أذهان المسئولين هناك ما جاء فى تقرير المخابرات من أننى لن أبقى فى رئاسة الجمهورية أكثر من أربعة أو ستة أسابيع .. صحيح أنه كان قد مضى على ولايتى أكثر من اربعة شهور فى فبراير سنة ١٩٧١ ولكن الشك كان ما زال يخامرهم .. هل أبقى أو لا أبقى ؟ هل قادر على أن أفعل شيئاً أو غير قادر ؟

إزاء كل هذا كان لابد من إنهاء مبادرة روجرز ولكن فى نفس الوقت كان لابد لى من أن أفعل شيئاً بناء يثبت لأمريكا ونيكسون والعالم كله حسن مقاصدى فأنا أريد السلام ومستعد له وفى أيدى أن أتخذ قراراً فى هذا الشأن .. هكذا فكرت ولم أطلع أحداً على تفكيرى إلا الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فاستدعيته وقلت له لقد قررت أن أتقدم بمبادرة سلام كالتالى : ـ

أولا : تنسحب إسرائيل من شاطئ القناة الشرقى إلى المضايق فى فترة ستة شهور يأتى خلالها يارنج لكى يتفق معنا ومع إسرائيل على مراحل الإنسحاب .. وبمجرد إنسحاب إسرائيل إلى المضايق تعبر القوات المصرية إلى الضفة الشرقية .

ثانياً : بعد أن يتم الإنسحاب إلى المضايق تعيد مصر علاقتها مع أمريكا فوراً باعتبارها طرفاً أساسياً فى المشكلة لابد أن تحضر معنا كل مراحل التسوية .

ثالثاً : إن مصر مستعدة لإبرام اتفاق سلام مع إسرائيل تنتهى بمواجهه حالة الحرب القائمة بين العرب وإسرائيل إلى هذا اليوم ومنذ قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨ مع إعطاء إسرائيل كافة الضمانات التى ترغب فيها وتنتهى بذلك أخطر مشكلة يعيشها العالم لاحتكاك الدولتين الأعظم بها .

سعد الدكتور فوزى جداً بهذه المبادرة وقال إنها ستحرك الموقف أمام العالم كله وتثبت أن مصر ترغب فعلا فى السلام .

وفى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٧١ ذهبت إلى مجلس الشعب وألقيت خطابى وأعلنت المبادرة وكما توقعت كان استعدادى لإبرام اتفاقية سلام مع إسرائيل مفاجأة مذهلة للعالم كله .. فهذا ما لم يجرؤ قائد أو زعيم عربى أن يقوله منذ أن قامت إسرائيل عام ١٩٤٨ .. ولكننى كنت أعنى ما أقول لأننى فعلا راغب فى السلام ..

دخلت بعد إعلان المبادرة إلى صالون رئيس الجمهورية بمجلس الشعب فوجدت تجهماً غريباً على وجوه المسئولين من الوزراء وغيرهم من أصحاب مراكز القوى فى ذلك الوقت وهم الذين كانوا يشكلون القيادة السياسية التى تركها لى عبد الناصر كانت المبادرة تتعارض طبعاً مع أهدافهم التى رسمها لهم السوفييت كما اتضح لى بعد ذلك . على أى حال لم يرق لى تجهمهم هذا فقلت فى نفسى هؤلاء لا فائدة منهم ولن ألتقى بهم فى اجتماع آخر .

أما الشعب فقد كان استقباله للمبادرة على طرف نقيض تماماً من استقبال القيادة السياسية المصرية فى ذلك الوقت مضافاً إليهم بعض الوزراء .. ففى أقل من ٢٤ ساعة كان الشعب المصرى يهلل لهذه المبادرة من جانبى ويرحب بها كل الترحيب .. وهنا يجب أن أسجل أن حس الشعب أوعى بكثير وسابق عن كل مسؤول عمل معى حتى هذه اللحظة وهو ما أعتز به .

أمور كثيرة لا يفهمها أغلب من يعملون معى يلتقطها الشعب من الدقيقة الأولى ويدركها إدراكاً كاملا .

فى خطاب إعلانى لمبادرة السلام يوم ٤ فبراير سنة ١٩٧٤١ أمام البرلمان قلت إن التسعين يوماً تنتهى اليوم وبهذا تسقط مبادرة روجرز ولكن ما هى مبادرتى أعلنها وأضعها أمام أنظار العالم كله .. فيا عالم تحمل مسئولياتك وأنت أيضاً يا مجلس الأمن .. ويا أمريكا ويا سوفييت تحملوا مسئوليتكم جميعاً - إننى أعطيكم مهلة إلى مارس سنة ١٩٧١ .. ولكن بعد هذا التاريخ لن أكون مقيداً بمبادرة ولا أى شىء .

رحب روجرز بالمبادرة وذهل العالم كله ووجدت إسرائيل نفسها فى مأزق يصعب الخروج منه فها هو أول رئيس عربى يعلن أنه على استعداد لإبرام إتفاقية سلام مع إسرائيل .. شئ لم يكن فى الإمكان توقعه أو التنبؤ به أو حتى الحلم به .

وفى مصر لم تقم مظاهرات لم يرتفع صوت بالإحتجاج أو الرفض أو التبرم - على العكس سعادة تامة تسود الناس فى كل مكان وفهم وإدراك واع وحصيف من الشعب كله .

لو أن هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من أمريكا لما قامت حرب أكتوبر ولبدأنا السلام فى فبراير ومارس ١٩٧١ .

الفصل
الخامس عشر

السادات :
ومبادرة السلام !

فى الساعة السابعة والنصف مساء السبت ١٩ ديسمبر ١٩٧٧ وبعد مرور ٢٩ عاما و٦ اشهر و٩ ايام و٣ ساعات ودقيقتين و٢٥ ثانية من إعلان دولة إسرائيل وصل الرئيس المصرى انور السادات لمطار بن جوريون ليصافح الد أعدائه الذين طالما ناصبهم العداء بيجن ورابين وبيريز وجولدا مائير وموشى ديان ، وحين صافح السادات رابين كان هذا اللقاء الاول لزعيم مصرى وحاكم يهودى منذ ان ترك موسى قصر الفرعون فى مصر .

وقدعلق مذيع التليفزيون الامريكى الشهير فالتر كونكايت على هذا الحديث قائلا :

لقد وصل الانسان الى القمر ووصل السادات الى القدس وهذان الحدثان هما احدث ما حدث فى عصرنا !

والحقيقة ان مبادرة السلام هى فى الواقع ثلاثون ساعة هزت العالم اجمع وكما قال المعلقون السياسيون فان الشرق الاوسط بعد مبادرة السلام لم يعد هو الشرق الاوسط قبل هذه المبادرة ولن يعود الى ما كان عليه من قبل بل ان خريطة العالم السياسية قد تغيرت بعد هذه المبادرة !

وقد اوضحت هذه المبادرة بما لا يدع مجالا للشك ان الحضارة لا تصنعها الحروب بل يصنعها السلام !

ولقد تجلى هذا واضحا فى كلمة السادات فى الكنيست الإسرائيلى حين قال :

« ان الامة العربية لا تتحرك فى سعيها من اجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف او اهتزاز لا تتحرك فى سعيها من اجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف او اهتزاز بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام صادرة عن إداراك حضارى بأنه لكى تتجنب كارثة محققة علينا وعليكم وعلى العالم كله فأنه لابد من إقرار سلام عادل لا تزعزعه الانواء ولا تعبث به الشكوك ولا يهزه سوء المقاصد او التواء النوايا » .

وكان ابلغ تعبير عن مبادرة السادات هو ما قاله احد الحاخامات فى إسرائيل حين سئل عن رأيه فى مبادرة السادات فقال :

انه حدث من فعل الله وليس من عمل الإنسان !

ولعل ابلغ تعبير ايضا عن أثر زيارة السادات حين قال مذيع التليفزيون الإسرائيلى فى استهلال نشرته الاخبارية :

لقد استطاع الرئيس السادات ان يغزو إسرائيل كلها بالحب والشفقة التى ملأ بها قلوب الناس !

ولقد قال إسحاق رابين عن مبادرة السلام :

" ان الرئيس السادات يتجه نحو وضع حد للمفاوضات غير المباشرة والطويلة من اجل إجراء محادثات مباشرة مع الاسرائيليين ، وأنه ليس هناك شك فى ان هذه الزيارة تعد تحولا جديدا فى العلاقات بالمنطقة .. ولكن ينبغى علينا ان نضع فى الحسبان المصاعب التى سوف تنجم !

ولم يكن يعلم رابين انه سوف يدفع حياته ثمنا هو والسادات لهذه المصاعب !

ان اسلوب السادات فى اصدار قراراته التاريخيه ان يفكر ثم يدبر ثم يقرر ثم يفاجئ !

وهذا ما حدث فى قراراته التاريخية فى ١٥ مايو و٦ اكتوبر ١٩٧٣ ومبادرة زيارته للقدس !

ولعل هذه الخبرة والحنكة ان هذا الرجل قبل ان يكون رئيسا للجمهورية لاقى كل صنوف التعذيب ومرارة الحياة فاكتسب صلابته وقوته وحنكته قبل ان يصدر اى قرار .. فهذا الرجل قدر له ان يفصل ويعتقل ويسجن وان يشرد وان يجوع وان يتعرى .

وسيظل السادات رغم كثرة ما كتب يمثل علامة استفهام كبيرة لضراوة المعارك التى خاضها ولكثرة المواقف التى صادفها ولغرابة القرارات التى اصدرها ولتنوع المناصب التى تولاها من سائق وتباع فوق سيارة نقل الى شيال الى ضابط الى رئيس مجلس الامة الى رئيس جمهورية !

ولكن كيف فكر السادات فى السلام بعد الحرب ؟

فى اواخراكتوبر ١٩٧٣ وفى الساعة السادسة صباحا توجه الفريق احمد اسماعيل القائد العام الى غرفة نوم الفريق الجمسى فى مركز العمليات السرى وقال له وهو لا يزال بملابس النوم :

سوف تتوجه اليوم لمقابلة الجانب الاسرائيلى لاجراء مباحثات فض اشتباك وابعاد قوات الطرفين عن بعضهما وسيكون ذلك تحت اشراف الامم المتحدة وقد حضر فعلا الجنرال سلازفو .

ورد الفريق الجمسى :

ولماذا انا بالذات لهذه العملية خاصة واننى رئيس العمليات ؟

واجاب الفريق احمد اسماعيل :

هذا هو قرار رئيس الجمهورية وقد اصدره بعد اجتماع مطول استمر حتى الرابعة واختارك بالذات لانك اصلح شخصية لهذه العملية بوصفك رئيسا للعمليات فانت تعلم اوضاع القوات المسلحة تماما وتعرف كل جوانب الموقف العسكرى وبذلك تعالج الموقف معالجة صحيحة .

وحدد له احمد اسماعيل المكان ٩٥ على طريق مصر - السويس فى تمام الساعة الخامسة مساء .

وذهب الجمسى فى الموعد المحددومعه مندوب الامم المتحدة وكان رافق الجمسى وفد يضم اعضاء وزارة الخارجية المصرية وقابل سلازفو بالفعل فى المكان والزمن المحددين ، ولكن اسرائيل لم ترسل لجنة عسكرية فقد حدث لبس وخطأ فى الموعد بسبب فروق التوقيت بين مصر ونيويورك (٧ ساعات) وكان عليهم ان يعودوا بعد منتصف الليل وهو الموعد الصحيح ، وقد دخل الوفد المصرى الى خطوط الاسرائيليين حوالى ١٠ كيلو مترات وكان فى انتظارهم جنرال اسرائيلى وكان المكان هو مركز القيادة وهو عبارة عن دبابة وعربة مدرعة مغطاة بقماش مشمع وجلسوا تحت هذا القماش .. وكان التساؤل الاول بين اعضاء الوفد المصرى هو : هل نسلم على الاسرائيليين ؟ .. هل نحييهم ؟ وكان قرار الجمسى هو ان نسلم عليهم اذا ادوا التحيه العسكرية اما ذا لم يؤدوا التحية فلا سلام !

ولكن حدث ان الضباط الاسرائيليين ادوا التحيه العسكرية للوفد المصرى تقدموا بايديهم للسلام .. وقد اصر الوزير المفوض عمر سرى على وضع علم الامم المتحدة على المكان وتم ذلك بالفعل .

وجلس الوفدان الى منضدة خشبية ميدانيه حولها مقاعد ميدانية وكان الوفد الاسرائيلى يتألف من الجنرال باريف و٨ ضباط وقد عرض باريف ان يقدم شايا او قهوة للوفد المصرى ولكن لمصريين رفضوا !

وكانت مهمة الفريق الجمسى هى الحديث عن ابعاد القوات وتم امداد الجيش الثالث الميدانى بالتموين والمياه (٩٠ سيارة لورى) وبدا الاجتماع وقال رئيس الوفد الاسرائيلى :

اسمى الجنرل باريف .. اريد اعرف اسماء الوفد المصرى ..

وقال الجمسى :

اسمى الجنرال محمد عيد الغنى ..

وتعمد الا يذكر اسم الجمسى !

وكان الجمسى يعرف ان امامه الجنرال باريف رئيس اركان القوات الاسرائيلية وذلك لانه شاهد صور القواد الاسرائيليين فى ارشيف وقسم المعلومات بالقوات المسلحة ولكنه وجده يضع نظارة على عينيه فاشتبه فى الامر .

وتكرر هذا الاجتماع ٣ مرات فى نفس المكان قبل ان تنتقل المباحثات الى الكيلو ١٠١ ويعلن عن ذلك !

ولقد اردت ان اعرض هذه الصورة التى توضح مدى التهيب والتخوف فى بدء العلاقات المصرية الاسرائيلية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. فقد كان هناك تخوف من مرحلة السلام باليد وتشكك من احتساء شاى او قهوة اسرائيلية !

وكان ذلك قبل مرور ٢٥ عام (ربع قرن)من الآن .

ولكن حدث بعد ذلك بسنوات وبالتحديد فى شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ ان زار السادات رومانيا وكانت حالة السادات النفسية وقتها سيئة للغاية بعد ان اصبح الطريق مسدودا امام خطوة جديدة نحو مباحثات السلام وانتهاء اى بارقة امل فى احياء مؤتمر جنيف فضلا عن خطابات الرئيس الامريكى كارتر الى الرئيس السادات التى تحمل التشاؤم فى وجود ابواب جديدة للامل نحو السلام بل ان كارتر قد ترجم كل هذا فى خطابة الى السادات بعبارة واضحة قال فيها : " ان الامل اصبح صفرا " .

وقد طلب السادات من معاونيه ان يفكروا معه فى فكرة جديدة يقتل بها جمود السلام ..وكان السادات قد اقام بعد وصوله الى رومانيا فى منطقة اسمها « سينايا » وهى منطقة جبلية تبعد عن بوخارست العاصمة ساعتين بالقطار ويقيم بها زعماء رومانيا فى فترات اجازتهم للاستجمام وبها ١٢ استراحة صغيرة قد بناها الرهبان الارثوذكس وقد اطلق عليها سينايا نسبة الى سيناء !

وقد طمأن الرئيس الرومانى وقتها شاوشيسكو الرئيس السادات بان بيجن الذى قد زار المنطقة قبل وصول السادات ويعتزم هو الاخر المضى قدما نحو السلام !

رغم تمسكه بمعتقدات باليه قديمه عن الحق الالهى لاسرائيل فى الضفة الغربية !! .. اقنع شاوشيشكو السادات بان اجواء الثقة والمباحثات يمكن ان تزحزح هذه المعتقدات جانبا !

ظل السادات يقلب كل افكاره ويقدح زناد فكرة من اجل التوصل الى فكرة تنسف كل الجمود الذى يحيط بالقضية .. وفجأة التمعت فكرة فى ذهنه برقت كالشهاب :

لماذا دائما الوسيط الثالث فى حل كل مشكلة ؟

ولماذا لا يذهب الى اسرائيل ويجلس معهم ويحل كل المشاكل ؟

وقد استدعى فى التاسعة مساء فى احدى الاستراحات فى سينايا برومانيا اسماعيل فهمى وزير الخارجية وقال له السادات :

عندى فكرة ربما تكون غريبة للغاية عليك .. ولكنى اعتقد انها سوف تحرك الموقف الجامد المميت .

ما رايك يا اسماعيل ان اسافر الى اسرائيل فى عقر دارهم واعلن عليهم شروطنا للسلام ؟

وقال له اسماعيل فهمى فى ذهول :

معقول ياريس.. تسافر الى اسرائيل !

تروح فين يا ريس .. اسرائيل !! انا لا اصدق .. لازم سيادتك بتهزر !

فقال له السادات : وهل عرفت عنى الهزار يا اسماعيل ..فكر جيدا قبل ان تقول

رايك وعاداسماعيل فهمى الى مقره وكان فى استقباله اسامه الباز ومحمد البراوى المستشار بالخارجية .. وقال لهما اسماعيل فهمى :

تصوروا ان الراجل عنده فكره حششي وباين انه واخدها جد !

وبعد ان اطلعهما على فكرة السادات اوضح لهما رفضه مطلقا ما اعلنه السادات .. اما اسامه الباز فكان من وجهه نظره هو مناقشة الموضوع كله بكل ايجابياته وسلبياته !

وخرجوا جميعا بعد النقاش الى ايجاد بديل وهو دعوة الرئيس السادات الى مؤتمر قمة يشترك فيه الرؤساء الخمسة للدول الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن (امريكا - انجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفيتى - الصين) ومعهم اطراف المشكلة (اسرائيل - الملك حسين - عرفات - سوريا - لبنان) على ان ينعقد هذا المؤتمر فى مدينة القدس فى مبنى الامم المتحدة وتحت علمها ولابد ان تكون اسرائيل فى هذه الحالة فى موقف دفاع ، ولابد لها ايضا ان ترد والا ستكون فى موقف لا تحسد عليه امام العالم .. فاذا لم تكن لها مواقف ايجابيه فسوف تكشف امام العالم اجمع !

ثم توجه اسماعيل فهمى الى السادات ومعه هذا البديل. وبعد ان اطلع عليه السادات قال :

موافق كنت اشك فى ان يعقد مثل هذا المؤتمر !

ولقد واجهت اسماعيل فهمى وزير الخارجية وقتها فى حوار مثير هذا نصه :

استاذ فهمى .. هل قال لك الرئيس كارتر : انه سوف تتحقق امنيتى لو استطعت ترتيب اجتماع بينك وبين موشى دين ؟ ماذا كان ردك عليه ؟

قلت لكارتر : انا مستعد ان اقابل موشى ديان .. فكان سعيدا لذلك جدا وكان غير مصدق .. فقلت له :

انا مستعد اقابل موشى ديان ولكن .. فقال لى: ماذا ؟

فقلت : ولكن فى حضور ياسر عرفات ..

فقال لى كارتر : لا يمكن هذه عملية انتحارية .

* استاذ اسماعيل فهمى .. ارسلت طائرة حربيه لياسر عرفات لكى يحضر خطاب

السادات فى مجلس الشعب والذى ردد فيه عبارته الشهيره والتى ابدى فيها استعداده للذهاب الى القدس من اجل السلام .. هل تعمد السادات ان يقول ذلك امام ياسر عرفات ، ام انها كانت كلمة تلقائية عفوية مرت على خاطر السادات لحظتها ؟

** لا .. الذى يقول لك هذا الكلام يصبح كلامه فارغا .. فلم يتعمد السادات ذلك مطلقا .. ان السادات لم يتعمد عمره ان يقول شيئا ! السادات شأنه شأن كل رؤساء العالم الثالث كان يعتقد ان رئيس الدولة هو النظام وهو كل شئ ! ولاول مرة فى تاريخ مجلس الشعب كان يحضر ياسر عرفات !

ولهذا قال ياسر عرفات بعد خطاب السادات فى مجلس لشعب : انتوا جايبنى هنا علشان اسمع هذاالكلام !

الذى حدث ان الرئيس السادات مثل اى رئيس دولة فى العالم الثالث يخرج كثيرا عن النص المكتوب فى اى خطاب رسمى للشعب ..فلم يكن مكتوبا هذا فى النص الاصلى للخطاب . كما انه لم يقل فى الخطاب انه قرر بالفعل ان يذهب الى القدس .. ولكن مثلما يقول المثل المصرى : حينما يحب الانسان المصرى امرأة فانه يقول : مستعد ان اذهب اليها ولو فى الطور .

فالسادات قال : مستعد ان اذهب حتى الى القدس ! .. ولم يكن ذلك مطلقا معدا فى ذهن الرئيس السادات وعندما انهى خطابه وخرج الى استراحة المجلس .. كان السادات يصرخ امامهم جميعا .. امام سيد مرعى والوزراء .. ويقول : يا اسماعيل الحق بسرعة طلعت من فمى .. الحق احذفها من كل الصحافة " .

احذفها ايه ! .. اذا كان كل الصحفيين الاجانب سمعوا السادات وهو يقول هذا فى القاعة المخصصة لهم فى مجلس الشعب .

السادات لم يقل لاحد مسألة ذهابه الى القدس .. ولا حتى من المقربين اليه من الوزراء او زملائه او المقربين له .. اخذ هذه الملاحظة على محمل الجد .. على انه سيذهب فعلا للقدس ولكن مجرد كلمة عابرة .. مثلما يقول شخص لاخر : مستعد ان اذهب لاخر الدنيا !

* استاذ اسماعيل فهمى .. حينما قرر انور السادات الذهاب فعلا الى القدس اخبرك

بعد عودتك من تونس وقال لك : لقد اعطيت اوامرى لمستشارى الصحفى سعد زغلول نصار بان يذاع هذا النبأ من خلال الاذاعة والتليفزيون .. ولكن لما طلبت منه الا يفعل ذلك استجاب لك والغى اذاعة هذا الخبر فى الاذاعة والتليفزيون .. هل كان السادات فى فترة تردد بين الاقدام على هذا الخطوة او الاحجام عنها ؟

** حدث هذا .. وكالات الانباء ارسلت لى اخبارا عن معلومات تقول بأن لدى السادات نية للذهاب الى القدس ، وجاء هذا فى التلكس فى تونس ايضا .. ووزراء الخارجية احدثوا ضجة يومها وقلت لهم .. اليس هذا صحيحا ؟

* لماذا ارسلت استقالتك الى السادات كتابيا دون ان تقابله .. هل خشيت ان يحدث بينكما نقاش و مجادلة ويقنعك السادات بالسفر معه الى القدس ؟

** لا .. لقد حدثت مجادلات ومناقشات بينى وبين السادات لمدة ثمانية شهور ، ولكن بعد ذلك لم يستطع ان يكمل معى المناقشة ، ولقد ارسلت له الاستقالة فى خطاب مغلق سلمته عن طريق رسول الى الرئيس حسنى مبارك (نائب رئيس الجمهورية وقتها) وطلبت منه ان يسلم للرئيس السادات هذا الخطاب المغلق بعد عودته من سوريا والذى كان يحوى الاستقالة .. ورفضت ان اذهب للسادات فى المطار او فى الاسماعيلية .

* استاذ اسماعيل فهمى .. ولكن هناك من يقول انك حاولت الاتصال بالسادات عن طريق السفير محمد عبد الغفار للتوسط بينكما وانك حاولت الاتصال بالسادات بعد تقديم استقالتك ؟

** لم يحدث ذلك مطلقا ..لم يحدث بالمرة اذا ان فكرى واتجاهى واضح من البداية للنهاية .. انا قدمت استقالتى مسببة للسادات امام العالم ، ودع الذى يقول .. يقول .. مادمت واثقا مما اقول .. فلا شئ يهم !

* هل قال السادات لعيزرا وايزمان لقد استبعدت منظمة التحرير الفلسطينية من قاموسى السياسى ؟

** عيزروا وايزمان كتب ذلك فى كتابه .. وانا اعتقد ان احدا يكذب ! .. لا استطيع ان اكذب احدا !

لكنك يجب ان تعرف ان اتفاقية كامب ديفيد .. ليس فيها تقرير المصير ليس فيها منظمة التحرير .. ليس فيها الدولة الفلسطينية .. بل بالعكس الفلسطنيون لم يشتركوا .. بل الاغرب من ذلك ان الاسرائيليين حين جاءوا الى مصر وحجز لهم فى فندق فلسطين بالاسكندرية .. رفضوا ان ينزلوا فى فندق فلسطين ونزلوا فى فندق سان استيفانوا !

وهذا يعطيك مثالا الى اى حد ان الاسرائيليين لديهم حساسية من مجرد كلمة فلسطين !

ولكن السادات قال انه ازال الحاجز النفسى بين العرب واسرائيل ؟

كل هذا كلام انشاء .

* هل حقيقة ما قيل ان حرب اكتوبر وحدت الصف العربى وان كامب ديفيد قوضته ؟

** حرب اكتوبر بلا شك الانتفاضة الاولى الرسمية العسكرية ضد اسرائيل ولم يكن هذا التعريف يمكن ان يطلق قبله . فقرار الحرب وتحديد العمليات العسكرية كان قرارا مصريا عربياسوريا اشتركت فيه وان كان القرار مصريا اصلا فهى فى نظرى الانتفاضة العسكرية الحكومية فى الدول العربية لاول مرة فى تاريخ النزاع العربى الاسرائيلى .. والانتفاضة فى رايى .. هو ان تنتفض ضد شئ غير قانونى وغير انسانى هذا معنى الانتفاضة ..ضد الخطر .. ضد الظلم ضد المنهجية .. ضد البطش .. ضد استعمال القوة .. ضد أى شئ غير قانونى .

اما كامب ديفيد .. فهى مخدر خدرت الاعصاب بالكامل لكى تختنق الانتفاضة الفلسطنية .. ولو ترجع للكلام الذى قيل نقلا عن السادات بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فسوف تستغرق فى الضحك !

وما رايك فى فتح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وقتها من جديد فى القاهرة ؟

المكتب اغلق خطأ وفتح خطأ .. لانه كان من المفروض الا يغلق اصلا انت اغلقت المكتب ثم خرجت بكامب ديفيد ثم فتحته بعد عشر سنوات !

* استاذ اسماعيل فهمى .. هل اتفاقية السلام .. هى السلام باى ثمن ؟ هلى هى سلام توسعى لاسرائيل ام انها السلام الشامل المطلق ؟

** لقد احضرت سيناء بالكامل للرئيس السادات .. ووقع عليها الرئيس الامريكى ..ولكن السادات للاسف الشديد عمل تنازلات مخيفة بعد ذلك من ناحية السلاح فى سيناء .

سيناء مصرية وتستطيع ان تأخذها فى خمس دقائق لا غير ..

سيناء لابد ان تكون قواتها مصرية دون خضوع للقوة العليا او النفوذ الاساسى وهم الامريكان ..

فنحن نعلم ان العلاقات بين امريكا واسرائيل عسكريا واستراتيجيا مخيفة !

* وما رايك الان فى عودة الدول العربية الى مصر والتى اختلفت معها بسبب كامب ديفيد .. وما رايك فى هذه التغييرات الجذرية بعد كامب ديفيد ؟

** التغيير الجذرى الذى حدث فى العالم العربى ليس فى العالم العربى المحيط باسرائيل ، ولكن اساسا فى العالم الخليجى .. فالتغيير الجذرى فى العالم العربى المحيط باسرائيل هو الانتفاضة الفلسطينية وهى اول انتفاضة من نوعها منذ عام ١٩٤٧ منذ قرار التقسيم ، ولن تنتهى وسوف يكون لها تاثير دولى وعربى واستراتيجى فى المنطقة ويكفى ان مدير عام الخارجية الاسرائيلية اعترف فى محاضرة وقتها فى واشنطن بالمنطقة واشاد بخطورتها .

والانتفاضة الفلسطينية فى نظرى هى عبارة عن الانتفاضة العربية فى ١٩٧٣ بل انها اكثر لان الفلسطينيين الذين قاموا بها تحت الاحتلال ودون جيش نظامى .. فاذا قاموا بالانتفاضة بهذا الشكل وهذه الصورة الرائعة المخيفة المؤثرة فانها تكون اكثر من اى انتفاضة لانهم بلا جيش ونظام تحت الاحتلال .

والحقيقة ان العالم العربى وقتها حدثت فيه متغيرات جذرية بسبب الحرب العراقية الايرانية والتى دامت ثمانى سنوات وكل دولة فى العالم لعبت فى الحرب العراقية .. الايرانية ضده سواء لعبة ايجابية او سلبية كما تحسبها وقد لعبت دول كثيرة فى هذه

الحرب سواء كانت الدول العظمى و الدول الاسيوية او الافريقية او حتى من امريكا اللاتينية .. وهذا هو السبب فى استمرارها ثمانى سنوات .. ويجوز ان تكون هذه الدول نفسها سببا فى عدم الوصول وقتها الى حل سلمى سريع لكى تستمر الحرب التى تعتمد اساسا على التكنولوجيا العسكرية ..والاسلحة التى تقدمها هذه الدول لاشعال منطقة الخليج والحرب العراقية الايرانية .. الا تتوقف الحرب حتى لا يتوقف نهر الاموال السائلة من الدولارات ثمنا لهذه الاسلحة وحتى تغلق المصانع الحزبية ويهتز الاقتصاد للدول التى تصدر السلاح للعالم الخليجى فهى بلا شك دول مستفيده مائة فى المائة !

ولقد اثرت الحرب العراقية ـ الايرانية بشكل مؤثر على العالم العربى من ناحية نوعية السلاح والاولويات وحدث لاول مرة احتمال حصول الدول العربية لاول مرة فى التاريخ على سلاح يخلق نوعا من التوازن بين العرب واسرائيل وهو بالطبع ليس توازنا كاملا لان هذا يحتاج الى فترة طويلة من الوقت للوصول الى ذلك ، ففى الماضى كانت اسرائيل تستطيع ان تطيح وتضرب فى الدول العربية وفى اى مكان دون ان تفكر .. كان تفكيرها لا يستغرق اكثر من خمس دقائق لكى يخرج هذا القرار .. ولكن الان الامر يحتاج الى عام بالكامل قبل الخروج بهذا القرار . لماذا .

لان الدول العربية الاخرى عندها الان صواريخ ومدافع يمكنان تصل الى داخل اسرائيل .. تماما مثلما لدى اسرائيل صواريخ ومدافع يمكن ان تصل الى هذه الدول ..

وليس مهما من لديه الاحسن فاسرائيل لديها الاحسن ولكن ما دام يمكن ان تصل الاسلحة الاخرى الى داخل اسرائيل فانها بالطبع تشكل مشكلة كبرى لديها .

* وما هو المخرج اذن لازمة الشرق الاوسط من وجهة نظرك ؟

التوازن العسكرى .. وليس هناك سلام فى اى منطقة فى العالم على اساس القوتين العظميين او على اساس الدول الصغرى الا اذا كان هناك توازن استراتيجى عسكرى .. طالما اننى اعرف انك تستطيع باسلحتك ان تصل اليك وطالما انت تعرف اننى باسلحتى يمكن ان اصل اليك .. فان الذى سيرتكب عدوانا سيفكر مائة مرة قبل ان يضرب !

وليس هذا كلاما انشائيا ، بل هو حقيقة واقعة مثبته تاريخيا .. فبعد الحرب

العالمية الثانية كانت الحرب الباردة بين القوتين قائمة : فامريكا كانت قوة عظمى قبل الروس واستطعت ان تضرب فى اليابان وكوريا ، ولكن بعد ان اصبح الاتحاد السوفيتى قوة عظمى واصبحت هناك تعادلية وتكافؤ بينهما بدا عصر الوفاق والاحضان والقبلات بين القوتين .

* استاذ اسماعيل فهمى :

دخلت بافكارك معترك الحياة السياسية وزيرا لخارجية مصر .. الم تندم بعد على رفضك الذهاب مع انور السادات الى القدس ؟وهل كانت نظرتك المستقبلية تتوقع سيناريو كامب ديفيد ؟

** اطلاقا فانا رجل لا اؤمن مطلقا الا بحق كل شخص ان يقول ما يعتقده صحيحا .. حتى لو كان هذا خطأ فان الاختلاف فى الرأى لاشك ظاهرةايجابية .. فنحن لسنا ببغاوات تردد ما يقوله الاخرون .. لقد جلست اتحدث مع السادات فى الامن القومى والامن المصرى .. وسيناء لم يكن هناك شك فى ان نحصل عليها .. ولكن للاسف لما ذهب السادات اعطى لهم تنازلات مخيفة بكل معنى الكلمة وهذا ما اكده كارتر نفسه .. وبرجنيسكى اكد ان كارتر قال للسادات وهدده : بانه لو سافر فان امريكا ستقطع علاقتها مع مصر ، سيزداد النفوذ السوفيتى فى المنطقة وسوف يمتد الى مصر ، وسيحاول القضاء على انور السادات شخصيا وامريكا لن تتدخل للابقاء على السادات .. هذا ما قاله كارتر للسادات ماذا قال السادات ؟ .. قال له : ساجلس هنا ولن اتحرك واى شئ سوف تقدمه لى سوف اوقعه فورا .. هل القرار بعد ذلك يصبح مصريا ؟

ولقد عرض السادات موضوع سفره الى القدس فى اجتماع مجلس الامن القومى وكان من ضمن الحاضرين وقتها د . مصطفى خليل واسماعيل فهمى بوصفه وزيرا للخارجية .

واكد السادات يومها انه صاحب قضية ..فلماذا لا يحلها بنفسه ؟

وقال انا مستعد ان اقابل الاسرائيليين فى عقر دارهم وفى اى مكان حتى ولو كان فى القدس !

وان كان السادات لم يحدد وقتها التوقيت الذى سوف يسافر فيه الى القدس !

وقال السادات فى اجتماع اخر وكان حاضرا فيه ايضا د . مصطفى خليل الذى كان اول من بادر بالاتصال بالسادات بعد خطابه فى مجلس لشعب وقال له سوف اسافر معك فورا .

وقال السادات يومها :

انا لو اطبع العلاقات وابادل السفراء يجوز ان يأتى شخص اخر من بعدى ولا يستطيع ان يقدم على ذلك .. ونحن اذا اعترفنا باسرائيل فان التبادل الدبلوماسى امر عادى !

هذا هو نص حوار اسماعيل فهمى وزير خارجية مصر الاسبق معى . بلا اى تعليق !

ولقد اعلن السادات فى مجلس الشعب انه مستعد ان يذهب الى العدو فى عقر داره وان يذهب الى القدس ، ولم يطلع السادات احدا على هذا الامر حتى اقرب المقربيين اليه حتى الذى كتب الخطاب وهو الكاتب الصحفى موسى صبرى لم يكن يعلم بهذا .. فقد ادخل السادات العبارة التاريخية من عنده ولم يكتبها موسى صبرى فى اصل الخطاب بل حتى سيد مرعى هو نسيب السادات ورئيس مجلس الشعب لم يطلعه السادات على ذلك .

وقد قال لى سيد مرعى : انه اتصل ببعض رؤساء التحرير ورجاهم الا يبرزوا هذه الفقرة من الخطاب .. اتصل احد رؤساء التحرير بالسادات وقال له : لا .. ان هذا القرار جاد وحقيقى وسوف اسافر الى القدس فعلا .

لقد اعتقد اقرب المقربين الى السادات ومنهم ممدوح سالم رئيس الوزراء وقتها وسيد مرعى رئيس مجلس الشعب وسعد زغلول نصار السكرتير الصحفى للسادات وموسى صبرى المستشار الصحفى له ان مجرد القاء السادات فى خطابه لهذه القنبلة السياسية فهى مجرد بالون اختبار يستشف السادات من خلاله مجريات الامور السياسية فى الشرق الاوسط خاصة اسرائيل .

ولكن السادات كان جادا وقلب الامور راسا على عقب فى الشرق الاوسط !

يروى السادات تلك اللحظات التاريخية فيقول :

وصلت إسرائيل فى اقل من اربعين دقيقه استغرقتها رحلة الطائرة من مطار أبو صوير فى القناة إلى مطار اللد . لا أحد يصدق والذهول يسود بمجرد ان خطوت خارج الطائرة وجدتنى وجها لوجه أمام جولدا مائير التى كانت فى أمريكا ثم قطعت رحلتها وعادت . بادلتها السلام . ثم رأيت ديان . ديان انا اعرفه لانه كان خصمى فى معركة ١٩٧٣ . ثم قابلت أبا إيبان وبعده اريك شارون الجنرال الذى كان لدينا فى الثغرة . قلت له إذا أتيت مرة أخرى الى الضفة الغربية للقناة فسيكون السجن فى انتظارك ! فقال :أبداً .. أنا حاليا وزير الزراعة ! ..

ثم رأيت بعد ذلك موردخاى جور رئيس الأركان الحالى الذى كان قدحذرهم قبل زيارتى بأننى أقوم بخدعة وأن الهدف من الزيارة هو تغطية هجوم وشيك . ولذلك حينما رأيته قلت له إننى لا أمارس الخداع الأخلاقى مطلقاً ..الخداع الاستراتيجى والخداع التكتيكى مقبول ولكننى لا يمكن ان اقبل الخداع الاخلاقى ..

بعد ذلك ركبت السيارة مع رئيس إسرائيل كاتزير وهو أستاذ جامعى ممتاز . وصلت الى القدس الاسرائيلية ونزلت فى فندق الملك داود .

فى الصباح خرجت لصلاة العيد دخلت القدس العربية لثانى مرة بعد ٢٢ سنة كاملة (كانت المرة الأولى عندما كنت وزيرا دولة وسكرتيراً عاما للمؤتمر الإسلامى) . وتبين لى على الفور ان المسجد قد ساءت حالة إذ ما تزال آثار الحريق الذى اجتاحه عام ١٩٦٩ قائمه .. وجدت أن منبر صلاح الدين قد احترق تماماً وان عملية إصلاحه تسير بصورة بالغة البطء ولهذا أمرت بأن يتم بناء المنبر من جديد على أيدى المصريين الذى بنوا منبر صلاح الدين وبعدها عدت الى الفندق .

بعد الظهر اتجهت إلى الكنيست والقيت خطابى ثم قام بيجين بإلقاء خطاب مضاد وتلاه زعيم المعارضة بيريز وانتهت جلسة الكنيست . رغم التعب والارهاق الذى كابدته ذلك اليوم فقد احسست بسعادة غامرة لأن ابنتى كما علمت كانت قد رزقت بمولود (بنت) فى الثامنة صباحاً وأنا أصلى فى المسجد الأقصى .

لم يكن سبب الارهاق هو المشاغل الكثيرة أو المقابلات ولو أن هذا أمر مسلم به . ولكن كان السبب الحقيقى هو التركيز الذهنى العميق إلى أبعد الحدود والذى يجعل الإنسان يحس بالتعب . كان ذهنى بالغ التركيز لسبب بسيط وهو أننى كنت اعتبر هذه المهمة مقدسة حقاً وصدقاً .ورغم ثقتى من تأييد شعبى لى فقد كنت مستعداًإذا أبدى أى رفض من جانبه أن اتوجه إلى مجلس الشعب عندنا وأقدم استقالتى .

ولكن ثقتى لم تخب . فقد خرج خمسة ملايين مواطن من بين الملايين الثمانية الذين يعيشون فى القاهرة لاستقبالى عند العودة . كانت مظاهرة تأييد لم يسبق لها مثيل . كان الجميع فى قلق على وكانوا يرون أنها مجازفة منى أكثر منها شجاعة . ، لهذا كان الجميع يلهجون بالحمد والشكر لله وهم لا يكادون يصدقون ولا يعرفون كيف يعبرون عن فرحتهم الغامرة . كان إحساسى بهذا هو قمة السعادة وبأننى قد كلفت تكليفا لا فكاك منه بأن أكمل هذا العمل الذى بدأته .. كان تكليفاً بأن أخدم شعبى وأهلى حتى نحقق سوياً الهدف من المبادرة .

ولابد أن اسجل هنا أن انتقل الى النتيجة ان الرئيس جعفر نميرى زارنى فور عودتى وابدى تأييده الكامل تماما مثلما زارنى فى اعقاب ثورة التصحيح يوم الجمعه ١٤ مايو ١٩٧١.. إنه موقف لا يسعنى الا أن اذكره له ولشعب السودان الشقيق .

الفصل
السادس عشر

السادات :
والبابا شنوده

اصدر السادات قراراً بابعاد البابا شنوده من الكنيسة وتحديد اقامته في وادي النطرون بعد احداث سبتمبر ١٩٨١ فما هو موقف البابا شنوده من الرئيس السادات بعد رحيله .

لقد استك عبارة شهيرة تقول فيها :

(القلب النقي نقاوة كاملة هو القلب الذي مات بالتمام عن اباطيل العالم كلها لكي يحيا بالتمام للرب وعقله منشغل تماما بما لا يرى وهذا يدعونا لسؤالك .. هل لا يزال في قلبك رسيس من ضيق وحزن من الرئيس الراحل انور السادات .

** اعتقد انني قلت هذه العبارة في مجال الحديث عن الرهبنة فالرهبنة هي التي يختفي فيها من القلب كل ذكر للعالم وما يختص به ويتفرع القلب لله وحده ولذلك قال الشيخ الروحاني :

(محبة الله غربتني عن البشر والبشرية) .

اما الناس الذين يعيشون في المجتمع ويختلطون به في وظائفهم وحياتهم العائلية والزوجية فمن الصعب ان يتفرغ قلبهم من كل شئ .

اما من جهة المشكلة مع الرئيس السادات فنحن لم نقف ضده ذات يوم من الايام وانا لم أكتب عنه الا كل خير في مجلة الكرازة وكما قلت له في احدى المذكرات التي رفعتها اليه : (نحن يا سيادة الرئيس نتخذك حكما لا خصما) .

وفاة السادات كانت امرا لم يسترح له احدا لان عملية مقتل رئيس من الرؤساء امر لا نوافق عليه مطلقا ونحن نشجب الجريمة ايا كانت ولاشك ان السادات كانت تقوده عوامل سياسية معينة لم نختلف نحن فقط فيها معه بل كان مختلفا مع كثيرين وكنا بعضا من هؤلاء الكثيرين .

بالعكس حينما قتل السادات أنا حزنت عليه كثيرا وان كنا نحن نتضايق من شئ فعله معنا فنحن نتضايق من اجله ليس منه ، لا نتعب منه ولكن من اجله .. كنا نود ان يفحص الرئيس السادات كل شئ يصل اليه ولا يصدق كل ما يقال له ولا يسلك حسب تقارير ربما تكون خاطئه غير دقيقه او مغرضة وما الى ذلك وكنا نريد للرئيس ان يتفهم حالنا .. لانه دائما التفاهم هو الوسيلة لاقامة الود ولابعاد اية مشاعر خاطئه ..

فهو لم يحقق معنا .. بل انه فى ١٤ مايو ١٩٨٠ القى بيانا ضد الكنيسة فى حوالى ساعتين واتهمها باتهامات صعبة جدا ثم بعد ان القى البيان طلب تشكيل لجنة لتقصى الحقائق والوضع السليم .. انه يكون لجنة تقصى الحقائق وبعد ان تقوم بمهمتها يلقى البيان .. ما معنى ان الاتهام يسبق تقصى الحقائق ؟

واتذكر اننى قلت لاحد المسئولين .. لولا المحبة الكبيرة التى تربطنى وبين اخواننا المسلمين لكان للبيان الذى القاه السادات نتائج مؤسفة ولكن الذى حدث انه لم يترك اى تأثير لدى الشعب لانه لم يستطع ان يصدق تلك الاتهامات .

ان السادات قال فى بيانه مايو ١٩٨٠ ان الكنيسة تتأمر من سبع سنين وانا شايف وساكت وحينما تقابلت مع الرئيس كارتر فى ١٩٧٧ فى بدء كلامى قال لى الرئيس كارتر وكان الرئيس السادات قد زار امريكا باسبوعين قبلى فقال لى الرئيس كارتر بالحرف لواحد " ان الرئيس السادات قال عنك كلام طيب للغاية) فكيف يمكن للرئيس السادات ان يقول كلاما طيبا ما زال الرئيس كارتر يتذكره وبعدها اقوم بالمؤامرات .. هذه السياسة جعلت الرئيس السادات يصطدم بكثير غيرنا فلم نكن وحدنا من ضحايا سبتمبر ١٩٨١ وانما غالبية قادة البلد .

*** هل كان موقفك من منع حج الاقباط الى القدس هو السبب الخفى وراء توتر العلاقة بينك وبين الرئيس الراحل انور السادات ؟**

** انا لا اعرف ماذا كان يدور فى داخله ربما ترك هذا الامر عنده اثرا ربما ايضا ما حدث من ابنائنا فى الخارج من مظاهرات ترك اثرا اخر ولكن المهاجرين فى الخارج لهم حريتهم فى التعبير عن مشاعرهم وتعودوا جوا من الحرية هناك فهم يستطيعون الاحتجاج على رئيس الجمهورية فى امريكا وان ينتقدوه فى الاذاعة والتلفزيون دون ان يقف ضدهم احد وحينما يريدون ان يخرجوا فى مظاهرة يأخذون اذنا بذلك من وزارة الداخلية التى تحرسهم فى مسيرتهم !

وقد قلت للرئيس اننا حينما نحكم على تصرفات ابنائنا فى الخارج ينبغى ان نحكم عليهم فى الجو الذى يعيشون فيه وليس الجو الذى نعيش فيه نحن . فنحن فى بلاد شرقية لها تقاليدها التى لا تسمح لإهانة الرؤساء او الاحتجاج عليهم ، ثم ما هى سطوة شخص مثلى على المهاجرين فى الخارج حتى ولو كانوا مسيحيين .

على رأى البعض قال حينما يلوم السادات البابا شنودة على بعض تصرفات بعض الاقباط فى الخارج كأنه بهذا يعطيه صلاحيات سياسية لإدارة اناس فى الخارج بينما هو يلوم على التدخل فى السياسة !

والحقيقة انه لم يحدث من ابنائنا فى الخارج ما نسبه الرئيس الراحل اليهم بهذا الشكل . اما من جهة منع حج الاقباط فهو موضوع متفق عليه من الكنيسة كلها وكان يمكن للرئيس السادات ان يتفهم الامر دون اثارته على مستوى شعبى . يكون له تأثيره على مشاعر الناس فان كان قد تضايق من شئ وكان يمكنه ان يجلس معنا لنتفاهم .

* هناك من يردد ان نية الرئيس السادات كانت تتجه عن الافراج عن الجميع بعد تحرير سيناء ؟!

** ايا كان تعديل القرار فان هذا لا يمنع خطورته فى حينه وتأثيراته النفسية على ملايين الاقباط وعلى كثير من الكنائس فى العالم .

* ولماذا منعت البسمة عن الاطفال المسيحيين يوم عيدهم ومنعت الاجراس من ان تدق ربما لاول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية .. لماذا امرت بأطفاء شموع الكنيسة وقناديلها فى يوم العيد ؟ !

** لم يحدث اننا اطفأنا الكنيسة وقنادلها فى يوم العيد اطلاقا ولم يحدث اننا منعنا الكنائس من ان تدق اجراسها وصارت الصلوات عادية جدا مثل كل عام وكل ما فى الامر اننا منعنا الاحتفالات فى صبيحة يوم العيد وتلقى التهانى لاحداث مؤلمة كانت قد حدثت لنا ولم تحدث اى استجابة لإزالة جروح الناس .

* هل قال لك الرئيس السادات حقيقة ..

انتم بتشتكونى لكارتر . . وكارتر له عندى ايه .. انا سوف اوقفه عند حده ؟ !

** لم يقل لنا هذه العبارة مطلقا ولكن قال هذه العبارة عن بعض الاقباط فى المهجر . وبالتأكيد فان ما يحدث فى المهجر لا سيطرة لنا عليه لانهم يمارسون هناك حريات مطلقة ويكتبون ما يشاءون بل قد يهاجمون الكنيسة نفسها اذا لم تتفق

مع اتجاهتهم اما من جهة المنشورات فلاشأن لنا بها .. ما شأننا بالمنشورات التى تصدر فى الخارج .

وعلى رأى أحد الزعماء حين قال : اذا كان الرئيس السادات يحمل البابا شنودة مسئولية ما يحدث من الشباب فى المهجر فأنه بهذا يمنحه صلاحيات سياسية لإدارة شئون الشباب القبطى فى المهجر فى الوقت الذى يتهمه فيه بالاشتغال بالسياسة .

* قالت جيهان السادات فى مذكراتها :

« اتخذ انور موقفا عادلا من مشكلة الفتنة الطائفية من اجل إعادة آلثقة لستة ملايين مسيحى » ؟ !

فهل كانت محقة فيما تقول ؟ !

** هل عادت الثقة الى هؤلاء المسيحيين ام ازدادوا حزنا وضيقا على ضيق .. هل يعقل ان تعاد الثقة الى ملايين من المسيحيين باجراءات ضد باباهم وضد اساقفتهم .

لم تحدث خلال كل عصور التاريخ الحديث .. وكانت شاذة فى تصرفها وسببا فى انتقاد كل كنائس العالم وسخط من الناس فى الداخل والخارج كيف اعادت ثقة ؟ ! انا اريد ان افهم هذه العبارة ! .

* لا تنس ان السادات منحك الميدالية الذهبية التى حصل عليها من مجلس الكنائس المثودى العالمى بامريكا جائزة السلام لعام ١٩٧٨ وقال لك وهو يهديها اليك (لم اجد شخصا يستحقها الا أنت وزارك فى مقرك البابوى فى منطقة الانبا رويس) .

وارسى معك حجر الاساس لمستشفى مارمرقص ؟ !

** وهل يتفق هذا الكلام مع الاهانات التى وجهت الى الكنيسة او يبدو تناقضا بين الامرين .

* خلاف وحدث ليس بينك وبينه فقط بل مع شخصيات كثيرة سياسية اسلامية ومسيحية ؟ !

** هل الاسلوب الذى لجأ اليه حل هذا الخلاف .. دائما اجراءات العنف لا تحل الخلاف وانما تريده .. ولو انه جلس معنا لخرجنا فى صفاء لاننى دائما التحدث

فى صراحة ووضوح كامل والصراحة تحل كثير من الامور .

* بعد خمس سنوات من خروجك من عزلتك فى الدير .. ما هو شعورك وما هى الحكمة التى خرجتم بها من فترة الاعتكاف والتى قاربت الاربعين شهرا ؟ !

** اننى بطبيعتى احب الدير وحياة الهدوء والسكون وحينما سرت راهبا لم يدر بخلدى اطلاقا اننى سأنزل مرة أخرى لاتولى عملا فى العالم وكنت اود ان انمو فى حياة الوحدة لكى أصل الى اعماقها والرهبنة كما اعرفها هى انحلال من الكل للارتباط بالواحد .. والواحد هو الله ..

واتذكر اخر قصيدة كتبتها وانا فى طريقى الى الدير وهى تأمل فى درجة من درجات الرهبنة وهى درجة السواح الذين يعيشون تائهين فى البرارى والقفار الذين لا يعرفون اين هم ؟

ولا يعرف العالم عنهم شيئا فيتفرغون كلية الى الله . وقد قلت فى هذه القصيدة

انا فى البيداء وحدى وليس لى شأنا بغيرى

له حجر فى شقوق التل قد اخفيت حجرى

وسأمضى منه يوما ساكنا ما لست ادرى

تائها اجتاز فى البيداء من قفر لقفر

ليس لى دير فكل البيد والاكام ديرى

لا ولا سور فلم يرتاح الاسوار فكرى

انا طير فى الجو لم اشغف بوكرى

انا فى الدنيا طليق فى اقامتى وسيرى .

فكنت اهدف الى حياة من هذا النوع يعيش فيها الانسان فى وحدة مطلقة وفى صلة كاملة بالله ولكن لم يسمح الله لى بهذه الحياة فحينما سمح لى الرئيس السادات بأن اقضى الاربعين شهرا فى الدير كانت فرصة جميلة لى رجعت فيها الى حياة الهدوء ولو على الرغم منى ولكنى كنت اشعر بلذتها وقد اثمرت هذه الفترة عن نشر

١٦ كتابا لى فكانت فترة هدوء وتحصيل وانتاج فكرى .. وانا باستمرار لا أحاول ان تكون المشاكل داخلى بل تقف خارجا وارى ان الانسان ينبغى ان يحتفظ بسلامة القلب والا يسمح بالمشاكل ان تغلبه او تنتصر عليه بل هو ينتصر عليها بالايمان بالهدوء بالتسليم الى الله والاستفادة من المشكلة الى اخر الطرق الروحية ، واحيانا كنت أقول للناس فى تعريف الضيقة سميت بالضقة لان القلب قد ضاق لان يتسع لها فالضيق هو فى القلب وليس فى السبب الخارجى ، اما اذا اتسع القلب فلا تكون هناك ضيقة ابدا .

الفت ١٦ كتابا جديدا ولم تكن العزلة تتعبنى لاننى راهب .. احب حياة الوحدة والهدوء وانا دائما احصل على سلامى الداخلى من الداخل وليست من الظروف الخارجية فاعتبرت نفسى اننى عدت الى حياة الوحدة التى ترهبنت من اجلها وكان كل الذين يقابلوننى لا يجدون منى الا وجها مبتسما بشوشا يهدى حتى المتعبين منهم .

يعبر قداسة البابا شنودة عن (السلام) القلبى فى كلمة منفعة فيقول :

السلام القلبى

السلام القلبى هو ثمرة من ثمار الروح القدس فى القلب .

الروح القدس اذا سكن قلب انسانا يعطيه سلاما قلبيا (يفوق كل عقل) كما يقول الرسول :

وكان السلام هو عطيه السيد المسيح للناس ، فقال :

(سلامى اترك لكم سلامى انا اعطيكم)

الشخص المملوء بالسلام لا يقلق ولا يضطرب ، ولا ينزعج مهما كانت الامور ضاغطة من الخارج .

الفصل
السابع عشر

السادات:
والمنصة!

ما هى الاسباب التى دفعت بمن اغتالوا السادات إلى اغتياله ؟ !

يجيب عن هذا الساؤل عبود الزمر المخطط وصاحب الرأس المدبرة لخطة اغتيال السادات من خلال حوار معه .

وهناك تساؤلات اخرى حول هل كان من الامكان تفادى اغتيال السادات فى المنصة ؟ !

ويجيب على هذه التساؤلات اللواء النبوى إسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير داخلية السادات .

ولقد سألت عبود الزمر رئيس تنظيم الجهاد قائلا :

* لماذا قلتم السادات ؟ ! ما هى الأسباب التى دعتكم إلى ذلك ؟ !

** عندما قام السادات بالتحفظ ووضح أمامنا أنه قد نوى تصفية الحركة الإسلامية ومصادرة الدعوة إلى الله تبلور داخل المجموعة القيادية - فى ذلك الوقت - ثلاثة اتجاهات كل منها له رأيه فى كيفية الرد على هذه الخطوة .. البعض قال فلنصبر ولنحاول تلافى آثار القرارات ونتحول جميعا بما فى ذلك الدعاة وغيرهم نتحول جميعا إلى العمل السرى الخالص ، وبعد مضى فترة من الزمان سيكون بمقدورنا توجيه ضربة قاصمة للنظام تطيح به بتعاون المجموعات المدنية المدربة مع العناصر المقاتلة داخل القوات المسلحة .

فريق آخر رأى أن الانتظار خطأ ولن نستطيع أن نعد القوة المطلوبة للإطاحة بالنظام وأن أفضل الخيارات هو توجيه ضربة عنيفة تستجمع فيها كل الإمكانات المتاحة ويكون الغرض منها ليس الإطاحة بالنظام وإنما الرد عليه لردعه عن المضى فى شوط محاربة الإسلاميين . وقد رأى أنصار هذا الرأى أن النظام يحاول طردنا تماما وإبعادنا من الساحة وأن الواجب هو ألا نستسلم بل نقاتل دفاعا عن الدعوة وعن التيار الإسلامى فى مجمله فإن متنا عن آخرنا فهذا أفضل لنا من حياة تمنع فيها من العمل للدين ، وسوف يكون درسا لأى نظام يحاول مصادرة العمل الإسلامى وكما قيل فيما بعد إن أصحاب هذا الرأى أرادوا إساء قاعدة هامة لكل حكام بلاد المسلمين مضمونها (أيها الحاكم إياك وقرارت سبتمبر لئلا يصيبك جزاء أكتوبر) !! .

وفريق ثالث قال : ما دمنا سنحشد كل قدراتنا للرد فلماذا لا نحاول تطوير العملية فبدلا من أن تكون ردعا فقط لماذا لا نحاول تحويلها إلى محاولة إزاحة للنظام كله وفورا بلا إبطاء .

وأنصار هذا الرأى اعتمدوا على أن احتمال نجاح الأخ خالد الاسلامبولي رحمه الله في تدمير المنصة سيخلق فراغا خطيرا يسهل السيطرة على مقاليد الأمور بمجهود أقل مما نحتاجه في غيره من الحالات .

ومع تفاعلات الأحداث وتتابعها السريع بدا الاتجاه الأول وهو الذي ينادي بالصبر والإعداد والانتظار بدا وكأنه غير ممكن .. خاصة بعد أن بدأت أجهزة الشرطة بعد التحفظ بحوالي ثلاثة أسابيع توجه ضربات جديدة تحاول الوصول إلى مجموعات العمل السرى وبالتالي أصبح الانتظار ليس فى صالحنا فى نظر أكثر المجموعة القيادية فى ذلك الوقت ، وأصبحنا فى تحد واضح مع الشرطة بل مع السادات الذى راح يهددنا علنا فى خطاباته المذاعة . فى هذه الفترة الدقيقة تزامنت واقعتان لتدفعا الأحداث فى اتجاه معين وهما مهاجمة الشرطة لشقتى بالجيزة وقد فشلوا فى القبض علىّ ليلتها ، وفى نفس التوقيت فإن الأخ خالد رحمه الله يخبر محمد عبد السلام أنه سيشترك فى العرض وبإمكانه قتل السادات .. هذان الحدثان اللذان تزامنا بشكل عجيب جعلا الاغلبية تفكر فى شئ واحد .. الرد الفورى الحاسم على النظام .. وعلى السادات .

لقد كان هذا هو أول تحد حقيقى بين النظام وبين الصحوة الإسلامية المعاصرة كانت كل المواجهات التى تمت قبل ذلك مع الإسلاميين تنتهى بنجاح النظام فى ضرب الحركات الإسلامية دون أن تتمكن هذه من مجرد الرد عليه .. لذا كان الأمل كبير عند فريق من إخواننا أن نتمكن من الرد وألا تكون الصحوة الإسلامية لقمة سائغة فى فم الطواغيت !! ، هذا الأمل قد لا يشعر بقيمته كثيرون ممن لم يعاصروا النكبات الإسلامية فى أعوام ١٩٥٤م و١٩٦٥م كل من عناصر تلك الوقائع المريرة كان يحلم بهذا الأمل . حقيقة لقد سعد الجميع بقتله !! .

بل أننى لا أبالغ إن قلت : إن السعادة بقتله قد تجاوزت حدود مصر إلى دول أخرى كثيرة !! .

* هل كان تحفظك لاغتيال السادات راجعا إلى الناحية الشرعية أم الناحية الحركية

لتنفيذ الثورة الإسلامية التى كان من المقرر قيامها ؟ !

** مسألة قتل السادات أمر لا يختلف عليه أحد فى الجماعة ، بل أننى لا أبالغ إن قلت إنها كانت رغبة جماهيرية جارفة !! ، ولكن اعتراض فى المرحلة الأولى كان بسبب عدم القدرة على مصاحبة العملية لتحرك انقلابى شامل ، وكانت موافقتى على القتل بشرط ، هو أن يتم الفصل الحركى بين المجموعة المنفذة للاغتيال وجسد الجماعة الأم حيث كنت أود أن نستكمل حركتنا نحو الهدف فى ظروف معقولة إذا ما فشلت عملية المنصة ، لأن إفلات السادات من الموت كان معناه مجزرة بشرية واسعة النطاق ، لكل من له علاقة فأردت أن أجمع بين المصلحتين الشرعيتين الأولى : وهى قتل السادات خاصة وأن التخلص منه أصبح أمرا ملحا ، والثانية : هى استكمال العمل التنظيمى بباقى قوة الجماعة ، فلما أكد لى الأخ محمد عبد السلام أنه اتفق مع الإخوة الشهداء الأربعة على كيفية قطع الصلة وأوضح لى أنهم يرغبون فى الشهادة أيدت الفكرة وأرسلت لمحمد عبد السلام رحمه الله عن تصورى للاستفادة من الموقف فى حالة النجاح فى إطار خطأ تصعيد قتالى يهدف إلى استكشاف إمكانية تطوير الموقف طبقا لما يلوح فى الأفق من مستجدات وفى ضوء الإمكانات المتيسرة .. ومن ذلك يتضح أنه لم يكن هناك أى اعتراض على الاغتيال من الناحية الشرعية بل لم يكن لدى أى اعتراض من الناحية الحركية بهذه الطريقة .

ولقد واجهت اللواء النبوى إسماعيل وزير داخلية السادات قائلا :

* ما الذى دار بينك وبين السادات فى المكالمة الأخيرة ليلة العرض العسكرى الذى اغتيل فيه ؟ !

** اتصلت بالرئيس السادات ليلة العرض وقلت له :

أنا قلق بالنسبة للعرض والطريق المؤدى إلى المنصة !! فهناك احتمال أن يكون هناك هجوم على الركب أو مكان العرض ولهذا فقد أعددت خطة أمنية بالنسبة لتأمين الطريق إلى المنصة ولكن بالنسبة للعرض فهذه منطقة عسكرية ولا دخل للشرطة فيها !!

فقال لى السادات :

لا تخف .. الأولاد كل واحد فيهم بيحاول ينفد بجلده ويهرب !!

فقلت له : لا .. لسه من يومين فقط أحد مصادرنا دعيني لمقابلة قيادة في التنظيم وذهب لمقابلته فوجده عبود الزمر وأعطى له حق بها مفرقعات وكان عبود منفعلا وقال له كيت وكيت ورويت القصة كاملة .

فقال السادات : أنا هددته في الخطاب بتاعي ! .

وكان السادات قد هدده بالفعل في خطابه الذي القاه في مؤتمر الحزب الذي عقد في ٢٨ سبتمبر في الجلسة الختامية وتهديده هذا قد أثار تساؤلات عديدة في البلد وقد سألني الوزراء وأنا خارج من المؤتمر هي أية الحكاية ؟ !

وقد قلت للسادات في تلك المكالمة الأخيرة :

تصرف عبود الزمر هذا جاء بعد التهديد الذي قلته سيادتك واحنا إذا لم نكن قد اكتشفنا عبود الزمر كان ممكن يكون قاعد في المنصة بحكم عمله وأنه ضمن مجموعة تقوم بتأمين سيادتك !!

ورد عليّ السادات قائلا :

اطمئن يا نبوي ولا تقلق بكره حيعدي على خير !! .

* ماذا كانت الحالة النفسية للسادات وأنت تتحدث إليه في المكالمة الأخيرة ليلة العرض العسكري ؟ !

** حين كنت أعرض عليه تصوري ومخاوفي كان يسرح كثيرا لدرجة أني فكرت أن الخط انقطع بيني وبينه وكدت أقول له : آلو .. فقال : يا نبوي ما تخفش أنتم عملتم عمل كبير وبكرة حيعدي على خير !! .

* قيل أن أحد المواطنين أبلغ الشرطة صباح يوم العرض العسكري بأن حدث خطيرا سوف يحدث وأن الرئيس السادات سوف يغتال في المنصة فما هي حقيقة هذا الموضوع ؟ ! .

** هذا السؤال له أساس من الصحة فكان هناك أحد مصادر وزارة الداخلية التي تنقل المعلومات من تنظيم الجهاد قد فوجئ بعد بدء العرض بزيارة من أحد قيادات التنظيم له بمنزلة وأبلغه تعليمات مفاداها أن حدثا خطيرا سيحدث بالمنصة !!

وعليه متابعة العرض فى التليفزيون وعدم مغادرة منزله حيث ستبلغ له تعليمات من التنظيم بمهمة يقوم بها بعد حادث المنصة فما كان من هذا المصدر إلا أن استكشف الطريق وأطمئن إلى عدم وجود من يراقبه وانطلق للبحث عن الضابط الذى يتلقى منه تقاريره حيث أبلغه بالموضوع فقام الضابط بإبلاغ رئاسته على الفور وقامت رئاسته بدورها بمحاولة إبلاغى المعلومات بالمنصة عن طريق اقرب سيارة لاسلكى لمنطقة العرض .

وأثناء ذلك فوجئنوا بصوت طلقات الرصاص وحدوث عملية الهجوم على المنصة والاغتيال . ومن ذلك يتضح أن القدر كان قد وضع نهاية لحياة الرئيس الراحل فى هذا اليوم ولو وردت هذه المعلومات فى وقت مبكر قبل بدء أو قبل وقوع الحادث بوقت كاف يسمح بإبلاغها لى فمن المحتمل أن تكون قد تغيرت أمور كثيرة .

* ماذا كنت ستفعل لو بلغت فى المنصة بهذه المعلومات ؟ !

** كنت سأقوم بدورى بالهمس بها فى إذن السادات فقد كنت على مقربة منه فى المنصة !!

* وما هى تصرفه فى اعتقادك ؟ !

** روح اسأله !! واعتقد أنه كان سيستمر فى العرض لنهايته فقد كان رحمه الله جسورا كا أن الموقف كان فى غاية الحرج فكيف كان سيغادر المنصة أو يأمر باختصار فقرات العرض وكلها تصورات وليدة وقتها ولكن الحذر لا يمنع من قدر !!

* هل توقع السادات أنه سيقتل على أيدى أحد رجال القوات لمسلحة ؟ !

** سواء توقع أو لم يتوقع فهذه مسألة يمكن أن تقع فى أى دول من دولة العالم وكون أن أناس لهم اتجاه عدوانى أيا كانت تصرفاتهم أو هويتهم أول ما يجدوا فرصة لتحقيق أهدافهم فى أى مكان سواء فى الطريق العام أو فى أى احتفال أو فى مؤتمر أو مكان عرض فهذه مسألة تخضع للتقدير الشخصى نحو الهدف الذى يريد تحقيقه لكن تصورى الشخصى أنه كان ممكن أن يحدث هذا فى العرض العسكرى !! .

* هل نصحت السادات بعدم حضور العرض العسكرى إزاء ما توفر إليك من معلومات تهدد حياته ؟ !

** لا .. أنا قلت له مخاوفي وتركته يتخذ القرار بنفسه فلا أستطيع ؛أن أقل له : لا تحضر العرض فهذا قرار لابد أن يصدر منه شخصيا لكني حذرته وقلت له بالحرف الواحد :

عبود له أعوان من زملائه ودول لسه هاربين ؟ !

* يعنى إنت حذرته وقلت له بالضبط .. أنا قلق من الذى سيحدث غداً يا سادة الرئيس فالطريق له محاذيره العديدة ومهاجمة الموكب من أى مبنى أو أن سيارة ملغومة تدخل فى الركب . وقلت له : لهذا فقد عملت احتياطات أواجه بها أى احتمالات خطر فى طريق العرض ولكن منطقة العرض منطقة عسكرية لا دخل للشرطة بها وخطط الأمن الخاصة بها تتم خارج الداخلية وعبود هارب وعناصر شاكلته وأنا غير مطمئن على ما سيحدث فى العرض . وحين قلت له عبود لو لم يكشف أمره فإنه كان من الممكن أن يكون فى المنصة وكنت تحت رحمته ؟ ! .. هذه العبارة الأخيرة شدت السادات جدا .

والحقيقة أنه فى رأيى أنه كان صعب جداً أن يتخذ السادات قراراً بعدم الذهاب إلى العرض .. ولم تكن معلوماتى للسادات بأن أقول له : إنك حتقتل بكره فى العرض ولكن كانت هناك مخاطر دارت بخاطرى ورؤية وتصور وتحليل بقدر تقييمى للواقع .

* لكن نشر انك قلت فى مجلس الشعب فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨١ أنك نصحت السادات ألا يحضر العرض العسكرى فلماذا لم يأخذ بنصيحتك ؟ !

** أنا لم أقل هذا ولكن قلت فى بيانى أنه كانت هناك مخاطر أبديتها له وهو الذى يتخذ القرار بنفسه ولكن لا أستطيع أن أقول له : لا تحضر العرض فليس عندى معلومات محددة أنه سيغتال فى العرض لكنها مخاوف مبنية على أساس فلما أقول له لا تحضر العرض ويسمع نصيحتى والعرض يتم بدون أى شئ سيأتى السادات ويقول : نبوى أفسد العرض ونصح بأننى لا أذهب العرض .. لو كانت لدى معلومات مؤكدة على أنه سوف يغتال فى العرض لقلت له ذلك !! ..

وكنت قلت له : هناك معلومات مؤكدة بأن هناك خطورة على حياتك وأن هناك تضحية بحياتك لو ذهبت للعرض العسكرى وهو ذاهب إلى منطقة مملوئة بالعسكريين وقد يغتل وكان هذا توقع أو رؤية !! .

* اللواء نبوى إسماعيل وزير داخلية مصر السابق ..

هل كان يتوقع بخبرته الأمنية الكبيرة أن تتم عملية اغتيال السادات بهذه الطريقة ؟ !

** كنت أتوقع ذلك ؟ ! وكنت ذاهبا إلى العرض قلقا للغاية وكنت اجلس فى العرض قلقا أيضا وأتمنى أن ينتهى العرض بسرعة وكان من قلقى كل دقائق أنظر فى الساعة .. وأنظر ماذا تم فى العرض وماذا يبقى منه حتى ينتهى ؟ !

* هل كان إحساسك كرجل أمن أن السادات يمكن أن يغتال فى أى لحظة ؟!! .

** نعم .. وهو الاغتيال عايز أيه ؟ ! واحد ببندقية يقتله .. انت فاكر أيه .. سهل جداً !! .

* أريد أن أسألك سؤالا وتصدقنى القول فيه هل لحظة ما كانت الطائرات تحلق فى سماء العرض العسكرى فوق المنصة فى استعراضات جوية .. هل توقعت أن يكون الاغتيال عن طريق إحدى الطائرات عن طريق طيار يمكن أن يكون تابعا للتنظيم ؟!

** نعم توقعت .. وكنت أنظر للطائرات ليس كمتفرج ولكن واحد يدعو أن ربنا يستر ويعدى العرض العسكرى على خير لم أكن أنظر ساعتها إلى ألعاب خارقة فى الجو ولكنى متخوفا من أن يكون أحد فى التنظيم ويأتى له أمر بضرب المنصة فينفذه ؟ ! .

* هل كان هذا هاجسا أم بحت به لأى أحد بجانبك ؟ ! .

** لم أبح به لأحد بل كان هاجسا فى خاطرى ونظرتى كانت نظرة قلق ؟ !

** اللواء النبوى إسماعيل .. وزير داخلية مصر السابق .. لو استعدت من الذاكرة شريط يوم ٦ اكتوبر ١٩٨١ منذ الصباح الباكر وحتى لحظة اغتيال السادات ماذا حدث يومها بالضبط ؟ !

** كنت فى مكتبى أتابع إجراءات الأمن وإجراءات الطريق من منزل السادات وحتى مكان العرض تخوفا من أن يهجم أحد على الركب ثم خرجت مع المجلس الأعلى

للشرطة إلى قصر عابدين وسجلنا تهنئة للرئيس بمناسبة نصر اكتوبر وخرجنا من التهنئة على العرض مباشرة وجلست فى العرض بجانب د . عبد الرزاق عبد المجيد وكمال حسن على وعز الدين هلال ولم نتبادل سوى بعض كلمات التحية فقد بدأ العرض مباشرة ولا أخفى عليك كنت قلقا للغاية وكل دقيقة أنظر فى البرنامج ثم أنظر فى ساعتى متعجلا نهاية العرض ! .

كان مقرراً فى تنقلات السادات أن يزور قبر أخيه الشهيد عاطف السادات ثم يخرج على وادى الراحة فى سيناء ثم يصلى صلاة العيد هناك ثم يذهب إلى الاسكندرية بعد ذلك لعدة أيام للراحة .

ثم حدث أن الطيران كان يقدم عروضه فى السماء وكنت أنظر إلى أعلى بنظرة قلق ثم عدت ببصرى إلى العرض فكان قائد العربية اللورى قد وقف ونزل منها خالد الاسلامبولى وتقدم إلى المنصة فأنا نزلت ببصرى على يده وهو يلقى أول قنبلة وقلت : عملتوها عملتوها ؟ !!! .

قلتها مرتين ثم انصب تفكيرى بعد ذلك على خطة الأمن لتأمين الإذاعة والتليفزيون لأنه من المؤكد أنهم يفكرون فى الاستيلاء عليها أو يعطلوا الإذاعة وفكرت !؟ إذا كان السادات لم يمت فلابد من تأمين المستشفى الذى سينقل إليه حتى لا يغتالوا فيه ؟ ! .

* أنت أحسست أن السادات بعد كل هذا الضرب يمكن أن يكون على قيد الحياة ؟ !

** رغم أن السادات وقف وظل يخاطب خالد الاسلامبولى وقال له :

يا ولد .. متبقاش مجنون .

وكان السادات يشير بيده لخالد وهو يخاطبه وحاول البعض أن ينزل السادات وأن يتخذ له ساترا مما يحدث ولكن السادات لم يكن يريد ذلك ونقلوا السادات على نفس الطائرة الهليكوبتر التي كانت من المفروض أن تنقله بعد العرض إلي زيارة قبر أخيه عاطف السادات .

* قيل أيضا إن زوجتك السيدة فايدة كامل صرخت فى المنصة وقالت يا نبوى .. يا نبوى ؟ !

** الكلام الذى نشر فى إحدى الصحف هذا .. هو فى الحقيقة تهريج !! .

* قيل إنها قد صرخت فقد أحسست أنه يمكن أن يكون قد أصابك مكروه ؟ ! .

** لا صرخت ولا حاجة .. ولم يحدث أى شئ من ذلك ولا أنا أحسست بها ولا هى صرخت وكان همى هى الخطوة التالية وهى تأمين البلد .

* ولكن قيل أنك أول من هربت من المنصة لحظة الاغتيال فى سيارة لاسلكى مع ضابط ملازم أول واختفيت تماماً ولم تظهر إلا بعد أن اكتشفت أن الحادث ليس انقلابا ؟ ! .

** وهذا تهريج أيضا كتبه أحد الصحفيين وسمعت عنه لكنه لا يمت للحقيقة بأية صلة بالعكس والضرب شغال نزلت وأعطيت تعليمات من على المنصة وكان كل همى بعد ذلك هو خطة الأمن .. فقد وجدت سيارة نجدة وكان لا يزال الضرب مستمرا وتحدثت باللاسلكى وأعطيت تعليمات معينة وأوامرى بتنفيذ الخطة ١٠٠ وهى خطة كانت موضوعة لمواجهة حالة الطوارئ لتأمين الجمهورية كلها فى حالات الخطر القصوى وقلت :

تحول جميع التشكيلات إلى قتالية !

وأثناء إعطاء تعليماتى تجدد الضرب بين الحرس والهاربين فما كان من الضابط واسمه اسامة مازن ـ ولا يزال موجوداً فى مكافحة التهرب من الضرائب ـ إلا أن دفعنى بعنف خوفا علىّ من أن أصاب ودفعنى إلى المقعد الذى بجانب السائق وقال لى :

يا فندم أنت حتصاب كده ؟ !!

وباللاسلكى أعطيت كل تعليماتى وقلت : لابد أن أذهب إلى الوزارة وفى الطريق من المنصة إلى الوزارة ـ وقد استغرق هذا دقائق قليلة ـ تابعت التعليمات وتحدثت إلى مديرى الأمن ومساعدى الوزير وحين وصلت للمكتب جددت التعليمات فقد كان همى هو خطة الأمن ولم أفكر فى الخطر ولا فى أى أحد حتى زوجتى التى كانت جالسة فوق أعلى المنصة ونسيت أنها جالسة فى المنصة ؟ ! .

ثم ذهبت بعد ذلك إلى مستشفى المعادى وقد وجدت الرئيس حسنى مبارك فى حجرة بجوار حجرة العمليات فذهبت إلى حجرة العمليات ووجدت الدكتور المنيلاوى

وسألته عن حالة السادات فقال لى : الموقف خطير وميئوس منه ؟ ! .

ثم سألت الدكتور عبد المجيد لطفى وسألته ايضا فقال لى :

اعتبره مات !! لكن لا نستطيع أن نقول إلا إذا توقف كل شئ ؟ ! .

وأثناء وقوفى معه جاءت السيدة جيهان السادات وكانت معها ابنتها الصغرى جيهان .. فجاءت علينا وكان الدكتور قد خلع البالطو الابيض وارتدى بدلته الكاكى فقالت له جيهان السادات :

أيه يا دكتور أنت مش لابس لبسك ليه ؟ !

فقال لها : بصراحة يا افندم أنا مش قادر أشوفه فى الحالة اللى هو فيها ! .

فقلت وجهت جيهان حديثها لى وقالت :

يا سيادة النائب مصر دلوقتى شوف السيد النائب حسنى مبارك وشوفو مصر أهم وأنا حانتظر هنا فى المستشفى ؟ !

فصرخت ابنتها الصغرى جيهان فما كان من جيهان السادات إلا أنها شخطت فيها وكانت متمالكة وتحاول أن تكون متماسكة وتبدوأنها متماسكة ولكنها كانت فى الحقيقة تعبانة ومنهارة .

ثم توجهت إلى الحجرة التى يجلس السيد نائب رئيس الجمهورية وقتها الرئيس حسنى مبارك وقلت له :

الدكتور قال لى كذا وكذا وجلوسنا مالوش لازمة ؟ !

ونزلنا سويا وذهبنا إلى مجلس الوزراء وبدأت باقى الإجراءات وإعداد البيان ودعوة مجلس الوزراء والمكتب السياسى حتى تستقر الأمور .. ثم بعد ذلك يأتى أحد ويقول ان نبوى إسماعيل هرب من المنصة ولم يظهر إلا بالليل ؟ !

أثناء نزولنا من المستشفى أنا والسيد نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك وجيهان السادات وجيهان الصغرى قابلنا كمال حسن على وكان متجها نحو المستشفى وقال لنا : إلى أين ؟ ! قلنا له : إلى مجلس الوزراء وجاء ورانا ورأيت أيضا ممدوح سالم والدكتور المنيلاوى والدكتور عبد المجيد لطفى وكلهم شهود ، فيهم الأحياء ومنهم الأموات .

* لو عهد إليك بحراسة المنصة من أمن الشرطة .. هل كانت ستكون نفس النتيجة .. وماذا كنت فعلت ؟ ! .

** اجراءات الأمن ليست كيمياء بل هى إجراءات تنفذ وأى إجراءات أمن تعمل فى العالم مهما كانت وقتها يمكن أن تمنع ذلك .. وما هو حادث الاغتيال . ؟ ! واحد معه مطواة أو سكينة أو قنبلة أو بندقية .. شئ قاتل يعنى وعنده استعداد ان يقتل أو يقبض عليه ؟ ! .

* ما رأيك فى الأخطاء التى كانت فى المنصة من الناحية الأمنية والتى أدت إلى اغتيال السادات ؟ ! .

** لم أبحث عن أخطاء ولم أعرف خطة الأمن التى كانت موجودة حتى أعرف ما إذا كانت صحيحة أو خطأ لم أكن أعرف خطة الأمن حتى أستطيع أن أقيمها والذى أستطيع أن أقوله هو أن أى خطة أمن موضوعة لتأمين مكان أو شخص مهما وصلت درجة الدقة لا تحول دون الاغتيال .

* يعنى لو العرض العسكرى تم اعادته مرة ثانية أمامك مثلما يحدث فى مباريات الكرة فى إعادة الأهداف فى طريقة (الفلاش باك) فى الفيديو .. هل يمكن اى اجراءات يتخذها أى جهاز لا تحول دون وقوع حادث مثل الذى وقع ! .

* لا .. وأعتقد أن الحرس فى منزله نصحوه بذلك وهو يرتدى ملابسه صباحا وكان لديهم خبر عن المخاطر ومعلومات عن الضابط الذى كان مشارك فى التنظيم فنصحوه بأن يرتدى القميص الواقى فقال لهم : طيب لو لبست الصديرى ولو جاءت حاجة هنا ؟ ! وأشار على رأسه فما الذى سوف يمنعه ؟ ! والله أعلم إذا كان ذلك حقيقيا أو غير حقيقى .. وسمعت أن الحرس لجأوا إلى السيدة جيهان للتأثير على الرئيس ولكن دون جدوى .

وبعد ..

فسيظل انور السادات يمثل لغزاً كبيراً للمؤرخين لأنه سيظل ايضا من أعظم الشخصيات في تاريخ مصر مهما كانت سلبياته .

محمود فوزى

فهرس